جامعة غليزان
RELIZANE UNIVERSITY

مستخرج من محضر اجتماع المجلس العلمي رقم 24.

وافق المجلس العلمي لكلية الآداب واللغات المنعقد بتاريخ 2026/05/11 على اعتماد الحامل البيداغوجي المقدم من الأستاذ(ة) : باشا مليكة من قسم اللغة العربية بعنوان : مطبوعة بيداغوجية في مقياس الأدب الجزائري المكتوب باللغات الأخرى تخصص السنة الثانية ماستير أدب جزائري.

رئيس المجلس العلمي

د. بن شهاني محمد
رئيس المجلس العلمي
لكلية الآداب و اللغات

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غليزان
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية

مطبوعة بيداغوجية
في مقياس: الأدب الجزائري المكتوب باللغات الأخرى

مستوى: السنة الثانية ماستر (ل.م.د)
تخصص أدب جزائري

السنة الجامعية 2025-2026

إعداد: د. باشا مليكة

مقدمة:

تتوجه هذه المطبوعة البيداغوجية لطلبة السنة الثانية ماستر أدب جزائري، ووتضمن مجموعة من المحاضرات والتطبيقات التي تم إعدادها وفقا للمنهج الوزاري في هذا الصدد، وتهدف إلى تعريف الطالب بالأدب الجزائري، في مختلف تجلياته اللغوية والثقافية، من حيث هو مرآةً عاكسةً للتحوّلات التاريخية العميقة التي عرفها المجتمع الجزائري، خاصة خلال الفترة الاستعمارية وما تلاها. فقد نشأ هذا الأدب في سياق اتّسم بتعدّد لغوي وثقافي واضح، حيث تداخلت العربية والأمازيغية والفرنسية، مُشكّلةً فضاءً تعبيرياً مركّباً، تتقاطع فيه رهانات الهوية والانتماء والذاكرة. ومن هذا المنطلق، لا يمكن مقاربة الأدب الجزائري بمعزل عن إشكالية الازدواجية اللغوية وما تفرزه من توترات وإمكانات إبداعية في آنٍ واحد.

وفي هذا الإطار، برز الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية كظاهرة أدبية وثقافية معقّدة، ارتبطت بسياق الاستعمار، وطرحت أسئلة عميقة حول علاقة الكاتب بلغته وهويته، وهو ما يظهر في أعمال مولود فرعون، وكاتيب ياسين، ومالك حداد، وآسيا جبار.

كما أنّ تطوّر الكتابة الفرانكفونية في الجزائر لا يمكن فصله عن الحركية الثقافية التي شهدها المجتمع، خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، حيث بدأت تتبلور ملامح وعي أدبي جديد، يعكس تفاعلاً مع التحولات السياسية والاجتماعية، ويجسّد أشكالاً من التعايش الثقافي، رغم ما شابه من اختلالات فرضها الواقع الاستعماري. وقد أسهم هذا السياق في بروز تنوّع أدبي ملحوظ، سواء من حيث الأجناس أو الموضوعات، مما أتاح للأدب الجزائري أن يكون فضاءً لتعدّد الأصوات وتنازع الرؤى.

وعليه، يسعى هذا العمل إلى استكشاف هذه القضايا من خلال مقاربة شاملة، تتناول الازدواجية اللغوية، والشعر الأمازيغي، والأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، وموضوعاته، إلى جانب تحليل إشكالية الانتماء والهوية، والوقوف عند بيوغرافيات أبرز الكتّاب الذين أسهموا في تشكيل هذا المسار الأدبي. ومن خلال ذلك، نهدف إلى إبراز خصوصية التجربة الأدبية الجزائرية بوصفها تجربةً تتشكّل عند تقاطع اللغات والثقافات، وتسعى باستمرار إلى إعادة تعريف ذاتها في سياق تاريخي وثقافي متحوّل.

عنوان الماستر: **أدب جزائري**

السداسي: **الثالث**

المادة: **الأدب الجزائري المكتوب بلغات أخرى**

أهداف التّعليم: تمكين الطالب من معرفة خصوصية الأدب المكتوب باللغات الأخرى

تمكين الطالب من الانفتاح على الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية

المعارف المسبقة المطلوبة: معرفة خصوصية التنوع الثقافي واللغوي في الجزائر

فهم طبيعة وأنماط التحولات التاريخية والفنية والأدبية،

للأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية

محتوى المادّة:

السداسي الثالث: وحدة التّعليم المنهجية	**مادّة: الأدب الجزائري المكتوب بلغات أخرى**	**المعامل: 02**	**الرصيد: 03**

01	الازدواجية اللغوية في الجزائر: (مفاهيم عامة-أشكالها- فوائدها- العوامل المساعدة على تكريس الازدواجية اللغوية في الجزائر)
02	الشعر الأمازيغي وأعلامه (سي محند أو محند أنموذجا)
03	الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية- المرجعية التاريخية والتطور
04	موضوعات الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية
05	الكتابة الأدبية الفرانكفونية في الجزائر
06	التعايش الثقافي في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية
07	الحركة الثقافية في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى
08	التنوع الأدبي الفرانكفوني في الجزائر: الملامح التاريخية والتطورات الجديدة
09	اشكالية الانتماء والهوية في الأدب المكتوب باللغة الفرنسية
10	التأثيرات الأجنبية في الأدب الجزائري المكتوب بالغة الفرنسية
11	بيوغرفيا الأدباء الجزائرين المعبرين باللغة الفرنسية (1) (محمد ديب، مولود فرعون، مولود معمري، كاتب ياسين، مالك حداد،.....)
12	بيوغرفيا الأدباء الجزائرين المعبرين باللغة الفرنسية (2) (، كاتب ياسين، مالك حداد، آسيا جبار....)
13	دراسة في نماذج من الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية
14	تلخيص روايات (الدار الكبيرة، الحريق، ابن الفقير، الأرض والدم، الدروب الوعرة، نجمة، أطفال العالم الجديد.....)

طريقة التقييم: يجري تقييم المحاضرات عن طريق امتحان في نهاية السداسي، بينما يكون تقييم الأعمال الموجهة متواصلا طوال السداسي. المراجع: (كتب، ومطبوعات، مواقع انترنت، إلخ)

المحاضرات

المحاضرة (1): الازدواجية اللغوية في الجزائر

تمهيد:

تُعدّ اللغة وعاءً للفكر وأداةً أساسية للتواصل بين أفراد المجتمع ومؤسساته المختلفة، وهو ما يفسّر الاهتمام الكبير الذي حظيت به من طرف عدد واسع من العلماء على اختلاف تخصصاتهم، كعلماء اللسان، وعلماء النفس، والأنثروبولوجيا، والجغرافيا، إضافة إلى علماء الاجتماع ورجال السياسة. ويرتبط وجود اللغة أساسًا بحاجة الإنسان إلى الاتصال بغيره، فهي استجابة طبيعية لهذه الحاجة، مما جعل علم اللغة وثيق الصلة بالعلوم الاجتماعية، ونتج عن هذا التداخل ظهور فرع "علم الاجتماع اللغوي"، الذي يهدف إلى الكشف عن العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية، وبيان تأثير هذه الأخيرة في الظواهر اللغوية المختلفة.

كما أن الإنسان لا يولد متكلمًا بلغة محددة، بل يكتسب لغة المجتمع الذي ينشأ فيه؛ فالنشأة في بيئة عربية تؤدي إلى اكتساب العربية، بينما تفضي النشأة في مجتمع فرنسي إلى اكتساب الفرنسية. ويُعدّ كلٌّ من التقليد والمحاكاة عاملين أساسيين في هذه العملية، إذ يتعلم الطفل لغة الجماعة التي يعيش بينها بكل خصائصها، سواء كانت صحيحة أم متأثرة ببعض الأخطاء، وما يرافق ذلك من تفاوت وتباين.

ومن هذا المنطلق، تتجلى العلاقة الوثيقة بين اللغة والمجتمع، حيث تعكس اللغة مختلف مظاهر التغير والتحول التي يشهدها، وتظل مرآة صادقة لواقعه المتجدد.

I- الازدواجية اللغوية، والثنائية اللغوية، والتعدد اللغوي:

1. الازدواجية اللغوية:

تقتضي متطلبات الحياة المعاصرة أن يكون الفرد متمكنًا من أكثر من لغة واحدة، حتى يتمكن من الانفتاح على مختلف ثقافات العالم وتكنولوجياته. لذلك، عمدت أغلب دول العالم إلى إدراج لغة ثانية ضمن مناهجها التعليمية، سواء في المرحلة الابتدائية أو الإعدادية، كما هو الحال في الجزائر، انطلاقًا من الاعتقاد بأهمية تعلمها في سن مبكرة.

وفي هذا السياق، أشار Titone "تيتون" إلى مفهوم"bilinguisme précoce" ، حيث أكد إمكانية شروع الطفل في تعلم لغة ثانية منذ مرحلة الحضانة. كما دعّم "بنفيلد" هذا التوجه، مبرزًا مرونة الجهاز العصبي في هذه السن، ومؤكدًا أن التعرض المبكر لأصوات اللغة الثانية يساعد أعضاء النطق على التكيف معها، مما يقلل من الصعوبات التي قد تنجم لاحقًا عن الازدواجية اللغوية[1].

ومن ثمّ، فإن اكتساب لغتين في سن مبكرة يواكب النمو الذهني للطفل، بحيث يتطور نسق تفكيره بالتوازي مع نموه اللغوي في كلتا اللغتين اللتين يكتسبهما.

2. مفاهيم الازدواجية اللغوية:

إن الحديث عن الازدواجية اللغوية كمفهوم يضعنا في إشكال اصطلاحي، لأننا نعاني فوضى اصطلاحية في إطار تعاملنا مع ما كتب عن الظاهرة اللغوية في الألسنة الأخرى، ونحن نقصد استقبالنا للمفاهيم الأجنبية التي تردنا بقلم الترجمة، حيث نجد أنفسنا أمام اصطلاحين يستعملان بصفة اعتباطية للحديث عن مفهومين مختلفين، وهما: الازدواجية اللغوية، والثنائية اللغوية، فكلاهما يستعمل أحيانا بطريقة تدخل المستعمل والقارئ ولا سيما للنصوص المترجمة في حيرة حول المفهوم والاستعمال السياقي، ومعنى ذلك أنه في اللغة الأخرى حينما نناقش مسألة " bilinguisme"و "diglossie"[2] تبدو لنا الأمور واضحة، أي أن المفهوم الأول ظاهرة لغوية محضة تعنى باستخدام لغتين مختلفتين بشكل منتظم من قبل الفرد أو المجتمع، والثانية ترتبط بوضعية اجتماعية، حيث يتعلق الأمر بوجود مستويين لغويين في بيئة لغوية واحدة.

وعليه نرى بأن المشكل لا يطرح ونحن نناقش المفهوم باللغة الأجنبية، بل كل الخلل يقع ونحن نحاول ايجاد المقابلات المناسبة للظاهرتين في اللغة العربية، حيث نرى تبادل مصطلحي "الازدواجية" و"الثنائية" المواقع بوضع أحدهما موضع الآخر، تبعا لمشارب المدارس اللسانية، وتوجهات الأفراد.

---

[1] Voir: Renzo TITONE, Le Bilinguisme Précoce, *Volume 51 of Psychologie et sciences humaines*, ISSN 1378-4587, Charles Dessartes, 1974

[2] أول من استعمل مصطلح "diglossie" هو اللساني الأمريكي شارل فارجسون سنة 1959.

2-1 الازدواجية اللغوية تعني إتقان اللغة الثانية كاللغة الأولى:

تعرف بقول"مارتيني" المتمثل في أن مزدوج اللغة يستعمل لغتين وطنيتين بنفس الكفاءة. وإن كل لغة من لغتي المزدوج تصبح أداة لحمل فكرته، ووسيلة لتمثيل العالم المحيط به (أي أنه يملك أداتين للتفكير ونظاميين ثقافيين).

2-2 الازدواجية اللغوية هي معرفة أدنى كفاءة في اللغة الثانية:

يقول"تيتون" إنها القدرة على التعبير بلغة ثانية مع احترام المفاهيم والبنيات الخاصة بها، دون اللجوء إلى ترجمة باللغة الأم.

2-3 .الازدواجية هي عدم كون الفرد أحادي اللغة:

وهي الحالة التي تتواجد فيها لغتان جنبا إلى جنب حيث تستعمل كل لغة من طرف جماعة وطنية تمثل نسبة هامة من المجتمع، وهذا ما ينطبق على وضعية الطفل الأمازيغي المتمرس، الذي يستعمل اللغة المحلية خارج المدرسة بينما يستعمل اللغة العربية داخلها أو عند ضرورة استعمالها.

3. مكونات المشهد اللغوي في الجزائر:

1.3 . العربية الفصحى:

وهي اللغة الرسمية للدولة، تُستخدم في التعليم، الإدارة، الإعلام الرسمي، والوثائق القانونية. وترتبط بالهوية القومية والدين (لغة القرآن).

2.3- الدارجة الجزائرية (العربية العامية):

وهي لغة الحياة اليومية والتواصل غير الرسمي، و تختلف من منطقة إلى أخرى (العاصمة، الشرق، الغرب، الجنوب...). وتحتوي على مفردات من الأمازيغية، التركية، الفرنسية، والإسبانية أحيانًا.

3.3- اللغة الأمازيغية:

هي لغة وطنية ورسمية منذ تعديل الدستور عام 2016، تُستخدم في مناطق القبائل، الشاوية، المزاب، والطوارق، ولها عدة فروع ولهجات (القبائلية، الشاوية، المزابية، الطارقية...).

4.3- اللغة الفرنسية:

تُعتبر لغة ثانية بحكم التاريخ الاستعماري (1830–1962)، وتُستخدم في التعليم العالي، الإدارة، الإعلام، والاقتصاد. و ما تزال حاضرة بقوة في الحياة اليومية وفي المصطلحات التقنية والعلمية.

5.3- اللغة الانجليزية:

وهي اللغة التي اكتست طابع العالمية، وتسعى الجزائر الجديدة إلى أن تجعلها في مقدمة اللغات المستعملة في التدريس، والبحث، والاستثمار، لمواكبة التطورات التي يشهدها العالم اليوم.

4- أشكال الازدواجية اللغوية:

حسب علاقة النظامين اللغويين الأول والثاني بالنظاميين الثقافيين الأصلي والأجنبي هناك ثلاثة 3 أنواع من الازدواجية اللغوية:

1.4- .الازدواجية اللغوية التكميلية (bilinguisme additif):

تُستخدَم اللغة الأولى مثل اللغة الثانية وكل واحدة ذات مرجع ثقافي خاص بها.

2.4- الثنائية اللغوية (la diglossie):

يميل اللغويون لتعيين تحت عبارة الثنائية اللغوية وضعية سوسيو-لغوية، حيث تُوَضَّح بتنافس لهجتين ذات وضع اجتماعي ثقافي متباين إحداهما معتبرة محليا ويعني شكلا لغويا مكتسبا أوليا ومستخدما في الحياة اليومية، والثاني يمثل اللغة التي تستعمل في بعض الظروف ومفروضة من قبل الذين يمثلون السلطة. ويمكن لهذه الثنائية اللغوية أن لا تمس إلاّ جزءاً فقط من الطائفة المعنية، ويمكن أن ينقلب على المستوى المتطرف من السلم الاجتماعي، أولئك الذين لا يحسنون إلا اللغة المحلية، والذين يحسون لغة النفوذ والسلطة فقط وأحادي اللغة، والذين يعيشون ضمن طائفة أحادية اللغة، لكنهم يمثلون لغة ثانية اكتسبوها أثناء طفولتهم أو في المدرسة، ومعناه أنهم لا يستفيدون ولا يستخدمون النظامين اللغويين المحلي والرسمي.

3.4 الازدواجية اللغوية الناقصة أو شبه الازدواجية (bilinguisme soustractif):

الثقافتان الأصلية والثانية تتدخلان دائما في استعمال سواء اللغة الأصلية والثانية دون وعي، وتتضح في عدم إتقان أي من النظاميين اللغويين.[1]

-5أنواع الازدواجية اللغوية في الجزائر

1-5 ازدواجية داخل اللغة الواحدة:

بين "العربية الفصحى" و"الدارجة الجزائرية".

"العربية تُعد "لغة عليا" (لغة كتابة وخطابة)، بينما الدارجة "لغة دنيا" (لغة تواصل شفهي يومي).

2-5 ازدواجية بين لغتين مختلفتين:

بين "العربية" و"الفرنسية"، أو بين "العربية" و"الأمازيغية" تتجلى في ظاهرة "التناوب اللغوي"("code-switching")، حيث يمزج المتكلم بين لغتين أو أكثر في الجملة الواحدة.

6. فوائد الازدواجية اللغوية:

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "من تعلم لغة قوم أمن شرهم" وهي:

- تساعد على النمو الفكري، وتستعجل نمو بعض المهارات الذهنية والاستعدادات العقلية، وبالتالي تسمح بالمرونة في المجالات اللفظية والإدراكية عند الازدواجي.
- تعلم اللغات العالمية يخدم المصالح الاجتماعية والثقافية والسياسية نظرا لترابطها وتشابكها خاصة في عصرنا الحالي.
- تعلم اللغات يشكل قسما من ثقافة التلميذ العامة ومن إعداده للحياة، بالتالي تعطيه بعدا عالميا زيادة على البعد العائلي والوطني.
- قدرة أعضاء النطق على أداء مختلف الأصوات الموجودة في لغات العالم خلال السن المبكر.كلما طال مرور الزمن على استعمال عادة ما قويت هذه العادة وتمكنت في النفس(عامل التكرار وارتباطه بعامل الزمن).

[1] Recherches en Linguistiques Etrangère, belles lettres, volume 17, 1994, P 127

7- آثار الازدواجية اللغوية:

تتباين آثار الازدواجية اللغوية بين الإيجاب والسلب: حيث يتمثل الجاني الايجابي فيها في أنها تعكس غنى ثقافيًا ولغويًا، وتُكسب المتحدثين مرونة في التواصل مع ثقافات متعددة، أما عن سلبياتها: فهي قد تؤدي إلى ضعف إتقان العربية الفصحى، وإلى اضطراب في الهوية اللغوية لدى الناشئة، فضلًا عن صعوبات تعليمية ناجمة عن الفجوة بين لغة التعليم (الفصحى) ولغة الحياة اليومية (الدارجة).

إن الازدواجية اللغوية في الجزائر ليست مجرّد ظاهرة لغوية فحسب، بل هي انعكاس لهوية تاريخية وثقافية متجذّرة في عمق المجتمع. وتحدي المرحلة الراهنة يتمثل في إيجاد **توازن لغوي** يحفظ الهوية الوطنية من جهة، ويواكب متطلبات العصر والانفتاح العلمي من جهة أخرى. فاللغة في النهاية ليست أداة تواصل فحسب، بل هي أيضًا رمز انتماء ووسيلة وجود.

II.العوامل المساعدة على تكريس الازدواجية اللغوية في الجزائر:

من بين أبرز العوامل التي عملت على تكريس الازدواجية اللغوية في الجزائر[1]:

أ) **العامل التاريخي** : ويتجلى دور العامل التاريخي في تكريس الازدواجية اللغوية في الجزائر فيما يلي:

1.الاحتلال بأشكاله و أساليبه المختلفة: و يتمثل لنا ذلك في تلك الطرائق و الأساليب التي يتعامل بها الاحتلال، أينما وجد، وحيثما حل، إذ أول ما يقوم به المحتل هو ضرب لغة الدولة المُحْتَلَة، لأنه يعرف جيدا أن اللغة عامل توحيد و تفريق في آن واحد، لهذا فهو يركز على فرض لغته قولا و فعلا . فأما القول فيتجلى في تلك الدعوات التي تتعالى هنا و هناك ، والتي تحذر من مخاطر التعامل باللغة العربية باعتبارها سبب تخلف الشعوب التي تتكلم بها . و أما الفعل ، فيتجسد في الميدان عن طريق فرض لغة المستعمر بالقوة على الأهالي و السكان الأصليين، و تضييق الخناق على لغتهم الأصلية، كما حدث في الجزائر و غيرها من الدول المغاربية المجاورة.وكانت فرنسا تعتقد واهمة إلحاق الجزائر بفرنسا الكبرى، حيث

[1] ينظر: بوزيد ساسي هادف، **الازدواجية اللغوية في الجزائر المستقلة: دراسة سوسيولسانية** https://tanwair.com/wp-content/uploads/2015/05/bilinguestique_alger-2.pdf

كانت تصف عاصمتها بباريس الصغرى و لم يخطر ببال الفرنسيين أن يأتي يوم يضطرون فيه لمغادرة الجزائر "الفرنسية"، لذا فقد حاربت اللغة العربية و حاولت فرنسة الأرض والشعب، كما أجبرت الجزائريين تعلم الفرنسية ،ومنعت تدريس العربية حتى في المساجد، بل و حولت الصراع بين العربية والفرنسية إلى تناحر بين العربية و الأمازيغية وبين الفصحى والعامية؛ لأن فرنسا كانت تعتبر بلدنا الجزائر في تلك الحقبة الاستعمارية، جزءا لا يتجزأ من ترابها .وهذا يعني في عبارة مختصرة أن التعليم في الجزائر كان لا يخالف التعليم في فرنسا، نفس البرنامج ، و نفس الإطار ، و نفس الهدف . و إذا كان هناك فرق فإنما في كون الطفل الفرنسي كان حرا في تكوينه و اختياراته و عواطفه في حين أن الطفل الجزائري كان لا يملك هذه الحرية، فقد كان مفروضا عليه أن يتعلم الفرنسية كلغة وطنية ، و ممنوعا عليه أن يحاول تعلم العربية لسبب واحد و هو أنها لغة أجنبية في الجزائر، بل هي أقل من اللغات الأجنبية الأخرى كالإنجليزية و الإسبانية و الإيطالية و الألمانية. فإذا كان الاحتلال في الماضي القريب يسمح للمستعمر برسم سياستنا التعليمية. فإن اليوم ما يسمى بالمعونات الاقتصادية واتفاقيات الشراكة يعطي للمستعمر الجديد الفرصة نفسها. والكلام عن معونات غير مشروطة كلام تنقصه الأمانة والوطنية معا، فلقد " كانت اللغة و ما زالت هدفا من أهداف سياسة الاستعمار الإدماجي"

2. **الدعوة إلى التخلي عن اللغة العربية الفصحى**: واستبدالها بلهجة أو لغة أخرى أكثر سهولة، وتناسبا مع متطلبات العصر. فلقد تفنن المحتل في مشارق الأرض و مغاربها في إقناع بعض العرب بالتخلي عن اللغة العربية الفصحى، متخذا في ذلك طرائق و أساليب شتى، فهللت " الأصوات تتعالى بالهجوم على الفصحى و الترويج للهجات المحلية، باتهام اللغة العربية أنها عسيرة معقدة، وقواعدها وضوابطها كثيرة مشتتة، يتعذر استيعابها والانقياد لها في حياتهم اللغوية، إن أرادوا الإبداع و الانطلاق في التعبير علما و أدبا و ثقافة "[1]. ومن بين هذه الصيحات و الدعوات التي تتعالى هنا و هناك ، والتي تتهم اللغة العربية الفصحى بالجمود و القصور على الالتحاق بركب الحضارة، والتي تدعو بملء فيها إلى التخلي عنها، نذكر:

[1] فخر الدين قباوة، **المهارات اللغوية و عروبة اللسان** . البحوث و دراسات في علوم اللغة و الأدب . ط1 دار الفكر، دمشق، سورية 1999، ***ص 16***

- **الدعوة إلى التخلي عن حركات الإعراب** : و تتجلى في الدعوى إلى إلغاء الإعراب من اللغة العربية كلية ، باعتباره يطبعها . في نظرهم . بالصعوبة و التعقيد، و الاستعاضة عنه بتسكين أواخر الكلمات بدعوى الإصلاح و التيسير. والواقع أن اللغة العربية قد اعتمدت على الإعراب باعتباره أرقى ما وصلت إليه اللغات في الوضوح و الإبانة، و الإفصاح عن صلات الكلمات العربية بعضها ببعض، و عن نظم تكوين الجمل بالحالات المختلفة لها.
- **الدعوة إلى العامية على حساب اللغة العربية الفصحى** :لقد اتهمت اللغة العربية الفصحى في الداخل و الخارج بالقصور والعجز، و الصعوبة والتعقيد ، وتعالت صيحات هنا و هناك من أفواه و أقلام عربية وغير عربية ، تدعو إلى التخلي عن العربية الفصحى و إحلال العامية محلها ، حيث " اتهموها و ما زالوا يتهمونها بالصعوبة والتعقيد، وأخذوا يشككون أهلها في قدرة لغاتهم على مجاراة العصر، والاتساع للتعبير عن مستحدثات الحضارة، و بذلوا جهدهم في إحلال العامية محلها ، بدعوى جمود الفصحى ، وانتمائها إلى عصور بادت و انقرضت، وعدم صلاحيتها للحياة وسط هذا الخضَمّ الهائل، من النظريات الفلسفية والاجتماعية و السياسية التي يموج بها القرن العشرون[1] ". مما رسخ في بعض أذهان رجال الفكر العرب اعتقادا ، أن العربية عاجزة عن التعبير عن العلوم الحديثة ، وتطور هذا الاعتقاد عند البعض إلى حد الدعوة العلنية إلى التخلي عنها بدعوى أنها سبب تخلفنا العلمي و القومي و الحضاري.
- **الدعوة إلى استبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني** : لم يتوقف الأمر بالحاقدين على اللغة العربية عند حد مناداتهم بالتخلي عن الفصحى و إعرابها ، لكونهما . في زعمهم . من أسباب صعوبتها ، و تخلف أهلها عن الركب الحضاري ، بل ذهب بهم الأمر إلى حد الدعوة إلى التخلي عن الكتابة بالحرف العربي.

ب) العامل السياسي:

ويتجلى لنا بوضوح فيما يلي:

1. غياب الإرادة السياسية الشاملة : فإذا كانت الازدواجية اللغوية في السنوات الأولى لاستقلال الجزائر ضرورة حتمية، لا مفر منها، لغياب الوسائل الضرورية، المادية منها والبشرية، ولوجود اتفاقيات تكفل لها حق الاستمرار في جزائر ما بعد الاستقلال لأجل

[1] رمضان عبد التواب، **بحوث و مقالات في اللغة** ، ط2 ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، 1988، ص266

مسمى، كما هو الحال مع " اتفاقيات إيفيان "(التي تكرس الإبقاء على مجموعة كبيرة من مدراء المدارس كانوا فرنسيي الجنسية أو المتمتعين بازدواجيتها، ومن ثم، فإنهم كانوا لا يدخرون جهدا في عرقلة كل المساعي الرامية من قريب أو بعيد إلى زحزحة اللغة الفرنسية)، فإن الازدواجية في جزائر اليوم، جزائر العزة و الكرامة أصبحت اختيارا ، و لكنه اختيار مفروض بطريقة و أخرى.

لقد تراوحت نظرة الدوائر الرسمية التي تداولت على السلطة في جزائر ما بعد الاستقلال تجاه قضية الازدواجية اللغوية بين المرونة و اللين حينا، و التشدد والتصلب أحيانا أخرى، حسب مذاهب الحكام الذين تداولوا على السلطة و مشاربهم الإيديولوجية . فرفعت الشعارات، و عينت الهيئات، و سنت القوانين و المواثيق و الدساتير، التي تمجد التعريب، و تعطي اللغة العربية المكانة التي تليق بها ، ولكن كل هذا لا يحقق الهدف المنشود إذا لم تتوافر للسلطات السياسية الحاكمة، نية صادقة، و إرادة قوية، تسهر على جعل اللغة العربية لغة رسمية يتعامل بها بين مختلف شرائح المجتمع الجزائري، وتوظيفها توظيفا سليما في مختلف المؤتمرات والمحافل الوطنية و الدولية المختلفة، وتجسيد ذلك في الميدان، تطبيقا و ممارسة، لا قولا و تنظيرا. وحتى وإن توافرت النية الصادقة عند البعض منهم، إلا أنها سرعان ما تختفي، لكونها لم تجد الدعم الكافي الذي يجعلها تتجسد في الميدان، بل على عكس ذلك ، تجد صدا من طرف بعض القوى الفاعلة في البلاد، التي تعمل على وأدها في مهدها، خوفا وطمعا .

2 . **وجود الفرانكوفونية التغريبية** : التي تتمثل في وجود بعض الدوائر الجزائرية الرسمية القوية ، و التي وظفت كل جهودها لعرقلة تطبيق قوانين تعريب العمل بالدوائر الرسمية، بدلا من لغة المستعمر السابق ، فقد صدر قانون تعميم استخدام اللغة العربية يوم 5-7-1998 بتوقيع الرئيس السابق الأمين زروال، وجاءت المصادقة على هذا القانون بعد سنوات من تجميد قانون سابق لتعميم اللغة العربية كان البرلمان قد صادق عليه عام 1990. متحججين بنقص الكفاءات التي بمقدورها القيام بهذه المهمة ، و ما يمكن الإشارة إليه في هذا الصدد أن قضية التعريب في بلادنا ظلت " سنوات طويلة موضوع نقاش بين طرفين لا يفهم أحدهما الآخر ، فكان شبيها . كما يقولون . بنقاش الصم الذين لا يسمع بعضهم

بعضا ، و لكن كل واحد يرد على الآخر بما يتوهم من أفكاره ، أو ما يظن أنه قاله، أو ما يعتقد أنه خليق بقوله "[1]

فهو عبارة عن صراع دائر بين التيار الإسلامي و الوطني من جهة وبين التيار العلماني الفرانكوفوني من جهة أخرى حول قضية تعميم اللغة العربية، وهذا الصراع أتبعه بالضرورة صراع لغوي بين اللغة العربية الوطنية واللغة الفرنسية الدخيلة. يقول الدكتور محمد العربي الزبيري موضحا أسباب الصراع بين المعربين والمفرنسين، " ...ومن جملة تلك الفقرات واحدة تأتي مباشرة بعد تحديد مفهوم الثقافة، وتشير إلى أن اللغة العربية قد تأخرت باعتبارها وسيلة ثقافة علمية عصرية، وهي بذلك قد تتسبب في شل التعليم وتزيد في خطورة الجهل الموروث عن الهيمنة الاستعمارية "[2]

3 . ضعف مناهج التدريس و قصورها في منهجية تعليم اللغة العربية: والنظرة التربوية القاصرة عن إدراك أهمية تعليمية الأطفال في مراحل دراساتهم الأولى، ودورها الفعال في بناء الكيان التربوي السليم للطفولة البريئة .إذ كثيرا ما نجد القائمين على هذا القطاع الحساس . عكس الدول المتقدمة . يعينون معلمين من ذوي المستويات الدنيا لتعليم هذه الشريحة الهامة، جاهلين أو متجاهلين أن فاقد الشيء لا يعطيه ، إذ " إننا ما زلنا نظن أن تعليم الطفل أهون أنواع التعليم ، و أدى هذا إلى أننا أصبحنا نقيس مقدار المعلم بعمر الطفل الذي يتولى تربيته وتعليمه، صعودا و هبوطا ، فمعلم الإعدادي أكثر احتراما من معلم الابتدائي، و أقل مركزا من مدرس المدارس الثانوية ... و هي فكرة ساذجة مدمرة لنفسية هذا المعلم، الذي وضعنا بين يديه هذه العجينة اللينة . طفل اليوم و رجل المستقبل، ليجعل منه مواطنا صالحا أو شيطانا ماردا "[3]

4 . تنامي سيطرة اللغات الأجنبية: بترويج فكرة أهمية اللغة الأجنبية على حساب اللغة العربية ، خاصة في السنوات الأولى من التعليم ، إذ " لتعجب، حين ترى بعض المتعلمين ، ينطق اللغة الأجنبية على وجهها الصحيح ، حتى إذا رام الحديث بالعربية الفصحى ، تلعثم و ارتبك ، و أخطأ و لحن، وصحّف وحرّف، وخلطها بالرديء من الأساليب العامية ، وما ذلك إلا لأنه لا يسمع الفصحى إلا فيما ندر في حجرة الدراسة، حتى إذا خرج إلى الشارع،

---

[1] عبد الله شريط، **نظرية حول سياسة التعليم والتعريب**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ***ص6***

[2] محمد العربي الزبيري، **الغزو الثقافي في الجزائر** (62 . 82) ، مقال منشور في مجلة الرؤيا، مجلة فصلية تعنى بشؤون الفكر، يصدرها اتحاد الكتاب الجزائريين ، العدد 3 ، 1983م ، ص 18

[3] رمضان عبد التواب، **المرجع السابق، ص 228-229**

ملأت العامية سمعه و بصره في كل مكان، فخلطت عليه أمره، وردته الفصحى أيما رد، و اقته عن تملك زمامها، والسيطرة عليها "[1] .لقد أثبتت التجارب أن الطفل الذي يقبل على تعلم لغة أجنبية ثانية قبل أن يتعلم بإتقان اللغة الأولى (الأم) ينعكس ذلك سلبا على اكتساب و تعلم اللغتين كلتيهما . ولذا فإن تعليم اللغة الثانية بعد اتقان اللغة الأولى في مصلحة اللغتين في آن واحد. ف" إن ما يتفق فيه علماء التربية أننا نطبع عقل الطفل بطابع اللغة التي يتعلمها و يستعملها قبل غيرها من اللغات الأخرى . فإذا علمناه لغة أجنبية قبل اللغة الوطنية ستبقى دائما ثانوية في ذهنه و تصوره و سلوكه العقلي والنفسي أيضا ،و إذا تعلم اللغة الوطنية ثم الأجنبية ما شاء من السنين، فإن اللغة الوطنية ستبقى عنه مستحكمة،حتى ولو تعلم بعدها لغات عديدة أجنبية،لا لغة واحدة"[2]

ج) العامل الاجتماعي: إذا كانت اللغة نشاطا اجتماعيا، من حيث إنها استجابة ضرورية، لحاجة الاتصال بين الناس جميعا، فإنها تعد أيضا من أهم الروابط المتينة التي تربط أفراد الجماعة اللغوية بعضها ببعض، فإذا نظرنا إلى المجتمع الجزائري وجدناه يتكلم خليطا بين الفرنسية والعربية واللهجات المحلية باختلاف مناطق الوطن، فقد تجد في العائلة الواحدة، المعرب، والمفرنس، والمزدوج اللغة، ومن لا يحسن لا الفصحى ولا اللغة الأجنبية أو يجمع قليلا من الاثنين؛ وليس بمقدور أحد أن يعطي نسبة المتكلمين بهذه اللغة أو تلك. ومهما يكن من أمر، فإن اللغة الفرنسية بمعية لهجات محلية كثيرة، تسجل حضورها بقوة في جزائر ما بعد الاستقلال، مما يجعل اللغة العربية ومن اتخذها لسانا له محاصرين، وعاجزين عن أداء أبسط وظائفهم المتمثلة في التواصل و التعبير عن رغباتهم وآلامهم. فالسواد الأعظم من المواطنين الجزائريين في جزائر ما بعد الاستقلال يعيشون الاغتراب وسط أبناء وطنهم، و لا ذنب لهم في ذلك إلا كونهم اتخذوا اللغة العربية لسانا لهم دون غيرها من اللغات و اللهجات الأخرى المنتشرة في ربوع هذا الوطن، وهي كثيرة، فاللغة العربية عند هذه الفئة من الناس لم تحقق وظيفتها، ليست لكونها قاصرة عن ذلك، و إنما لوجودها محاصرة بين اللغة الفرنسية من جهة، وتلك اللهجات المختلفة من جهة أخرى، مما جعل هذه الفئة تعيش على الهامش.

---

[1] رمضان عبد التواب، المرجع السابق، ص237

[2] عبد الله شريط، المرجع السابق، ص 42

د) العامل النفسي: إن العامل النفسي الذي كرس الازدواجية اللغوية في الجزائر المستقلة جراء تراكمات كل من العامل التاريخي، و السياسي ، و الاجتماعي، يتجلى لنا بوضوح في:

1. **الشعور الذي انتاب الجزائريين، شأنهم في ذلك شأن سكان البلاد العربية بصعوبة اللغة العربية الفصحى**، لما تحويه من قواعد نحوية وصرفية وإملائية جامدة معقدة، مما جعلهم يعزُفون عنها؛ وهذا الشعور الذي ولّد عندهم النفورَ منها، و الرغبةَ عنها، وليد الاستعمار بأنواعه المختلفة، فقد أصبح " الاعتزاز باللغة العربية هزيلا إن لم نقل منعدما يقابله مد زاخر قاهر من الإعجاب باللغات الأوروبية، و التأثر بها والاقتباس منها، بمناسبة وغير مناسبة "[1]

2. **الإحساس بالانهزامية النفسية لدى مستخدمي اللغة العربية**، جراء الاعتقاد بأن اللغة العربية الفصحى ليست لغة علم و تطور وحضارة، مما أدى إلى توليد مركب نقص لديهم، جعلهم يشعرون بالدونية. بل كثيرا ما نلاحظ و نسمع أن طلاب معهد اللغة العربية و آدابها أصبحوا محبطين نفسيا لأنهم يدرسون اللغة العربية التي أصبحت في مجتمعنا ينظر إليها بعين الريبة، وفي المقابل نجد طلاب اللغات الأجنبية، يفتخرون ويعتزون، لكونهم يدرسون اللغة الفرنسية أو الإنجليزية باعتبارهما لغتي علم و تطور، وأصبحوا يعدون تعلم اللغة العربية موضة قديمة أكل عليها الدهر و شرب، مما أدى إلى العزوف عن تعلمها، بل إلى حد اعتبار ذلك مضيعة للوقت. هذا بالإضافة إلى عقدة النقص التي تجذّرت في معظم نفوس الجزائريين جراء الاحتلال الفرنسي المرير، والتي " تعمل فينا دون وعي، وتتعمق منا في اللاشعور، و ينطبق بها علينا قانون ابن خلدون الرهيب من أن المغلوب مولع بتقليد الغالب في ملبسه و مأكله و أحوال معاشه . و بما أننا مغلوبون حضاريا . للأوربيين بعد أن كنا مغلوبين لهم سياسيا وعسكريا، فإننا لكي نبرهن لأنفسنا وللفرنسيين أيضا وللعالم المتحضر كله بأننا لسنا متأخرين و متخلفين، لا نكتفي بأن نلبس ونستضيء بالكهرباء بل نحن نتكلم أيضا لغتهم"[2]

---

[1] فخر الدين قباوة، **المرجع السابق، ص 18**

[2] عبد الله شريط، **المرجع السابق، ص 11**

خلاصة:

إن تكريس الازدواجية اللغوية في الجزائر هو نتاج "تفاعل معقّد" بين التاريخ والسياسة والتعليم والمجتمع. وإذا كانت هذه الظاهرة تعبّر عن "غنى لغوي وثقافي"، فإنها في الوقت ذاته "تشكل تحديًا حقيقيًا" أمام مشروع التوحيد اللغوي وبناء هوية لغوية متوازنة.

ولذلك، يتطلّب الأمر "سياسة لغوية متكاملة" تراعي الواقع الاجتماعي وتحافظ على التعدد دون الإضرار بوظائف اللغة العربية والأمازيغية كلغتين وطنيتين جامعَتين.

تُعدّ الازدواجية اللغوية في الجزائر ظاهرة معقدة الجذور، ساهمت في ترسيخها مجموعة من العوامل التاريخية والسياسية والاجتماعية والتربوية والثقافية.

فمن "الجانب التاريخي"، يعود ظهورها إلى الحقبة الاستعمارية الفرنسية التي فرضت لغتها في التعليم والإدارة وأقصت العربية من المجالات الرسمية، مما أوجد انقسامًا لغويًا ما تزال آثاره قائمة إلى اليوم. أما "سياسيًا"، فقد حاولت الدولة الجزائرية بعد الاستقلال معالجة هذا الاختلال من خلال سياسة التعريب، غير أن التطبيق الجزئي لهذه السياسة واستمرار الفرنسية في التعليم العالي والإدارة التقنية كرّس واقع الازدواجية بدل تجاوزه.

ومن "الجانب الاجتماعي"، فإن التنوع الثقافي واللساني للمجتمع الجزائري، وتعدد اللهجات المحلية بين العربية والأمازيغية، أدّيا إلى بروز استعمالات لغوية مختلفة تبعًا للانتماء الجهوي والاجتماعي، مما جعل اللغة رمزًا للهوية والانتماء أكثر من كونها أداة تواصل فحسب. كما ساهم "النظام التربوي" بدوره في تكريس الظاهرة، إذ يدخل الطفل المدرسة وهو يتحدث الدارجة أو الأمازيغية ليجد نفسه أمام لغة تعليم رسمية هي العربية الفصحى، ثم لغة علمية أجنبية في المراحل العليا، وهو ما يولّد فجوة لغوية متراكبة بين الفصحى والدارجة والفرنسية. أما "الإعلام والفضاء الثقافي"، فقد عمّقا هذه الازدواجية من خلال المزج بين العربية الفصحى والعامية والفرنسية في البرامج والنقاشات اليومية، ما جعل التعدد اللغوي واقعًا ملموسًا في الخطاب العام. ويُضاف إلى ذلك "البعد الاقتصادي والعولمي"، حيث تظل الفرنسية لغة السوق والعمل في قطاعات عديدة، بينما تفرض العولمة حضور اللغة الإنجليزية تدريجيًا، مما يعقّد المشهد اللغوي أكثر.

وعليه، فإن الازدواجية اللغوية في الجزائر ليست نتيجة عامل واحد، بل هي محصلة تفاعل متشابك بين التاريخ والسياسة والمجتمع والتعليم والثقافة، مما يجعل معالجتها تتطلّب "تخطيطًا لغويًا شاملًا" يوازن بين الحفاظ على الهوية الوطنية والانفتاح على العالم.

المحاضرة (2): الشعر الآمازيغي وأعلامه: سي محمد أنموذجا

تمهيد:

يعود الشعر الشعبي الجزائري أو ما يسمى بالشعر العامي (عكس الشعر الفصيح) إلى ما قبل القرن التاسع عشر؛ ويمتاز بالبلاغة والإبداع بحيث يعبّر الشاعر عن كل ما يخص حياة الإنسان المتقلبة، والصفات الحسنة والذميمة لعامة الناس على اختلاف تربيتهم وآرائهم؛ أضف إلى ذلك، التعبير عن كل ما له علاقة وطيدة بمحيط الإنسان. كما يتضمن الشعر الشعبي، في الغالب، أمثالا وحكما صالحة لكل زمان ومكان، والكثير من الصور البيانية والمحسنات البديعية. وقد ساهم الاستعمار الفرنسي الذي احتل الجزائر، في انبثاق لغة الشعر لدى العديد ممن نوّهوا بخصال الجزائريين الذين سعوا إلى التحرر من أغلال الاستعمار وعيش حياة رغيدة في بلد أجدادهم.

ويترجم الشعر الشعبي الجزائري نفسية سكان منطقة معينة من مناطق الجزائر، ويفسر سلوكاتهم حسب البيئة التي ينتمون إليها، ويعتبر هذا الشعر صادقا لأنه يتطرق إلى مشاكل الناس اليومية الناتجة عن التعايش بين مختلف شرائح المجتمع، ولأنه يتصل اتصالا وثيقا بالإنسان على مر العصور. ولا يشترط أن يكون الشاعر متحصلا على شهادات عليا لأن الشعر الشعبي نابع من تجارب الحياة والأحاسيس المختلفة والمتفاوتة التي تطبع الإنسان وتدفعه للتعبير عما يختلج في نفسه من حب، وكره، ووحدة، وفرح، وحزن .

يعتبر الشعر القبائلي، نوعا من أنواع الشعر الشعبي الجزائري، له أهميته في التراث الوطني، وتأتي كلمة Asefru بالقبائلية مرادفة لكلمة (شعر) باللغة العربية، وهي مشتقة من الفعل yesefraأي: "أوضح وبيّن ما كان غامضا". ويقول جون عمروش Jean Amrouche عن الشاعر القبائلي في مقدمة كتابه ما يأتي: "إن الشاعر القبائلي هو صاحب موهبة الشعر، بمعنى أنه جعل ما ليس واضحا، بيّنا ومعقولا....فهو يلعب دورا اجتماعيا معتبرا، وله رسالة مهمة للإيصال، وهو من بين ذلك بعيد الشدو، وصاحب بصيرة".[1]

ويعدّ **الشاعر سي محند أومحند** أحد رموز الشعر الشعبي القبائلي، إذ ترجم البؤس والتشرد الذي طبع حياته في جميع أشعاره. وعاش سي محند فترة المقاومة الشعبية سنة 1871 م في منطقة القبائل، والتي أدت إلى تشريد أفراد عائلته، وإعدام أبيه، ونفي عمه

[1] Voir Jean Amrouche, **Chants berbères de Kabylie**, 1988 : PP. 48-50

وآخرين من عائلته إلى كاليدونيا الجديدة. أضف إلى هذه العوامل، حجز أملاك عائلة سي محند، مما جعل هذا الشاعر الثائر يعكس في أشعاره الألم الذي عاناه وما نتج عنه من تشرد، وضياع، ومغامرة بين منطقة القبائل، وعنابة، والبليدة، وتونس وغيرها .

1- تعريف وجيز للشاعر سي محند أومحند:

سي محند أومحند، واسمه الحقيقي محند حمادوش، شاعر وفيلسوف قبائلي، ولد حوالي سنة 1845 م في قرية أشرعيوين بمنطقة تيزي راشد (التابعة إداريا للأربعاء ناث إيراثن) بولاية تيزي وزو. حارب الاستعمار الفرنسي بشتى الوسائل بحيث حرّض سكان منطقته على الوقوف في وجهه والكفاح من أجل التحرر، ونتيجة لذلك، قامت السلطات الفرنسية باعتقاله وتعذيبه، ثم قامت بنفي أفراد من عائلته وأقربائه إلى كاليدونيا الجديدة. غير أن الشاعر سي محند ظل يدعو إلى التحرر من خلال أشعاره، والقضاء على الاستعمار الغاشم. وتوفي سي محند حوالي سنة1906 م بمنطقة عين الحمام بولاية تيزي وزو .

جمع بوليفة أشعار سي محند وترجمها في كتاب بعنوان (Recueil de poésie kabyle ديوان الشعر القبائلي) صدر سنة 1904 م. وقام الكاتب الجزائري مولود فرعون بانتقاء بعض منها وترجمها شخصيا في كتاب بعنوان (Les Poèmes de Si Mohand أشعار سي محند) صدر سنة 1960م. وبعد وفاة فرعون، قام الكاتب الجزائري مولود معمري بإتمام جمع هذه الأشعار في ديوان شعري صدر سنة 1969م بعنوان (Les Isefra de Si Mohand إسفرا سي محند)، ثم طبعة ثانية سنة 1982 م. ويذكر أن سي محند أو محند كان يلقي أشعاره عفويا، أي أنها لم تكن مقيّدة كتابيا في البداية. وهناك من يقول أن بعض هذه الأشعار تبقى مجهولة إلى غاية اليوم، وأن ما حظينا بمعرفته، يتمثل فقط في الأشعار التي قيّدها الأدباء والمختصون الذين تعرضوا للحياة الشعرية لسي محند.

إن تاريخ ميلاد سي محند ورد بالتقريب وذلك بسبب عدم اعتماد قانون الحالة المدنية في منطقة القبائل في ذلك الوقت؛ ومع أن السلطات الفرنسية منحت السكان فيما بعد بطاقات هوية وقيّدتهم في سجل الحالة المدنية بتواريخ ميلاد تقريبية، لم يستفد سي محند من هذا القرار لأنه حتما كان قد بدأ حياة التشرد.

كما يقول آخرون أن سي محند عاهد نفسه أن لا يلقي القصيدة نفسها مرتين، وأن من يهتم بأشعاره عليه تدوينها. حتى أنه ألقى أشعارا بالعربية ولكن لا يوجد لها أثر اليوم. وفي

هذا الصدد، يقول مولود معمري: "إن الأدب الشفوي هو الذي يخلق شاعرا عالميا كسي محند أومحند"[1]

ويتناول سي محند في أشعاره موضوعات عديدة كالمرأة، والوحدة، والتشرد، والألم، والحب، والتاريخ الأمازيغي، والقيم الاجتماعية، والكفاح ضد المستعمر الفرنسي.

2- الموضوعات الإنسانية في أشعار سي محند أومحند:

يقول أحمد جاب الله عن القصيدة الشعبية الجزائرية ما يأتي:" يقترب شكل القصيدة الشعبية الجزائرية في بنائها الفني من الخطبة أو الرسالة ولا سيما في افتتاحيتها فهي مزيج بين الشعر والنثر ، أخذت من الشعر إيقاعه وحافظت على القافية فكل القصائد الشعبية الجزائرية مقفاة، وأخذت من النثر خطابيته ومقدماته"[2]وينطبق هذا القول على أشعار سي محند التي راعت النظام الشعري من وزن وقافية، من جهة، وحافظت على خطابية النثر ومحتوى الرسالة المراد إيصالها، من جهة أخرى .

وتقول تاسعديت ياسين ما يأتي: "ينبثق الإلهام الشعري أو الإبداع الفني لدى الشاعر أو الأديب أو الرسام من المصادر الآتية، وأهمها: الطبيعة، والفضاء، والزمن، والرحلات، والحلم، والخيال، والتجارب الإنسانية"[3] ونجد كل هذه العوامل مجتمعة في أشعار سي محند أومحند الذي خلّف إبداعا غنيا لا يزال محل دراسة وتحليل وترجمة من المختصين المحليين والأجانب، في ميدان الشعر والترجمة وغيرها من الميادين المتصلة بها

ويطبع التشاؤم والبكاء على الأطلال أشعار سي محند أومحند بالرغم من ميزتها العاطفية التي تحوي أمثالا وحكما صالحة لكل زمان، وتجدر الإشارة إلى أن قصائد سي محند هي قصائد تساعية (أي تسعة أبيات) تتشكل من قافيتين: قافية للبيت الأخير في كل مقطع شعري، وقافية للأبيات المتبقية.

وأما أهمّ الموضوعات الإنسانية التي تناولها سي محند أو محند في أشعاره، نذكر ما يأتي :

---

[1] SI AMMAR BEN SAID BOULIFA, Si Ammar Ben Said : Recueil de poésie kabyle, présentation par tassadit YACINE. Paris, Alger : 1990, Ed. AWAL. 1990, p45

[2] انظر أحمد جاب الله، قراءة في القصيدة الشعبية الجزائرية، الأثر: مجلة الآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد الثالث، ماي 2004 ، ص 6

[3] انظر مخبر الممارسات اللغوية، جامعة تيزي وزو، ترجمة الشعر الأمازيغي نظما، نماذج من إبداعات آيت منقلات، 2010 ص 37

-المرأة والحب: تغنى الشاعر القبائلي سي محند أومحند بالمرأة والحب، الأولى باعتبارها أساس الأسرة في المجتمع القبائلي، والثاني باعتباره شيئا افتقده نصف حياته. وتجدر الإشارة إلى أن سي محند تزوج شابا عندما كان أبوه حيا. ولكنّه طلّق زوجته لأن حماته حاولت تسميمه. وكان سي محند يحب امراة تدعى "فاضمة"، وكان يقتفي أثرها إلى "العين" حيث تجلب المياه. وعندما توفيت رثاها في قوله:

Temmut taazizt ur nemzir
Lmut a tettextir
Rebbi iteddu deg nneqma
Ay akkal ur t tɣeyyir
M laayun n ttir
foumt as a lmuluka ɛTa
Dazawali ur tehqir
D yellis n lxir
Mahrumet si leǧehennama

لقد رحلت بعيدا عني
إن الموت يختار ضحاياه
والإله يدفع إلى الثوران
يا أيتها التربة لا تشوهي
جمالها الذي لا مثيل له
أيتها الملائكة ارفقوا بها
تلك الشابة شريفة النسب
لم تزدر عبدك قط
لتبعدها عن نار جهنم

Atha ouliou itkheiaq
Gher ddakhel ifelaq
Thichki ar nesmecthi
Aï agglidd el khalaq
Thefrouddaqh selhaq
Addagh thilidd ddamaani.
Gherk a Rebbi ai nekhraq
Selcagh naouaq
Iac ghourak ishhel koul echi.

ها هو ذا قلبي يعاني
يكاد ينفجر بداخلي
كلما فكرت فيها
يا أيها الخالق
نرجو عدلك
كن معينا لنا
حررنا من عذابنا
فمنك وحدك، ننتظر
أن تتحقق المعجزات.

الغربة والحنين إلى الوطن: عاش سي محند نصف حياته منعزلا وبعيدا عن مسقط رأسه. ويقول في إحدى الأبيات ما يأتي:

Aqlaɣ kullas net qellib
Di tmura d aɣrib
Mennaɣ aw'isaan axxam

إننا نبحث كل يوم
في الأوطان غريب
أتمنى لو عندنا بيت

-انهيار المبادئ الأخلاقية وتكسر البنية الاجتماعية في المجتمع القبائلي: تعرضت القرى القبائلية في القرن الرابع عشر للهجرة إلى التفكك، وتقهقرت المبادئ الأخلاقية ليحل محلها الفساد والرذيلة. وفي هذا الصدد، يقول الشاعر سي محند ما يأتي :

Ahya lqern asufaji
Widak nettehwiji
Win qesdeɣ ibeddel lkelma-s
Dlɣaci la ten-isgagi
Di lâid urten iǧǧi
Γadent iǧǧulent tullas
Wamma at sukarǧi
Nzant lemraǧi
Bu tyuga hat d axemmas

آهٍ من القرن المتوحِّش...
أولئك الذين نحتاج...
ومن قصدت غيّر كلمته
يهجِّر النّاس القرن
وفي العيد لم يتركهم
أُشفِق على الفتيات اليتيمات
بالنسبة للسكارى بِيعت الأراضي
وأصبح الفلاح خمّاسًا

-استبداد الحكام : عانى سي محند على غرار مواطنيه، جور المستعمر الفرنسي واستبداده، وفكّر في أن الحل يكمن في الهرب بعيدا، أي الاغتراب. وقد قال في هذا الشأن ما يأتي:

Gulleɣ seg Tizi-Wezzu
Armi d Akeffadu
Ur hkimen dg' akken llan
A nerrez wal' a neknu
wessuɛɛAxir dda
Anda ttqewwiden ccifan
D elɣurba tura degg' qerru
Gulleɣ ar nenfu
quba ɣer yilfan ɛWala le

أقسمت أنه من تيزي وزو
إلى أكفادو
لا أحد سيجبرني على الانقياد لحكمه
الانكسار خير من الذل
اللعنة أفضل من
البقاء في بلد حكامه مستبدون
إن الغربة مكتوبة على الجبين
أقسمت على الذهاب بعيدا (المنفى)
خير من البقاء وسط المستبدين

عدم الرضى والبحث عن السعادة: إن حياة التشرد والتنقل من مكان إلى آخر، أدت بسي محند إلى البحث الدائم عن الاستقرار والسعادة لعدم رضاه عن الواقع المرير. ويقول في هذا الشأن ما يأتي:

ceq yemxallafɛZiɣen la
Ifreq d lesnaf
Kulwa dakken itmehhen
11. M. Feraoun, 1960: 51.
12. Y. Nacib, 1993: 103.
Abaad izehhu s lektaf
Zzehr-is yullaf
Iqqim netta d waazizen
Abaad meskin hat yenhaf
Dayen yebɣa ur t ittaf
S lehlak is d Rebbi g elmen

لا يمكن لأي كان أن يتكهن بما في القلوب
من حب يملئها
وكم من العذاب تقاسيه
يحب الواحد منا بكل ما أوتي من كمال
يصير ذلك المحبوب
الذي لا يفترق عن محبوبه مهما صار
بالنسبة للبعض هي معاناة
و توق إلى المستحيل
و حده الله يعلم كم يتعذب

- **التشرد**: لعل أهم لقب منح للشاعر سي محند هو "الشاعر المتشرد". وقد أشار في شعره إلى بعض رحلاته كتلك التي قام بها سيرا على الأقدام (يقال أنه كان دائما يتنقل سيرا على الأقدام) من الحراش في الجزائر العاصمة إلى ميشلي في ولاية تيزي وزو إذ يقول ما يأتي:

Si Lharach armi d budwaw
Ixerrav ettaviaw
Bwiɣ abrid si timci
Recdeɣk al fahem amusnaw
Tcev lmahnaw
Tzed ɣef meddan irkuli
Tennat I lkif d aselaw
Iveddal suraw
Ma d achiv dugi attwali

من الحراش إلى بودواو
نفسيتي تدهورت كثيرا
تنقلت راجلا
إني أرشدك أيها الحكيم
محنتي طبعها الشيب (أعاني لسنوات(
والناس كلهم يعانون
أصبح الحشيش مؤنسي
وغيّر صورتي
لكن الشيب لم يفارقني

وهكذا يواصل سي محند وصف رحلته التي زار فيها مناطق أخرى من الجزائر على غرار الثنية، وبرج امنايل، ولعزيب، وتادمايت، وبوخالفة، وغيرها وصولا إلى ميشلي حيث التقى أصدقائه بعد مرور زمن طويل. ويذكر في كل الأبيات حالته النفسية التي تتغير من منطقة إلى أخرى، والتي يطبعها التشاؤم غالبا .

-**المرض**: تحدث سي محند عن موضوع المرض في شعره. ومن خلال قراءتنا لقصيدة تناولت هذا الموضوع، استنتجنا أن سي محند كان يتحدث عن المرض النفسي الذي يلازم الإنسان ما دام يحيا حياة شقاء وعزلة. وهذه الأبيات مثال عن ذلك:

كل واحد منا يحب ذبح أضحية
بغية التخفيف من مرضه
غير أن المرض الذي أصابني خاص جدا
ولم يسمع به أحد
لا الرجال (الكبار) ولا الأطفال (الصغار)
إلا من لديه فكر ثاقب
أنت يا إلهي ترى كل شيء
وتعرف من يعاني الشقاء
إنني أنتظر العون منك.

-**التحسر على الأصدقاء الذين اختفوا وقت الحاجة**: تحدث سي محند أومحند عن الناس الذين عرفهم في فترة من فترات حياته، ثم أداروا له ظهرهم عندما كان في أمس الحاجة إليهم، فقال:

لقد غلبت من بلد أبي
هرب من كان يعرفني
نفيت إلى بلاد الغربة هلاّ بكيتم أيها الطلبة
ذوو العقول المستوعبة
وكثرت المحن لا تعرف الفرحة إلي طريقا:

- **اليهود**: نجد في أشعار سي محند إشارة إلى غدر اليهود الذين عمّروا في منطقة القبائل قبل الاحتلال الفرنسي وبعده. وعندما حصل اليهود الذين كانوا عملاء لفرنسا في الجزائر، على الجنسية الفرنسية بموجب قرار كريميو (Crémieux) سنة 1870 م، عمّ الإحباط في أوساط

سكان منطقة القبائل بحيث صاروا أسيادا عليهم، هم الذين يعيشون الذّل والحرمان في بلدهم بينما كان اليهود يتمتعون بالخيرات والعيش الهنيء. وفي هذا السياق، قال سي محند في إحدى قصائده ما يأتي:

وجدت يهوديا في الحامة اسمه مردخه- عليه بادية أمارات الثراء عندما كان يقتات ببيع الرديء - كنت له معينا ولأخواته مساعدا - أما وقد شيّد قصرا ففي ركب النصارى سائر - ناسيا ماضيه البئيس.

-**توحيد الخالق وتعظيمه**: تعلم سي محند أومحند القرآن في زاوية سيدي عبد الرحمان في صغره، ولكن قد يستغرب الواحد منا بأن هذا الشاعر الذي نقلت عنه مختلف الروايات بأنه كان يتعاطى الحشيش والخمر، قد تناول في أشعاره عظمة الخالق ودعاه إلى تخليصه من الأزمات التي توالت في حياته المتشردة. وهذه الأبيات مثال عن ذلك في قوله:

سبحانك إلهي يا واحد يا أحد - من واجبنا أن نحمدك ونتقبل إرادتك - في الماضي، عندما كنت محظوظا - كنت أرتل القرآن ولكل حرف أعطي معناه - الآن وأنا في الحضيض - لجأت إلى الحرام برغبتي - وأعلم علم اليقين أنني مائل عن الطريق المستقيم هذه إذن بعض الموضوعات الإنسانية التي تناولها سي محند أومحند في أشعاره. ونشير إلى أن معظم الأشعار، تحتوي على مفردات باللغة العربية أو باللغة الفرنسية، وهذا راجع إلى تأثر اللغة الأمازيغية بهاتين اللغتين.

<u>خلاصة</u>:

يبقى سي محند أومحند شعلة تضيء الأجيال. ورغم مرور أكثر من مائة عام على رحيله، لا يزال "الشاعر الجوّال" محل دراسات وندوات وأبحاث تعنى بإبراز التراث الشفوي الذي تركه لنا لنستقي منه تجارب الحياة، وغدر الزمان، ودروس المحن والاستفادة منها. وكما يقول المثل الشعبي: "سل المجرب لا تسل طبيب" (أي: اسأل المجرب لمحن الدهر ولا تسأل الطبيب)، إذن سي محند الذي جرّب الحياة بحلوها ومرّها، كان مرآة عكست السعادة والشقاء، والنجاح والفشل، والإيمان والقنوط. ليس فيما يخصه فقط، بل فيما يخص كل أفراد المجتمع مهما كانت توجهاتهم.

المحاضرة (3): الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية- المرجعية التاريخية والتطور

تمهيد:

يُعدّ الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ظاهرة أدبية وثقافية متميزة، نشأت في سياق تاريخي خاص طبعته فترة الاستعمار وما رافقها من تحولات عميقة مست البنية اللغوية والهوية الثقافية في الجزائر. فقد وجد عدد من الكتّاب الجزائريين في اللغة الفرنسية وسيلة للتعبير عن واقعهم الاجتماعي والسياسي، وأداة لنقل معاناة الشعب الجزائري وتطلعاته، سواء خلال فترة الاحتلال أو بعد الاستقلال.

وقد أسهم هذا الأدب في إبراز قضايا الهوية والانتماء، حيث اتخذ من الازدواجية اللغوية فضاءً للتعبير عن التوتر بين الأصالة والمعاصرة، وبين اللغة الأم واللغة المكتسبة. كما شكّل منبرًا لنقد الواقع الاجتماعي والسياسي، وسعى إلى إعادة كتابة التاريخ من منظور جزائري، يعكس صوت الذات ويقاوم مختلف أشكال التهميش.

ومن هذا المنطلق، يحتل الأدب الجزائري الفرنكوفوني مكانة بارزة ضمن الحقل الأدبي، لما يحمله من خصوصيات فنية وفكرية، تجعله مجالًا خصبًا للدراسة والتحليل، سواء من زاوية أدبية أو لغوية أو ثقافية. لكن قبل الحديث عن هذا الأدب المليء بالخصوصيات والرمزيات لا بد لنا من الوقوف عند الرواية عموما، التي تعتبر الحامل لهذه التجربة الفكرية.

1/مدخل: الرواية: ***مفهومها، خصائصها، عناصرها، أصولها، وأنواعها...***

هي عمل قصصي طويل، يروي أحداثا تقع لشخصيات حقيقية أو خيالية، وهي من أحدث الأنماط الأدبية السائدة.

أ- **التعريف اللغوي**:

من روى، يروي، رَيًّا ورِيًّا ورواية، فهو راوٍ، والجمع رواة، ونقول روى على البعير: استسقى، وروى الحاضرين: استقى لهم الماء، وروت الأمطار الأرض: سقتها. ونقول أيضا: روى

الأخبار نقلها، وذكرها، كما نقول: روى الشعر: استظهره ونقله، وروى الحديث النبوي: إذا ما سرده ونقله كما هو عن سنده ورواته.[1]

ومن هنا فكلمة " **رواية** " مشتقة من كلمة " الريّ " والتي تدل على نقل الماء من موضع إلى آخر لريّ الأرض وإرواء الظمآن وإزالة عطشه؛ ثم تغير معناها لتدل على نقل الخبر من شخص إلى آخر، وهذا ما يفسر ارتباطها بعلم الحديث النبوي الشريف، بعدها توسع الأدب في طرح مدلولها فأصبح يطلقها على *القصة الطويلة*.

ب- **التعريف الاصطلاحي**:

هي **سرد نثري طويل** يصف شخصيات خيالية، وأحداثا على شكل **قصة** تتسلسل حيثياتها، يصبو من ورائها مؤلفها، إلى ترسيخ القيم الانسانية والحضارية في المجتمع، و"هو جنس أدبي نثري* يصور حياة عدد غير محدد من الشخصيات، تتفاعل كلها في إطار عالم متخيل وممكن الحدوث، والزمن في الراواية لا حدود له، وهو ما يجعل حجم الرواية، يتسع ليكون أطول الأجناس الأدبية، كما لا توجد في الرواية قيود حول نوع الموضوعات التي تعالجها، أو عددها، فكانت بذلك أخصب الأجناس الأدبية"[2]

تتميز الرواية بحرية في الحركة والتعبير، مقارنة بالأجناس الأدبية الأخرى، وهذا ما يجعل كل رواية مختلفة عن الأخرى بما تعرضه من أحداث ووقائع، وتعزى هذه الحرية إلى اقترانها بعنصر الخيال الذي يوسع أفق التفكير، بما يرسمه من عوالم ولوحات لا نهاية لها، إذ يبني الروائي عمله الأدبي، مستندا على حدث واقعي، ويمزجه بأحداث من وحي الخيال، لا تمت للحقيقة بصلة، وهذا ما يجعل من الرواية، نصفها متشبث بأرض الواقع ونصفها الآخر معلق بالغيم لا يفارقه؛ وهدف المؤلف هو امتاع القارئ بالدرجة الأولى، والتأثير فيه في مرتبة ثانية، معتمدا على أسلوب شيق منمق، غني بشتى ألوان المجاز والصور البيانية، من تشبيه، وكناية واستعارة، بغية نقل الرسالة التي يريد إبلاغها، من خلال الشحنات الثقافية، الفكرية، الاجتماعية، والانسانية، التي تحملها الكلمات والعبارات والجمل، وهذا ما يمثل في نفس الوقت، عقبة في طريق المترجم، الذي لا يجد غالبا سبيله للتوفيق بين مضمون النص وقالبه.

---

[1] انظر: قاموس المعاني: مدخل " روى –رواية " www.almaany.com

[2] جمال جابر، **منهجية الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، النص الروائي نموذجا** " ط1، الكتاب الجامعي- العين- الإمارات العربية المتحدة، 2005، ص 33.

(*) بل يكاد يكون من أحسن وأجمل فنون الأدب النثري على الإطلاق.

والرواية زيادة على كونها جنسا أدبيا خياليا، فهي شكل من أشكال الثقافة ومرآة عاكسة للمجتمع بواقعه ومعاشه، ينقل عبرها المبدع عديد التناقضات التي يحيا فيها بنو جلدته، بين تخبط في واقع مرفوض وفي ظل حقيقة غير مرغوب فيها، وواقع منشود، مأمول، ومثالي يصعب بلوغه لأنه ببساطة ضرب من الخيال.

ت- <u>خصائص الرواية</u>:

للرواية بوصفها شكلا أدبيا، أربع خصائص تميزها عن باقي الأنماط الأدبية:

- شكل أدبي سردي يحكيه راو.*[1]
- أطول من القصة القصيرة، وتغطي فترة زمنية أطول، وتضم شخصيات أكثر.
- تكتب بلغة نثرية، لأنه الأسلوب الأمثل لسرد الأحداث والوصف.
- تعتمد على الخيال، بالرغم من كونها تروي وقائع حقيقية، فتجد الرواة يتعمدون في إيراد أحداث وشخصيات لا تمت للحقيقة بصلة، وهنا تكمن قمة الابداع.

ث- <u>عناصر بناء الرواية</u>:

تبنى الرواية على عناصر تحدد شكلها ومضمونها، وترسم كافة معالمها من أهمهما وأبرزها:

- **<u>الشخصيات</u>**: التي تدور حولها الأحداث، منها:

- **البطل**، الذي يمثل الشخصية المحورية في العمل الأدبي، فهو مفتاح ولوج القصة، ونقطة نهايتها، وتدور كل الأحداث عنه، عن حياته، شخصيته، وأفعاله...
- **الخصم**: ويشمل قوى الشر التي يناضلها البطل، والتي قد لا تتجسد في شخص بذاته يسعى لهزيمته، فقد يكون المراد هو الرغبة الجامحة في التغلب على سلوك خاطئ، بغية إصلاحه وتقويمه، ليكون التغيير في النفس لا في الغير.
- **الشخصيات المساعدة**: وتسمى أيضا الشخصيات الثانوية، التي تكمل الرواية، فدورها لا يعد أساسيا، لكن من دونها لا وجود للقصة من الأساس.

ويمكن أن تكون الشخصية القصصية:

✓ **بسيطة**: ونسميها أيضا <u>مسطحة</u>، وهي التي تبقى ملازمة لحالة واحدة وصفات ثابتة في الرواية مهما تغيرت الظروف، فبدايتها، سيرها ونهايتها معروفة، وأفعالها محسوبة

(*) بخلاف المسرحية التي تحكي أحداثها، الشخصيات الفاعلة فيها.

النتائج مسبقا، وهذا ما يجعلها لا تشد نظر القارئ إليها ولا تمتعه، وقد لا يجد رغبة حتى في متابعتها.

- ✓ **مركبة**: وتعرف أيضا بالنامية، وهذه الشخصية تتفاعل مع الظروف والأحداث، وتجلب انتباه القارئ إليها، فتجده يبدي رغبة شديدة في متابعتها، وتحري مواقفها، فيعجب بها أو يكرهها، وفي كلتا الحالتين، يحسب ذلك للمبدع لأنه يسجل في خانة نجاحاته، التي تحصى بقدرة الشخصية إلى تأدية الدور الذي تقلدته، على نحو يترك أثرا في القراء.[1]

- **الحبكة**: وهي الأحداث وطريقة بنائها:

تتمثل في سير الأحداث تجاه الحل، بدءا بالمقدمة التي تكون وصفا للمكان أو الزمان تمهيدا لسرد الأحداث، ثم العقدة التي تتوسط القصة وتشكل تأزم الأحداث والصراع بين الشخصيات ووصولها إلى الذروة، ثم الحل الذي يختم القصة ويرسم نقطة نهايتها، وهناك نوعان:

- **حبكة نمطية**: تسير وفقها الأحداث بالشكل المتعارف عليه، وفق تسلسل طبيعي انطلاقا من حدوث الأزمة، تصاعدها، ثم محاولة حلها.
- **حبكة مركبة:** حيث تبدأ أحداث القصة بالنهاية، وتكون العقدة هي المستهل، ثم يتم استعراض الأحداث التي أدت إليها بغرض التوصل بالنتيجة إلى حل لها.[2]

- **الموضوع**: هي القيمة التي تحملها الرواية ويدور حولها المضمون، وبعبارة أخرى، الرسالة التي يسعى الكاتب إلى نقلها للقارئ، والتي تتكشف شيئا فيشئا من خلال العقبات التي تواجهها الشخصيات.
- **الزمان والمكان:** وهو ما نطلق عليه اسم (الفضاء الروائي)

- ***الزمان***: ويمكن أن يدل على الزمن العام، الذي تدور فيه الرواية كحقبة زمنية معينة، أو الزمن الخاص والذي ندعوه زمن الرواية، حيث تعرض فيه القصة، فترة زمنية محددة كيوم واحد تدور فيه الأحداث، أو أكثر، ويمكن حتى أن يمتد بحيث يستغرق في بعض الروايات حياة الشخصية المحورية كلها.

---

[1] طه وادي، **دراسات في نقد الرواية**، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة 1994، ص.ص 25-28

[2] طه وادي، المرجع نفسه، ص.ص 28-32

- ***المكان***: الفضاء الذي تدور فيه الأحداث حيث يتم وصفها وصفا حياّ، لتمكين القارئ من التعايش معه من خلال إعادة رسمه في مخيلته بدقة، وتقفيه لأثر الشخصيات التي تتحرك ضمنه.[1]

- **أسلوب السرد**: الذي يتشكل وفقه البناء القصصي، وتتعدد الأساليب التعبيرية في الرواية نذكر من بينها:

- **السرد بضمير الغائب (هو) أو ضمير المتكلم (أنا)**: ويكون على لسان راو، شاهد على الأحداث، وقد يكون هو نفسه من إحدى شخصيات الرواية.
- **الحوار**: من خلال جعل الشخصيات تتكلم فيما بينها، تسأل، تتساءل، تجيب، وتعبر عموما عما يجول في نفسها من مكنونات.
- **المناجاة**: تحضر المناجاة في السير الذاتية، والروايات ذات البعد النفسي، وتتجلى من خلال مناجاة الشخصية لنفسها أسباب أزمتها.
- **الوصف**: تعتمد الرواية إلى حد كبير على الوصف تمهيدا للأحداث بتوضيح المعالم الزمنية والمكانية، وكذا ذكر مميزات الشخصيات التي تدور حولها الأحداث لتعطي للرواية فضاءا أوسع، وبعدا.[2]

ج- <u>أصول الرواية</u>:

تمتد أصول الرواية إلى الأدبين الاغريقي والروماني القديمين، حيث كانت الأنماط الأدبية السردية تكتب شعرا، وأشهرها الملحمة، التي تروي انجازات الأبطال الأسطوريين، على غرار الإلياذة والأوديسا لهومريروس؛ كما كتب الإغريق قصصا روائية طويلة خيالية تصف مغامرات العشاق، الرحلات والحب المثالي؛ وفي أوربا، كانت الرواية نوعا أدبيا، يُقبِل عليه الشباب من أجل الترفيه، تتلخص معظم موضوعاتها في قصص الفروسية الخيالية التي تتحدث عن الحب والمغامرة، هروبا من القيود التي كانت تفرضها الأسر الأوربية على أولادها، مانعة إياهم من كل ما من شأنه أن يزرع في عقولهم أفكارا، قد تؤدي بهم إلى

[1] <u>انظر</u>: طه وادي ، المرجع السابق، 32-38

[2] المرجع نفسه ، ص.ص 39-47

الرذيلة، وكان ذلك نفسه، هو موقف الكنيسة، التي ترى في هذا الفن تدنيسا للقيم الانسانية، لأنه مرتبط باللهو والمجون، مقارنة بالآداب السامية والنبيلة مثل الشعر.[1]

ويمكن أن نؤرخ لفن الرواية في الأدب الغربي مع نهاية القرن السادس عشر ميلادي، حيث تعد رواية ***دونكيخوتي دي لامانتشا***، **لسارفانتاس** Cervantes أول ما عرف تاريخ هذا الأدب في هذا المجال، لكن يعتبر القرن التاسع عشر، القرن الذهبي الذي ازدهر فيه هذا الفن وذاع صيته، ببروز أسماء كبار الروائيين مثل بالزاك Balzac ستاندال Stendhal ميريميه Mérimée ، زولا Zola ، فلوبير Flaubert هيجو Hugo و موباسونMaupassant [2] " فكان قرن الرواية بلا منازع، حظيت خلاله بإقبال القراء والنقاد جميعا، وصار النبوغ فيها مقفزا إلى المجد، وقد قوي الاهتمام بالواقع بالرواية خلال هذه الفترة"[3]

أما العرب فلم يعرفوا الرواية بشكلها وكنيتها، مثل نظرائهم من الغرب، بالرغم من وجودها مضمونا لديهم بداية من العصر العباسي مع بخلاء الجاحظ، أو حتى كليلة ودمنة؛ لكن الرواية، في شكلها الأدبي المتطور، لم تظهر إلا مع أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، متجلية في بعض المحاولات الروائية، التي نتجت عن الاحتكاك بالأدب الغربي وثقافته، وقد كان للترجمة دور بارز في نشر وتكييف الروايات الغربية بما يتماشى وذوق القراء، ولعل سليم البستاني كان من أهم الكتاب الذين ألفوا في هذا النوع القصصي " ولم يكن أحد في ذلك العهد يأخذ على عاتقه مهمة وضع القصص والروايات"[4] وكانت باكورة أعماله رواية الهيام في جنان الشام التي بدأ نشرها بمجلة الجنان في نوفمبر 1870، أما عن أول محاولة لنقل الرواية الغربية إلى العربية، فكانت على يد رفاعة الطهطاوي في ترجمته لرواية Fenelon لمغامرات تليماك les Aventures de Télémaque باسم: *مواقع الأفلاك في وقائع تليماك*.

ويجمع النقاد على أن أول رواية عربية ناضجة، حاملة للمقاييس المعروفة لدى الغربيين، جاءت على يد حسين هيكل في روايته *زينب* التي نشرت في 1914، وشاعت بموجبها الرواية العربية في أقطارنا قاطبة، مقتبسة ومترجمة، واتخذت مسارات متعددة

---

[1] طه وادي، المرجع السابق، ص.ص 9-14

[2] Voir : Alfred NETTEMENT, **Le Roman Contemporain : ses vissitudes, ses divers aspects, son influence**, Jacques Lecoffre, Librairie Editeur, Paris, 1864, P118-128. Voir aussi : Antoine ADAM, Georges LEMINIER, Edouard MOROT-SIR, **Littérature Française**, Tome second, Librairie Larousse, 1968, PP 88-113

[3] الصادق قسومة، **الرواية مقوماتها ونشأتها في الأدب العربي الحديث**، مركز النشر الجامعي، 2000، ص.ص 57-58

[4] المرجع نفسه، ص 352

بفعل تطور المجتمع العربي، حيث انتشرت الروايات الرومانسية على غرار *دعاء الكروان* لطه حسين و *عودة الروح* لتوفيق الحكيم، وثلاثية القاهرة ممثلة في *بين القصرين، قصر الشوق، والسكرية** لنجيب محفوظ، الذي يعد حقا الأب الروحي للرواية العربية، لأن أعماله، أضافت إلى أجواء الرواية، عوالم أرحب وأوسع، وأضفت عليها رؤية جديدة، وكانت حتى سببا في حصوله على جائزة نوبل في الأدب سنة 1988.[1]

ح- **أنواع الرواية:**

تتعدد أنواع الرواية بتعدد المواضيع التي تناقشها ويمكن أن نميز في هذا الصدد بين:

- **الرواية العاطفية**: التي تغلب عليها قصص الحب والمثالية، وتقوم عقدة الرواية فيها على المغامرة العاطفية، وتتابع الأحداث فيها، يعبر عن القلق الوجداني الذي يحيط بأبطال الرواية لكي يتم الوصول إلى تبادل العلاقة المثالية.
- **الرواية البوليسية**: وتسمى أيضا رواية الجريمة، قوامها التشويق والإثارة، حيث تقدم الرواية ألغازا يسعى القارئ إلى حلها طوال رحلة قراءته للرواية.
- **الرواية التاريخية**: تستمد أحداثها وشخصياتها من التاريخ، فهي توثيق للصلة بالماضي، من خلال سرد حياة أبطال، شهدتهم العصور السابقة.
- **الرواية السياسية:** تناقش القضايا السياسية الموجودة على الساحة، بشكل مباشر أو رمزيا، من خلال إظهار الصراع مع أنظمة الحكم الفاسدة.
- **الرواية الوطنية**: وهي روايات التضحية من أجل الوطن والسعي وراء الحرية.
- **الرواية الواقعية**: سرد قصص لأشخاص واقعيين وأحداث حقيقية، تهدف إلى تغيير الواقع بما تقدمه لخدمة المجتمع وإصلاحه بتدعيم القيم الإيجابية.
- **الرواية الفلسفية**: تقدم أراءا ومعارف فلسفية على لسان شخصيات الرواية، وتنقل كيفية تأثيرها على حياة الانسان اليومية.[2]

كما أن هناك أنواع أخرى للروايات*[1]*ابتدعها المحدثون، تتقاسم كلها خصائص الرواية التقليدية، لكنها تختلف من حيث تناولها للأحداث والوقائع، وتركيزها على بعض القيم التي تسعى إلى إبرازها، لبلوغ هدف معين لدى القراء.

---

[1] انظر: محمد سيد البحراوي، **بواكير الرواية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007، ص.ص 53-54. وانظر أيضا: عبد المحسن، طه بدر، **تطور الرواية العربية الحديثة**، الطبعة الثالثة، دار المعارف، 1976، ص.ص 27-38

(*) تضاف إليها كذلك " خان الخليلي، وزقاق المدق "..

[2] Voir : Alexandre BEZIERS, **Histoire Abrégée de la Littérature**, Imprimerie Lepelletier, Havre, 1868, P150

ومن تلك الروايات:

2/ الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية: نشأتها وتطورها

تعتبر الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، من المواضيع التي لا جدال في أهميتها الفكرية، الاجتماعية والفنية. وقد لاقت اهتماما كبيرا، رغم أنها من المواضيع الشائكة في الكتابات الأدبية القديمة والحديثة، من حيث التشكيك في شرعيتها وانتمائها الوطني، وكذا مضامينها.

ويختلف الدارسون والنقاد بشأن تصنيف هذا النوع الروائي، كونه لا ينتمي إلى الرواية العربية إجمالا، لأنه غير مكتوب باللغة العربية، ولا ينتمي للأدب الفرنسي، بالرغم من اشتراكه معه في نفس اللغة، لأنه يسلط الضوء على عالم مختلف ثقافيا، ويروي قصصا أبطالها جزائريون، يفترض أنهم ناطقون بالعربية، وأحداثا تدور معظمها في أرجاء الجزائر بما رحبت، وعلى امتداد مساحتها سهولا وصحاري.

وحتى النقد الفرنسي لهذه الرواية مقسم إلى قسمين: **قسم** ينظر إلى أنها أدب وطني جزائري، يحاكي المأساة الوطنية، واللغة الفرنسية وسيلة فقط لعدم إتقان كتاب تلك الفترة، العربية الفصحى، بسبب سياسة الاستعمار، أما **القسم الثاني** فيرى بأنها رواية فرنسية، لأن هؤلاء الكتاب نتاج المدرسة الفرنسية.[2]

وهنا نجد أنفسنا أمام سؤال أساسي يفرض نفسه بقوة: ما الأسباب التي أدت إلى ظهور هذا النوع من الأدب؟ وما الدوافع التي جعلت مبدعي هذا النوع من الروايات يختارون من الفرنسية لغة لكتابتهم ومطيتهم للتواصل مع القارئ؟

(**) **رواية المتشردين**: التي يكون فيها البطل شخصا يعاني اجتماعيا. **الرواية القوطية**: التي يغلب عليها طابع الغموض والرعب، وتدور أحداثها في القلاع، والممرات الضيقة، والأماكن المخيفة. **الرواية التعليمية**: ظهرت نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، ووضعت أساسا من أجل مناهج التدريس للصغار. **الرواية الرخيصة**: وهي قصص مثيرة، وعديمة القيمة الأدبية. **الرواية الوجدانية**: تثير وجدان القارئ وتعاطفه بتقديمها الموضوع بطريقة غير واقعية. **الرواية النفسية**: التي تخاطب النفس البشرية، فالأحاسيس الداخلية هي التي تؤثر وتحرك الأحداث الخارجية. **رواية السلوك**: تعيد خلق العالم الاجتماعي من حولنا من خلال نقل مشاهدات دقيقة ومفصلة عن العادات والقيم والأخلاقيات للمجتمع. **الرواية الرسائلية**: تقدم في شكل سلسلة من الرسائل التي تكتب بواسطة شخص أو أكثر. **رواية السير الذاتية**: تركز على حياة فرد في فترة صغره، وسلوكه الاجتماعي والأخلاقي حتى بلوغه. **رواية الطبقات الاجتماعية**: ظهرت في أوائل القرن التاسع عشر، ترسم صورة الطبقات الاجتماعية العليا في أوربا من قبل فرد أو أفراد ينتمون إلى هذه الطبقة.

[2] انظر: غنية كبير، **النقد الأكاديمي العربي وتلقيه للرواية الجزائرية التأسيسية والتأصيلية**، بمناسبة اليوم الدراسي الوطني الثالث حول السرد " فلسفة السرد" الذي نظمه قسم اللغة والأدب العربي بالتنسيق مع الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية-فرع ولاية برج بوعريريج (10-04-2016)

ولعل من أهم أسباب ظهور هذا النوع من الكتابات، ظاهرة الاستعمار الفرنسي، ومحاولته غرس بذور لغته باستعمال شتى الوسائل، ولا سيما الترغيب والترهيب، طمس الهوية الوطنية، وتوطيد دعائم الاستيطان، بإنشاء مدارس مختلطة تضم أقليات جزائرية، وتعليم اللغة الفرنسية، لغة، ثقافة وحضارة، ومحاربة العربية بحظر استعمالها في التواصل الرسمي، وطردها تماما من خارطة البلد اللسانية، لبناء دعائم جزائر جديدة...جزائر فرنسية.

لقد مزق الاستعمار الفرنسي النسيج الاجتماعي الداخلي للمجتمع الجزائري من خلال سياسة الإلغاء الديني والطبقي والجنسي؛ كما اتبعت الإدارة الاستعمارية الفرنسية طيلة ما يفوق المائة سنة قانون الأفيون والعصا كما سماها مولود معمري: ترغيب الأقليات وإغوائها وترهيب الأغلبية واستعبادها، وحاولت أن تزرع التفرقة بين أفراد الشعب فخلقت هوة بين مختلف الطبقات.

وكان موقف الطبقة المثقفة الفرنسية مخزيا حيث تراوح بين التجاهل التام، التزام الحيادية، أو تشجيع الوجود الاستعماري في هذه البلاد التي فتحت ابواب خيراتها أمام فرنسا، ففيكتور هيجو *Victor Hugo* صاحب رواية البؤساء، انشغل بقضايا محلية واكتفى بالتصريح بأن احتلال الجزائر وصمة عار لفرنسا، أما لامارتين *Lamartine* فقد ايّد الاستعمار، في حين كان Balzac يأمل في أن تجلب هذه الأراضي خيرا كثيرا؛ ومن جهة أخرى صوّر آلفونس دوديه *Alphonse Daudet* من خلال كتاباته البؤس الجزائري، ورأى موباسون *Maupassant* في الجزائر كل شيء جميلا ما عدا الوجود الفرنسي.

وقد ذكر ألبير ميميه Albert Memmi الكاتب الفرنسي التونسي في عمله الذي يصف فيه صورة المُستَعمَر: " لقد انتزع ماضيه، وأوقف في مستقبله، تقاليده تحتضر، وضاع أمله في تكوين ثقافة جديدة، إنه لا يملك لغة، ولا علما ولا فنا، ولا وجودا وطنيا أو عالميا، لا حقوقا ولا واجبات، إنه لا يملك شيئا ولم يعد شيئا يذكر، ولا يأمل شيئا ".

في هذا الجو المليء بالصراعات وبالنزاعات القتالية حينا وبالاستقرار والخمول أحيانا أخرى، وُلد الأدب الجزائري وكان ميلاده نتيجة عوامل كثيرة تجمعت بحكم الصراع الداخلي والخارجي...صراع أفضى سياسيا إلى مظاهرات 8 ماي 1945، وفضح روح القتال الجزائرية التي لم تطمس، فأرخ لمرحلة جديدة استأنف فيها الصدام بين الجزائريين والفرنسيين.

كان هذا اليوم رمزا لنهاية الحرب لعالمية الثانية حيث تعلم الشعب الجزائري درسا من خلال تجربته في هذه الحرب: " تموت الشعوب لأجل أوطانها " لقد شكل الإبداع الأدبي وعيا جديدا للإنسان الجزائري.

إن الأدب الجزائري المكتوب بلغة فرنسية نما وتطور نتيجة ظروف ثقافية وسياسية، فالأقلام التي تحررت وتحركت بعد أحداث 8 ماي 1945 لم تعبر إلا عن الاستياء العام والغضب الشامل من الواقع الأسود، فولدت الرواية نتيجة حالة من الانفجار والاحتجاج، وصورة الجزائر كانت حاضرة كمرآة في الأدب المكتوب، وكل كاتب نقل اللوحة من جانب محدود وكان يكفي أن تجمع كل اللوحات لتكون الشكل الأخير من مأساة الجزائر.

اتفقت الآراء النقدية في تحديد انتماء الكتاب الجزائريين انتماء جغرافيا بالدرجة الأولى، فكل كاتب مارس وظيفته على أرض الجزائر هو جزائري، دون الرجوع إلى لغته وانتمائه التاريخي، فرأى جون سيناك Jean Sénac " أن الكاتب الجزائري كل كاتب اختار أن ينتمي إلى الأمة الجزائرية" أما عايدة أديب بامية فقالت أن: " الأدب الجزائري هو كل عمل أدبي مؤلف سواء باللغة العربية أو باللغة الفرنسية من قبل أي من سكان الجزائر الأصليين "

كانت بواكير الرواية الجزائرية، التي همشت واتهمت بعدم نضجها، على يد ثلة من المثقفين الجزائريين الذين كانوا من خريجي المدرسة الفرنسية، سواء أساتذة أو موظفين، أو من وجهاء في المجتمع، وكان هؤلاء من أنصار مبدأ الاندماج والمساواة بالفرنسيين، نذكر منهم ماري لويز عمروش *Marie Louise Amrouche* المدعوة طاوس عمروش التي تعتبر أول روائية جزائرية مع عملها **jacinthe noire** الياقوتة السوداء 1947، وكذا الصحفية جميلة دباش *Djamila Debbache* التي أسست مجلة l'action الشهرية وصاحبة رواية " ليلى الشابة الجزائرية " *Leila jeune fille d'Algérie* في 1947.

يؤرخ لأول قصة بقلم جزائري في 1891 بعنوان *انتقام الشيخ La vengeance du Cheikh* كتبها أمحمد بن رحال[1]، وأول سلسلة قصصية، كانت من توقيع أحمد بوري[2] نشرت في صحيفة الحق في 1912 تحت عنوان *مسلمون ومسيحيون Musulmans et chrétiens* أما أول رواية باللغة الفرنسية فكانت: *أحمد بن مصطفى الثومي* من تأليف القايد بن شريف في

---

[1] M'hamed BEN RAHHAL, **la vengeance du Cheikh**, la Revue Algérienne et Tunisienne, Littéraire et Artistique (3ème trimestre, N° 13, 26 Septembre 3 Octobre, 1891) *cité dans* : جبور أم الخير، **الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية: دراسة سوسيونقدية**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران، 2011/2010، ص21

[2] Ahmed BOURI, **Musulmans et chrétiens**, Journal El-Hack, 1912 *cité dans* : جبور أم الخير المرجع السابق، ص21

1920، وتبعتها عناوين أخرى*، ويرى رواد هذه الفترة بأن لفرنسا أفضال مادية ومعنوية عديدة على الشعب الجزائري، " وأن من حظ الجزائريين أن تكون الدولة الأكبر والأكثر حضارة هي المعلمة، فمعها تمكن الجزائري من أن يخطو خطوات عملاقة وكذلك فالغاية التي ينزع إليها هي الفرنسة أي منح روح فرنسية وتفكير غربي"[1] وواضح أن هذا العدد المحدود من المحاولات الأدبية لا يمثل مصدر فخر** إذا ما قيس بطول فترة الاحتلال، وخصوصا أن فرنسا قد حضّرت إعلاميا، حدث احتفالها بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر، وباركت هذا النوع من الأعمال الإبداعية، لتظهر أمام الرأي العام العالمي أنها حملت فعلا رسالة حضارية إلى هذا البلد المتخلف.

ثم أتت فترة أخرى، عرفت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية بموجبها، تغيرا جذريا في تناول الحقائق، ولا سيما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، والتفات الجزائريين إلى أنفسهم، وإلى موقعهم من العالم الخارجي، فطفت على السطح أسئلة عن الكينونة والهوية على سبيل: من هو هذا الجزائري؟ إن كان فرنسيا، فلِمَ لا يعيش في نفس أوضاع الفرنسيين، ويحظى بامتيازاتهم؟ لِمَ يأتي في المرتبة الأخيرة حتى بعد بهائم وحيوانات الأسياد؟ لِمَ يعيش دوما في التأخر والبؤس، وفي الذل والهوان؟ وإن كان جزائريا، فما الداعي لوجود هؤلاء الفرنسيين معه؟ لِمَ لا يكون سيد أفعاله وقراراته؟

تحدث مولود معمري عن تلك الفترة قائلا: " خلال الحرب العالمية الثانية، حدثت أشياء كثيرة شاركنا فيها نحن الجزائريين، فشعرنا على إثرها بتهيب وابتهاج، أن خروجنا من المأزق ممكن، فخرجنا من ذلك بالكتابة قبل أن نخرج منه في الواقع "[2].

" لم يكن من السهولة على هؤلاء الكتاب الجزائريين التخلي عن لغتهم (العربية والقبائلية) واللجوء إلى لغة المستعمر، فتخلي مجتمع من المجتمعات عن لغته يقارب حالة الانتحار والموت المعنوي"[3] لكن الظروف التي كانوا يعيشونها فرضت عليهم ذلك، وهم استغلوها كما استطاعوا، فبينما كان المجاهدون يحاربون بأسلحتهم، كانوا هم يناضلون

---

[1] جبور أم الخير، **الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية: دراسة سوسيونقدية**، المرجع السابق، ص 22، (وهو رأي رابح زناتي، صاحب رواية "بولنوار الجزائري الشاب " في مقال له عن القضية الجزائرية بمنظور جزائري مسلم)

(*) على سبيل المثال لا الحصر: " **زهرة زوجة المنجمي** " لعبد القادر حاج حمو في 1925.- Abdelkader HADJ HAMOU, *Zohra la femme du mineur*

(**) قوبلت هذه الروايات بالرفض بحجة أنها مضادة للوطنية.

[2] انظر: عايدة أديب بامية، **تطور الأدب القصصي الجزائري**، ديوان المطبوعات الجزائرية، 1982

[3] انظر جبور أم الخير، المرجع السابق، ص 36

بأقلامهم بغية إيصال صوتهم إلى العالم الخارجي، وفي المحافل الدولية؛ وشاءت الأقدار أنهم استعملوا لغة المستعمر وحاربوه بها، باعتبار أن اللغة قوة والكتابة رمزها.

وفي هذا الصدد قال مولود معمري: "إنني على ثقة أكيدة بأن المناضل يطلق النار على الآخرين، وفي الإمكان أن نطلق العبارات النارية بواسطة القلم، هذا هو حال الكاتب "[1] كما ساهم هذا الأدب في فضح حقيقة التواجد الفرنسي في جزائر الأم، لنهب الخيرات وطمس الذات، فكتب الواقع بلغة الآخر، ونقل الحقيقة كما كان يعيشها السكان الأصليون دون مبالغة، فالروائيون "عايشوا بجوارحهم كشهود وفاعلين، الاستلاب الثقافي والحرب التحريرية والظروف القاهرة تحت الحكم الاستعماري، وتوجيه العمال إلى فرنسا والتمرد على سلطة الأولياء وغيرها من الحالات، فرسالتهم كانت تمرد وتهديد، تلخصه الصياغة التالية: لا بد أن تتغير الأمور "[2].

وكانت *الدار الكبيرة La grande maison* لمحمد ديب 1952 دليل على تغير نمط الكتابة الذي رجحت فيه الكفة، إلى تصوير حقيقة الجزائري في ظل وجود المستعمر الغاصب، حيث وصفت الفقر والجوع السائد نتيجة الاحتلال، وبذلك تجاوزت الرواية صالونات المثقفين ومناقشاتهم القومية عن العدالة والمساواة في ظل الحكم الاستعماري، ووهم التعايش السلمي، لتغوص إلى أعماق المجتمع الجزائري باهتمامها بهموم البسطاء من الناس؛ وتوطدت هذه الفكرة مع ظهور روايتي *الحريق l'Incendie* 1954 و *النول Le métier à tisser* 1957 لنفس الكاتب، واللتان تعتبران امتداد للدار الكبيرة، ومرآة، لمعاناة الفئات الأخرى من الشعب، ونحن نقصد فئة الحرفيين، والفلاحين، إذ اختلفت الحرف والمهن، والوضع المزري واحد.

وتتالت الأعمال بأقلام مبدعي العصر أمثال كاتب ياسين، مولود معمري، آسيا جبار، مالك حداد، وقد تركت الثورة التحريرية، ظلا كبيرا على الرواية الجزائرية، إذ بقي نمط الكتابة واحدا في كل المحاولات الأدبية، فكلها كانت تتحدث عن الثورة التحريرية الكبرى*[3]، إلى غاية صدور رواية *التطليق la répudiation* 1969 لرشيد بوجدرة، إذ ولدت بذلك مرحلة جديدة في الكتابة الروائية، مرحلة كان ينبغي أن تواكب الثورة الاشتراكية لتخليص الأمة من الجهل والتخلف الذي خلّفه الاستعمار.

---

[1] انظر: عايدة أديب بامية، المرجع السابق، ص137

[2] انظر جبور أم الخير، المرجع السابق، ص 33

(*) Citons à titre d'exemple : **les enfants du nouveau monde** de : Assia DJEBBAR (1962) et **L'opium et le bâton** de Mouloud MAMMERI (1965)

لقد انتقد مبدعو تلك الفترة، عبر كتاباتهم، الأوضاع الاجتماعية القاسية التي كان يعيشها الفرد، وتطرقوا لمشكلة الانتماء، والهوية الوطنية الجزائرية، نذكر من هذه الأعمال *المنفى والحيرة L'exil et le désarroi 1976* لنبيل فارس، و *العبور La traversée* 1982 لمولود معمري.

ومع مطلع التسعينات، وصعود المد الاسلامي ودخوله معترك السياسة، ظهر نوع آخر من الأعمال الروائية التي راحت تنتقده نقدا لاذعا، سمي هذا النوع **بأدب الأزمة**، أو **الأدب الاستعجالي**، أو **رواية المحنة****[1]، ومن أهم الأعمال التي صورت هذا الواقع روايتي *حزام الغولة La ceinture de l'ogresse* 1990 و *اللعنة La malédiction* 1993 لرشيد ميموني.

وتلتها العشرية السوداء، التي برزت خلالها أعمال، جسدت تلك الفترة التي وقعت فيها الجزائر في مواجهة دموية تشابكت فيها خيوط الأزمة، وتحولت البلاد إلى مسرح دموي تتصارع فيه أحزاب مختلفة، اسلامية متعصبة، وعصرية متفتحة؛ وغير بعيد عن تلك الأحداث، كان الروائي يأخذ مادته من الواقع العصيب الذي كان يعيشه هو ومن حوله، فسجل شهادة للواقع بحَرفيّة وحِرَفيّة، في قالب سردي زاوج بين فنية الأدب وواقعية الأحداث، فعندما تتعقد الحياة، لا يجد الكاتب سوى أن يعبر عن واقعه، واضعا مخيلته على جنب، لتصبح المشاكل المطروحة في الرواية والتي تعاني منها الشخصيات، هي نفسها المشاكل التي يعاني منها الفرد في المجتمع.

ومن أبرز الروائيين الذي برزوا في تلك الفترة آسيا جبار، رشيد بوجدة، ومحمد مولسهول المعروف باسم ياسمينة خضرة، والذي وصل بإبداعه إلى العالمية، ولا سيما مع روايته الشهيرة بم *تحلم الذئاب A quoi rêvent les loups* التي تعد من أهم النماذج الروائية المعاصرة، التي تناولت قصة الوطن في زمن المحنة بنجاح، حيث حققت نسبة مقروئية واسعة في مختلف الأوساط وفي شتى أقطار العالم***[2]

(**) وتنعت أيضا: " رواية العنف " " الرواية السوداء " " الرواية الاستعجالية "

(***) بفضل ترجمتها إلى عديد اللغات.

المحاضرة (4): موضوعات الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية

تمهيد:

يُعدّ الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية من أبرز الظواهر الأدبية التي نشأت في سياق تاريخي وثقافي معقّد، ارتبط أساسًا بتجربة الاستعمار الفرنسي وما خلّفه من تحوّلات عميقة في الهوية واللغة والتعبير. فقد وجد عدد من الكتّاب الجزائريين أنفسهم يكتبون بلغة المستعمِر، ليس بوصفها أداة خضوع، بل كوسيلة للتعبير عن ذواتهم، ونقل معاناة شعبهم، ومقاومة الهيمنة الثقافية. وهكذا تحوّلت اللغة الفرنسية إلى فضاء إبداعي مزدوج، يجمع بين التوتر والثراء، وبين الانتماء والاغتراب.

وقد تناول هذا الأدب موضوعات متنوّعة تعكس تعقيدات الواقع الجزائري، في مقدّمتها قضية الهوية التي شكّلت هاجسًا مركزيًا لدى الكتّاب، حيث سعوا إلى التوفيق بين الانتماء الوطني واللغة الأجنبية. كما برزت موضوعات الاستعمار والمقاومة، وما رافقهما من عنف وصراع، باعتبارها خلفية تاريخية أساسية أثّرت في تشكيل الوعي الأدبي. إلى جانب ذلك، حضرت الذاكرة الجماعية بقوة، خاصة في استحضار مآسي الماضي ومحاولة إعادة كتابة التاريخ من منظور جزائري.

ومن جهة أخرى، انفتح الأدب الجزائري الفرنكوفوني على قضايا اجتماعية وثقافية، مثل وضع المرأة، والتحولات الاجتماعية، والهجرة، والاغتراب، فضلًا عن إشكاليات الحداثة والتقليد. كما تميّز بتعدّد الأصوات والأساليب، حيث مزج بين السرد الواقعي والتجريب الفني، واستثمر التراث المحلي في قالب لغوي أجنبي.

وعليه، فإن دراسة موضوعات الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية تمكّن من فهم أعمق للتحوّلات التي عرفها المجتمع الجزائري، كما تكشف عن قدرة الأدب على تجاوز الحدود اللغوية ليصبح أداة للتعبير عن قضايا إنسانية كونية، تنطلق من المحلي لتلامس العالمي.

1- موضوعات الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية:

1.1- الاستعمار والمقاومة:

يُعدّ موضوع الاستعمار والمقاومة من أهمّ الموضوعات المحورية في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، بل يمكن اعتباره الأساس الذي انبثقت منه أغلب الرؤى السردية والشعرية في هذا الأدب. فقد جاء هذا الإنتاج الأدبي في سياق تاريخي اتّسم بالاحتلال الفرنسي للجزائر (1830–1962)، وما رافقه من سياسات قمعية هدفت إلى السيطرة على الأرض والإنسان، وطمس الهوية الوطنية بكل مكوّناتها اللغوية والثقافية والدينية. لذلك، لم يكن الأدب مجرّد تعبير جمالي، بل تحوّل إلى شهادة تاريخية ووسيلة مقاومة رمزية في وجه الاستعمار.

لقد قدّم الكتّاب الجزائريون بالفرنسية صورة دقيقة عن واقع الاستعمار، حيث تم تصوير الفقر والتهميش الاجتماعي، وانتزاع الأراضي، والعنف الممارس على السكان الأصليين. ففي رواية "*نجمة* (Nedjma)" لـ Kateb Yacine، تتجلّى فكرة الاستعمار من خلال بناء سردي معقّد يعبّر عن تشظّي الهوية الجزائرية تحت وطأة التاريخ الاستعماري، حيث تصبح الشخصية الرئيسية رمزًا لوطن ممزّق بين الذاكرة والأسطورة والواقع. كما يعكس العمل بشكل غير مباشر آثار الاستعمار على الفرد الجزائري من خلال التمزق الداخلي وفقدان الاستقرار الهوياتي[1].

وفي السياق نفسه، نجد أعمال Assia Djebar تمثل نموذجًا بارزًا، حيث تتناول آثار الاستعمار من زاوية المرأة الجزائرية، مسلطة الضوء على القمع المزدوج: الاستعماري والاجتماعي، مع استحضار الذاكرة النسوية كجزء من المقاومة الثقافية. تتناول الرواية حياة شابة جزائرية من الطبقة البرجوازية تعيش حالة من الاغتراب الداخلي والبحث عن الذات داخل مجتمع مضطرب.

[1] ينظر: أحمد المنور، **الأدب الجزائري باللسان الفرنسي: نشأته وتطوره وقضاياه**، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، 2017

ورغم أن موضوعها لا يركّز مباشرة على المقاومة المسلحة، إلا أنها تعكس بشكل غير مباشر توتر المجتمع الجزائري تحت الاستعمار، خاصة من خلال صراع الهوية الأنثوية والقيود الاجتماعية.

أما المقاومة في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، فقد اتخذت أشكالًا متعددة، لم تقتصر على وصف الكفاح المسلح فحسب، بل تجاوزته إلى المقاومة الفكرية والرمزية. فقد عبّر الكتّاب عن الثورة الجزائرية بوصفها لحظة تأسيسية للوعي الوطني، كما في كتابات Mouloud Feraoun، خصوصًا في "*يوميات 1955–1962*" (Journal 1955–1962)، حيث يقدّم شهادة إنسانية مؤثرة عن حياة الجزائريين أثناء الثورة، ويكشف عن قسوة الاستعمار الفرنسي من منظور إنساني بعيد عن التهويل أو التبسيط. وحتى لو التفتنا إلى محمد ديب نراه يتحدث عن مقاومة الشارع الجزائري من خلال ثلاثيته " الدار الكبيرة، الحريق، والنول " بانتقاله من المدينة، إلى الريف إلى عالم الحرفيين، مبرزا معاناتهم ويلات الاستعمار من جهة، ومقاومتهم التي يشير إليها من خلال بعض الرموز التي يطلقها عبر شخصية حميد سراج، وعمر وغيرهم من أبطال رواياته التي تشكل شهادة حية لجزائر الاستعمال.

كما نجد عند Mouloud Mammeriحضورًا قويًا لفكرة المقاومة الثقافية، حيث يسعى في أعماله إلى الحفاظ على الهوية الأمازيغية واللغة والتراث الشعبي، باعتبارها شكلًا من أشكال الصمود في وجه محاولات الطمس الثقافي. وهكذا تصبح المقاومة عنده فعلًا ثقافيًا يوازي المقاومة السياسية.

ولا يمكن إغفال البعد الرمزي للمقاومة في هذا الأدب، حيث يتم توظيف اللغة الفرنسية نفسها كأداة مقاومة، إذ يقوم الكاتب بإعادة تشكيلها وتطويعها للتعبير عن واقع جزائري محلي، بما في ذلك إدخال المفردات العربية والأمازيغية وإيقاعات الثقافة الشعبية. وهذا ما يمنح النصوص طابعًا هجينًا يجمع بين لغة المستعمِر وروح المستعمَر، ويحوّل الكتابة إلى فضاء صراع لغوي وثقافي.

وفي المجمل، يمكن القول إن ثنائية الاستعمار والمقاومة في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ليست مجرد موضوع سردي، بل هي بنية فكرية وجمالية تعكس تجربة شعب

كامل في مواجهة الاحتلال، كما تكشف عن قدرة الأدب على تحويل الألم التاريخي إلى خطاب إبداعي يحمل الذاكرة ويعيد إنتاجها في شكل فني وإنساني عميق.

2.1- الهوية والازدواجية اللغوية:

يُعدّ موضوع الهوية والازدواجية اللغوية من أبرز القضايا التي شغلت الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، حيث يعكس هذا الأدب حالة التوتر العميق التي عاشها الكاتب الجزائري بين انتمائه الثقافي والوطني من جهة، واعتماده على لغة المستعمِر كوسيلة للتعبير من جهة أخرى. وقد أفرز هذا الوضع ما يُعرف بازدواجية الهوية، حيث يجد الكاتب نفسه ممزقًا بين لغتين، وثقافتين، ومرجعيتين حضاريتين مختلفتين.

لقد ارتبطت إشكالية الهوية في هذا الأدب بسؤال جوهري مفاده :كيف يمكن التعبير عن الذات الجزائرية بلغة أجنبية؟ وهو سؤال ظلّ يؤرق العديد من الكتّاب، مثل Kateb Yacineالذي وصف اللغة الفرنسية بأنها "غنيمة حرب"، في إشارة إلى تحويل لغة المستعمِر إلى أداة مقاومة وتعبير. ففي روايته "*نجمة*(Nedjma)" ، تتجلى هذه الازدواجية من خلال بناء سردي متشظٍ يعكس ضياع الهوية الجزائرية تحت ضغط التاريخ الاستعماري، حيث تتداخل الأزمنة والأصوات، وكأن النص نفسه يعيش حالة انقسام داخلي[1].

كما نجد هذا الصراع بوضوح عند Mouloud Mammeri، الذي كتب بالفرنسية لكنه ظلّ مدافعًا عن اللغة والثقافة الأمازيغيتين، فكان مشروعه الأدبي محاولة للتوفيق بين الانتماء المحلي والوسيط اللغوي الأجنبي. وفي السياق نفسه، عبّر Mouloud Feraoun في رواياته مثل "*ابن الفقير* (Le Fils du pauvre) "عن معاناة الفرد الجزائري الذي يسعى إلى التعلم والارتقاء الاجتماعي عبر المدرسة الفرنسية، لكنه في المقابل يواجه خطر الاغتراب عن جذوره.

أما Assia Djebar، فقد جعلت من اللغة والهوية محورًا أساسيًا في مشروعها الأدبي، حيث اعتبرت الكتابة بالفرنسية نوعًا من "المنفى اللغوي"، لكنها في الوقت نفسه وظّفت هذه اللغة لإحياء الذاكرة الجزائرية، خاصة ذاكرة النساء المهمّشات. ففي أعمالها، تتداخل

[1] ينظر: إينال أمينة، الميلود قردان، شايبي عبد الرحمين، **الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، إشكالية الهوية أو البحث عن الذات**، فصل الخطاب، مجلد 4 رقم 1، 2015، ص.ص (45-52)

الفرنسية مع العربية والأمازيغية، سواء على مستوى المفردات أو الإيقاع أو الرؤية، مما يخلق نصًا هجينًا يعكس تعددية الهوية الجزائرية.

ولا تقتصر الازدواجية اللغوية على مستوى اللغة فقط، بل تمتد إلى البنية الفكرية للنص، حيث نجد الكتّاب يعيشون بين منظومتين ثقافيتين: تقليدية وحديثة، محلية وغربية. وهذا ما يجعل النص الأدبي فضاءً للتفاوض بين هذه المرجعيات، وليس مجرد انعكاس لإحداها[1].

ومن جهة أخرى، أسهمت هذه الازدواجية في إثراء الأدب الجزائري، إذ منحت الكتّاب إمكانية الانفتاح على الأدب العالمي، وفي الوقت نفسه الحفاظ على خصوصيتهم الثقافية. غير أنها في المقابل طرحت إشكاليات تتعلق بالانتماء والتمثيل: هل الكاتب الذي يكتب بالفرنسية يعبّر حقًا عن المجتمع الجزائري؟ أم أنه يكتب لجمهور أجنبي؟

وفي المحصلة، فإن موضوع الهوية والازدواجية اللغوية في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية يكشف عن تجربة معقّدة يعيشها الكاتب بين الانتماء والاغتراب، ويبرز قدرة الأدب على تحويل هذا التوتر إلى طاقة إبداعية تُغني النص وتمنحه عمقًا إنسانيًا يتجاوز الحدود اللغوية والثقافية.

3.1. **الذاكرة والتاريخ:**

يحتلّ موضوع **الذاكرة والتاريخ** مكانة محورية في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، إذ يشكّل هذا الأدب فضاءً لإعادة استحضار الماضي واستنطاقه في ضوء الحاضر. فليست العودة إلى التاريخ مجرّد استرجاع للأحداث، بل هي محاولة واعية لإعادة قراءته وتأويله من منظور جزائري، يسعى إلى كشف ما تعرّض له من تهميش وتشويه خلال الحقبة الاستعمارية. ومن ثمّ، تتحوّل الذاكرة إلى عنصر فاعل في بناء الخطاب الأدبي، حيث تُستثمر لاستعادة الأصوات المغيّبة، وتثبيت الهوية، وربط الماضي بالحاضر في إطار رؤية نقدية تعيد الاعتبار للتجربة الجماعية[2].

---

[1] ينظر: قادة مبروك، **إشكالية الانتماء القومي للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية**، إنسانيات، مجلد 3، رقم 3، 1999، ص.ص. (5-13)

[2] ينظر: بن زهية عبد الله، **أزمة اللغة وثوابت الهوية في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية (واقعية التاريخ وصراع الذاكرة الوطنية)**، مجلد 12، رقم 1، 2004، ص.ص (265-277)

في هذا السياق، تصبح الذاكرة أداة مقاومة، حيث يعمل الأدب على حفظ التجارب الفردية والجماعية من النسيان، خاصة تلك المرتبطة بالعنف الاستعماري والثورة التحريرية. فنجد عند Mouloud Feraounفي *"يوميات 1955–1962"* (Journal 1955–1962) توثيقًا حيًّا للحياة اليومية خلال حرب التحرير، حيث يقدّم الكاتب شهادة إنسانية صادقة تعكس معاناة الجزائريين، وتكشف عن تفاصيل قد يغفلها التاريخ الرسمي. وهنا تتحوّل الكتابة إلى سجلّ حيّ للذاكرة، يحفظ صوت الإنسان البسيط وسط صخب الأحداث الكبرى.

أما Assia Djebar، فقد أولت أهمية خاصة للذاكرة، لا سيما الذاكرة النسوية التي تم تهميشها في السرد التاريخي التقليدي. ففي روايتها *"الحب، الفنتازيا"*(L'Amour, la fantasia)، تمزج بين الوثيقة التاريخية والسرد الشخصي، حيث تعيد قراءة أحداث الغزو الفرنسي من خلال شهادات النساء الجزائريات، مما يمنح التاريخ بُعدًا إنسانيًا جديدًا. وهكذا لا تكتفي الكاتبة بسرد التاريخ، بل تسعى إلى تفكيكه وإعادة بنائه من زوايا متعددة.

ومن جهة أخرى، نجد عند Kateb Yacineحضورًا مميزًا للذاكرة في شكل رمزي وشعري، خاصة في رواية *"نجمة"*، حيث يتداخل الماضي بالحاضر، وتتشابك الأزمنة بشكل يعكس تعقيد التجربة التاريخية الجزائرية. فالذاكرة هنا ليست خطّية، بل متشظّية، تعكس ضياع الهوية تحت وطأة الاستعمار، وفي الوقت نفسه تشكّل محاولة لاستعادة الذات.

كما يظهر الاهتمام بالتاريخ في أعمال Rachid Boudjedra، الذي يتناول في رواياته العلاقة بين الذاكرة الفردية والتاريخ الجماعي، ويطرح تساؤلات حول حقيقة ما يُروى، وحدود الموضوعية في كتابة التاريخ. فهو يميل إلى تفكيك السرديات الجاهزة، ويكشف عن تعدّد وجهات النظر، مما يجعل من التاريخ مجالًا للتأويل لا حقيقة ثابتة[1].

ولا يقتصر استحضار الذاكرة على فترة الاستعمار فقط، بل يمتد إلى ما بعد الاستقلال، حيث يعالج الكتّاب خيبات الأمل والتحديات التي واجهت بناء الدولة الوطنية، مستحضرين الماضي لفهم الحاضر واستشراف المستقبل. وهنا يصبح التاريخ مرآة نقدية تُستخدم لتقييم المسار الوطني، وليس مجرد تمجيد للبطولات.

[1] ينظر: بن زهية عبد الله، المرجع السابق، ص 270

وعليه، فإن ثنائية الذاكرة والتاريخ في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية تكشف عن وعي عميق بأهمية استرجاع الماضي وإعادة قراءته، كما تبرز دور الأدب في مقاومة النسيان، وفي إعطاء صوت لمن لم يكن لهم صوت في السرديات الرسمية، مما يجعل هذا الأدب فضاءً حيًّا لحفظ الذاكرة الجماعية وإعادة تشكيلها. وكشف ما تعرّض له من تهميش وتشويه خلال الحقبة الاستعمارية. ومن ثمّ، تتحوّل الذاكرة إلى عنصر فاعل في بناء الخطاب الأدبي، حيث تُستثمر لاستعادة الأصوات المغيّبة، وتثبيت الهوية، وربط الماضي بالحاضر في إطار رؤية نقدية تعيد الاعتبار للتجربة الجماعية.

4.1- الهجرة والمنفى:

يُعدّ موضوع الهجرة والمنفى من الموضوعات المركزية في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، حيث يعكس تجربة إنسانية معقّدة تتداخل فيها الأبعاد التاريخية والاجتماعية والثقافية والنفسية. فقد ارتبطت الهجرة، خاصة نحو فرنسا، بسياقات متعدّدة، بدءًا من الحقبة الاستعمارية التي فرضت تنقّلات قسرية أو شبه قسرية، مرورًا بدوافع اقتصادية واجتماعية، وصولًا إلى تحوّلات ما بعد الاستقلال. ونتيجة لذلك، لم تعد الهجرة مجرّد انتقال جغرافي، بل أصبحت تجربة وجودية يعيش فيها الفرد حالة من الانقسام بين فضاءين، وانتماءين، وثقافتين.

ويكتسب هذا الموضوع عمقًا خاصًا عند كلٍّ من Malek Haddadو Kateb Yacine، حيث يتجاوز المنفى معناه المكاني ليصبح منفى لغويًا وثقافيًا. فقد عبّر مالك حداد عن اغتراب حادّ داخل اللغة الفرنسية، معتبرًا إيّاها وسيلة تعبير مفروضة تفصله عن جمهوره الطبيعي، وهو ما جعله يعيش حالة من الانفصال عن ذاته وعن مجتمعه في آنٍ واحد. وقد بلغ هذا الإحساس ذروته عندما قرّر التوقّف عن الكتابة بالفرنسية بعد الاستقلال، في موقف يعكس رفضًا عميقًا لهذا الشكل من المنفى اللغوي، وسعيًا إلى استعادة الانتماء الثقافي[1].

في المقابل، تبنّى كاتب ياسين موقفًا مغايرًا، حيث تعامل مع اللغة الفرنسية بوصفها "غنيمة حرب"، محوّلًا إيّاها من أداة هيمنة إلى وسيلة مقاومة وتحرّر. غير أنّ هذا التملّك للغة لم

[1] ينظر: قادة مبروك، المرجع السابق.

يُلغِ الإحساس بالتوتر الهوياتي، بل ظلّ حاضرًا في أعماله، التي تعكس تشظّي الذات الجزائرية وتعدّد مرجعياتها الثقافية. فالمنفى عنده ليس بالضرورة ابتعادًا عن الوطن، بل قد يكون حالة داخلية ناتجة عن صراع الانتماءات واختلال التوازن بين اللغة والهوية.

وفي هذا الإطار، يصوّر الأدب الجزائري الهجرة بوصفها تجربة مزدوجة: فهي من جهة تفتح آفاقًا جديدة للاحتكاك بثقافات أخرى، ومن جهة أخرى تُنتج شعورًا بالحنين والاقتلاع وفقدان الاستقرار. كما يتجلّى المنفى في بعده الرمزي، حيث يصبح تعبيرًا عن الانفصال عن الذات أو عن المرجعيات الأصلية، حتى في غياب الابتعاد الجغرافي. وتبرز هنا الكتابة باللغة الفرنسية كأحد أهم مظاهر هذا المنفى، إذ يعيش الكاتب داخل فضاء لغوي ليس لغته الأم، مما يخلق توترًا دائمًا بين التعبير والانتماء.

وعليه، فإن ثيمة الهجرة والمنفى في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية تكشف عن تجربة إنسانية وفكرية غنية، تتجاوز حدود المكان لتلامس إشكاليات الهوية واللغة والانتماء. كما تبرز اختلاف مواقف الكتّاب، بين من يرى في اللغة منفًى ينبغي التحرّر منه كما عند مالك حداد، ومن يحوّلها إلى أداة إبداع ومقاومة كما عند كاتب ياسين، وهو ما يعكس ثراء هذا الأدب وتعدّد رؤاه.

5.1- القضايا الاجتماعية:

يُشكّل محور القضايا الاجتماعية أحد أبرز الموضوعات التي عالجها الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، حيث سعى الكتّاب إلى تصوير واقع المجتمع الجزائري بمختلف تحولاته وتناقضاته، خاصة في ظلّ تأثيرات الاستعمار وما بعد الاستقلال. وقد انشغل هذا الأدب برصد مظاهر الفقر، والتهميش، واللامساواة الاجتماعية، إضافة إلى التحوّلات التي مستّ البنية التقليدية للمجتمع، وما نتج عنها من صراعات بين القيم القديمة ومتطلبات الحداثة.

في هذا السياق، برزت أعمال Mouloud Feraoun، التي قدّمت صورة واقعية عن الحياة اليومية للجزائريين، خاصة في الأوساط الريفية، كما في روايته *"ابن الفقير"*[1]، حيث يصوّر

[1] Voir: Mouloud FERAOUN, Le Fils du Pauvre, Editions TALANTIKIT, 2016, et Les Chemins qui montent, Editions TALANTIKIT, 2016

معاناة الفئات البسيطة في سبيل التعليم وتحسين أوضاعها الاجتماعية، كاشفًا عن الفوارق الطبقية والتحديات التي يواجهها الفرد في مجتمع غير متكافئ. كما تناول Mouloud Mammeri قضايا اجتماعية وثقافية مرتبطة بالهوية، خاصة في ما يتعلق بالمجتمع الأمازيغي،[1] مسلطًا الضوء على صراع التقاليد مع التحولات الحديثة.

ومن جهة أخرى، أولت Assia Djebar اهتمامًا خاصًا بوضع المرأة الجزائرية، حيث عالجت في أعمالها قضايا التهميش، والعنف، والقيود الاجتماعية، مبرزةً معاناة المرأة في مجتمع محافظ، سواء خلال فترة الاستعمار أو بعدها. وقدّمت من خلال ذلك قراءة نقدية للعلاقات الاجتماعية، وسعت إلى إبراز صوت المرأة بوصفه جزءًا لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي.

كما تطرّق الأدب الجزائري الفرنكوفوني إلى قضايا أخرى، مثل البطالة، والهجرة الداخلية، والتفاوت بين المدينة والريف، إضافة إلى تأثير التحديث السريع على القيم الاجتماعية. وقد ظهر ذلك في أعمال Rachid Boudjedra، الذي اتسمت كتاباته بنبرة نقدية حادة تجاه الاختلالات الاجتماعية والسياسية، ولا سيما مع رواية " التطليق" حيث كشف عن التناقضات التي يعيشها المجتمع الجزائري في مرحلة ما بعد الاستقلال. لقد انتقد مبدعو تلك الفترة، عبر كتاباتهم، الأوضاع الاجتماعية القاسية التي كان يعيشها الفرد، وتطرقوا لمشكلة الانتماء، والهوية الوطنية الجزائرية، نذكر من هذه الأعمال *المنفى والحيرة* *L'exil et le désarroi 1976* لنبيل فارس، و *العبور La traversée* 1982 لمولود معمري.

ولا يقتصر تناول القضايا الاجتماعية على الوصف فقط، بل يتخذ طابعًا نقديًا وتحليليًا، إذ يسعى الكتّاب إلى تفكيك الظواهر الاجتماعية وفهم أسبابها العميقة، مع الدعوة إلى التغيير والإصلاح. وهكذا يصبح الأدب وسيلة لطرح الإشكاليات المجتمعية وإثارة الوعي بها، وليس مجرد انعكاس سلبي للواقع.

وعليه، فإن القضايا الاجتماعية في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية تعكس انشغال الكتّاب بمحيطهم الواقعي، كما تبرز دور الأدب في ملامسة هموم المجتمع والتعبير عن تطلعاته، مما يمنحه بعدًا إنسانيًا ونقديًا يتجاوز حدود اللغة والتعبير.

[1] Voir: Mouloud MAMERI, La colline oubliée, Editions Plon, 1952

6.1-العنف والتحولات السياسية:

لقد كان العنف والتحوّلات السياسية من أبرز القضايا التي تناولها الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، نظرًا لارتباطه الوثيق بتاريخ الجزائر الحديث، الذي اتّسم بفترات من الصراع والتقلّب، بدءًا من الاستعمار الفرنسي، مرورًا بثورة التحرير، وصولًا إلى مرحلة ما بعد الاستقلال وما شهدته من أزمات سياسية واجتماعية. وقد شكّل هذا السياق المضطرب أرضية خصبة للأدباء للتعبير عن آثار العنف على الفرد والمجتمع، ورصد التحوّلات التي مستّ البنية السياسية والهوية الجماعية.

في هذا الإطار، عالج الكتّاب مسألة العنف ليس فقط في بعده المادي المرتبط بالحرب، بل أيضًا في أبعاده النفسية والرمزية، حيث يظهر كقوة مدمّرة تخلّف آثارًا عميقة في الذاكرة الفردية والجماعية. فنجد عند Kateb Yacine تصويرًا غير مباشر للعنف الاستعماري، من خلال بنية سردية متشظّية تعكس حالة الفوضى والتمزّق التي عاشها المجتمع الجزائري. كما يُبرز في أعماله كيف يتحوّل العنف إلى جزء من التجربة اليومية، ويؤثر في تشكيل الوعي والهوية[1].

أما Rachid Boudjedra، فقد تناول العنف السياسي بجرأة أكبر، خاصة في ما يتعلّق بمرحلة ما بعد الاستقلال، حيث كشف عن التوترات الداخلية والصراعات الإيديولوجية التي عرفها المجتمع الجزائري. وتمتاز كتاباته بنبرة نقدية حادّة، تسعى إلى تفكيك الخطابات الرسمية، وفضح أشكال العنف غير المرئي، مثل القمع السياسي والتهميش الاجتماعي.

ومن جهة أخرى، تعكس أعمال Assia Djebar أثر العنف من زاوية إنسانية ونسوية، حيث تركّز على معاناة الأفراد، خاصة النساء، في ظلّ التحوّلات السياسية. فهي تُبرز كيف يتقاطع العنف الاستعماري مع العنف الاجتماعي، وكيف تستمر آثاره حتى بعد الاستقلال، من خلال الذاكرة والصدمة والصمت.

كما لم يغفل الأدب الجزائري الفرنكوفوني مرحلة التسعينيات، التي عُرفت بالعشرية السوداء، حيث شكّلت هذه الفترة موضوعًا للعديد من الأعمال التي حاولت فهم جذور

[1] ينظر: أحمد المنور، **المرجع السابق**، ص.ص (29-32)

العنف وآثاره على المجتمع. وقد اتّسمت هذه الكتابات بطابع تأمّلي ونقدي، سعت من خلاله إلى استيعاب هذه التجربة القاسية وإعادة التفكير في مسار الدولة والمجتمع، حيث برزت خلالها أعمال، جسدت تلك الفترة التي وقعت فيها الجزائر في مواجهة دموية تشابكت فيها خيوط الأزمة، وتحولت البلاد إلى مسرح دموي تتصارع فيه أحزاب مختلفة، اسلامية متعصبة، وعصرية متفتحة؛ وغير بعيد عن تلك الأحداث، كان الروائي يأخذ مادته من الواقع العصيب الذي كان يعيشه هو ومن حوله، فسجل شهادة للواقع بحَرفيّة وحِرَفيّة، في قالب سردي زاوج بين فنية الأدب وواقعية الأحداث، فعندما تتعقد الحياة، لا يجد الكاتب سوى أن يعبر عن واقعه، واضعا مخيلته على جنب، لتصبح المشاكل المطروحة في الرواية والتي تعاني منها الشخصيات، هي نفسها المشاكل التي يعاني منها الفرد في المجتمع.[1]

وعليه، فإن فكرة العنف والتحوّلات السياسية في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية تكشف عن وعي عميق بالتاريخ الوطني وتعقيداته، كما تبرز دور الأدب في توثيق التجارب المؤلمة وتحليلها، وفي مساءلة الواقع السياسي والاجتماعي، مما يجعل منه فضاءً للتفكير والنقد وإعادة بناء المعنى.

7.1- العلاقة بالآخر (الغرب):

يعكس موضوع العلاقة بالآخر في إطار الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، طبيعة التفاعل المعقّد بين الذات الجزائرية والآخر الأوروبي، خاصة الفرنسي، في سياق تاريخي اتّسم بالاستعمار، وما تبعه من تحوّلات في العلاقات الثقافية والإنسانية بعد الاستقلال. وقد اتخذ مفهوم "الآخر" في هذا الأدب أبعادًا متعددة، فهو ليس فقط المستعمِر السابق، بل أيضًا رمز للاختلاف الثقافي، وللتوتر القائم بين الهويات والمرجعيات الحضارية.

في المرحلة الاستعمارية، كانت العلاقة بالآخر تتسم غالبًا بالتوتر والصراع، حيث يظهر الآخر بوصفه قوة مهيمنة تسعى إلى فرض ثقافتها ولغتها ونظامها القيمي. وقد عبّر عدد من الكتّاب الجزائريين عن هذا التوتر من خلال تصوير العلاقة غير المتكافئة بين المستعمِر والمستعمَر، كما نجد عند Kateb Yacine، الذي قدّم في أعماله رؤية نقدية حادة للاستعمار الفرنسي، مبرزًا كيف يتحوّل الآخر إلى مصدر للهيمنة وفي الوقت نفسه إلى مرآة تكشف أزمة الهوية

[1] ينظر: أحمد المنور، **المرجع السابق**، ص.ص (32-34)

الجزائرية. ففي رواية *"نجمة"* ، تتجلى العلاقة بالآخر بشكل غير مباشر من خلال تشظّي الذات وتداخل الأصوات، مما يعكس أثر الاحتكاك العنيف بالثقافة الاستعمارية.

أما بعد الاستقلال، فقد أصبحت العلاقة بالآخر أكثر تعقيدًا، إذ لم تعد قائمة فقط على الصراع، بل على التفاعل الثقافي واللغوي، وما يرافقه من أسئلة الهوية والانتماء. وهنا يظهر عند Assia Djebar منظور مختلف، حيث لا يُقدَّم الآخر كعدو فقط، بل كفضاء ثقافي ولغوي يفرض تحديات على الذات الكاتبة. فالكتابة باللغة الفرنسية نفسها تجعل العلاقة بالآخر علاقة داخلية، إذ يصبح "الآخر" جزءًا من اللغة التي تُكتب بها الذات، مما يخلق توترًا دائمًا بين التعبير والانتماء.

كما نجد عند Mouloud Feraoun تصورًا إنسانيًا للعلاقة بالآخر، حيث يحاول في كتاباته تقديم صورة أكثر توازنًا، تُبرز التعايش الممكن بين الجزائري والفرنسي، رغم هيمنة السياق الاستعماري. وقد عُرف عنه ميله إلى إبراز البعد الإنساني المشترك، بعيدًا عن التعميمات الإيديولوجية الحادة.

وفي السياق ذاته، يعالج الأدب الجزائري الفرنكوفوني العلاقة بالآخر في بعدها المعاصر، من خلال قضايا الاندماج، والتمييز، وصورة المهاجر في المجتمع الأوروبي، حيث يتحول الآخر إلى مرآة تعكس صراع الهوية في فضاء متعدد الثقافات. وهكذا تتخذ العلاقة أشكالًا مختلفة بين الصدام، والحوار، والاختلاف، والتفاعل.

وعليه، فإن موضوع العلاقة بالآخر في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية يكشف عن إشكالية عميقة تتعلق بالهوية والانتماء، كما يبرز قدرة الأدب على تحويل التوتر التاريخي والثقافي إلى خطاب إبداعي يعيد التفكير في مفاهيم الذات والآخر داخل سياق إنساني متغير.

خلاصة:

إن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية يشكّل فضاءً إبداعيًا غنيًا ومعقّدًا في آنٍ واحد، حيث تداخلت فيه التجربة التاريخية بالبعد الفني، وتحولت الكتابة إلى وسيلة للتعبير عن التحوّلات العميقة التي عرفها المجتمع الجزائري. فقد عالج الكتّاب قضايا محورية مثل

الاستعمار والمقاومة، والهوية والازدواجية اللغوية، والذاكرة والتاريخ، والهجرة والمنفى، إضافة إلى القضايا الاجتماعية والعنف والتحوّلات السياسية، والعلاقة بالآخر، مما يجعل هذا الأدب سجلًا حيًا لتجربة شعب بأكمله.

ويُظهر هذا الإنتاج الأدبي أن الكتابة لم تكن مجرّد ممارسة جمالية، بل كانت أيضًا فعلًا نقديًا وموقفًا وجوديًا، يعكس توتر العلاقة بين الذات والواقع، وبين اللغة والانتماء. فقد استطاع الكتّاب الجزائريون، رغم الكتابة باللغة الفرنسية، أن يوظّفوا هذه اللغة للتعبير عن قضايا محلية بعمق إنساني وعالمي، محوّلين بذلك أداة المستعمِر إلى وسيلة مقاومة وإبداع.

كما تكشف هذه الموضوعات عن تعدّد الرؤى داخل الأدب الواحد، حيث نجد مواقف مختلفة من قضايا اللغة والهوية والمنفى، تتراوح بين الرفض، والتوظيف، وإعادة التشكيل. وهذا التنوع يعكس ثراء التجربة الأدبية الجزائرية وخصوصيتها، باعتبارها نتاج تفاعل معقّد بين الثقافات والمرجعيات التاريخية.

ومن جهة أخرى، يبرز هذا الأدب أهمية الذاكرة في حفظ التجربة الجماعية، وإعادة قراءة التاريخ من منظور مختلف، بعيدًا عن الخطابات الرسمية، مما يمنحه بعدًا توثيقيًا ونقديًا في آن واحد. كما يعكس انشغاله بالتحوّلات الاجتماعية والسياسية قدرة الأدب على مواكبة الواقع والتفاعل معه بشكل مستمر. وفي النهاية، يمكن القول إن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية يتجاوز حدود اللغة ليصبح تعبيرًا عن هوية متعددة الأبعاد، وهوية في حالة تشكّل دائم، تعكس صراع الانتماء والذاكرة والتاريخ. إنه أدب يكتب الألم والتحوّل، لكنه في الوقت نفسه يفتح أفقًا للفهم والتأمل وإعادة بناء المعنى، مما يجعله جزءًا أساسيًا من الأدب العالمي المعاصر.

المحاضرة (5): الكتابة الفرانكفونية في الجزائر

تمهيد:

تُعدّ الكتابة الأدبية الفرانكفونية في الجزائر من أبرز الظواهر الثقافية التي برزت في سياق تاريخي معقّد، ارتبط بالاستعمار الفرنسي وما خلّفه من تحوّلات عميقة في البنية اللغوية والثقافية للمجتمع الجزائري. فقد نشأ هذا الشكل من الكتابة في ظلّ فرض اللغة الفرنسية كلغة إدارة وتعليم، مما جعلها أداة تعبير أساسية لدى عدد من الكتّاب الجزائريين، خاصة في المرحلة الاستعمارية وما بعدها، رغم ما تحمله من توتر هوياتي وثقافي.

وتتميّز هذه الكتابة بكونها فضاءً إبداعيًا يجمع بين لغتين وثقافتين: اللغة الفرنسية من جهة، بوصفها وسيلة تعبير أدبية، والثقافة الجزائرية من جهة أخرى، بما تحمله من مرجعيات عربية وأمازيغية ومحلية. وقد أفرز هذا التداخل نوعًا من "الهجنة الثقافية"، حيث لم تعد اللغة الفرنسية مجرد أداة استعمارية، بل تحولت إلى وسيط لإعادة تشكيل الواقع الجزائري والتعبير عن قضاياه.

1- السياق التاريخي لنشأة الكتابة الفرانكفونية

يرتبط تاريخ نشأة الكتابة الفرانكفونية في الجزائر ارتباطًا وثيقًا بالمرحلة الاستعمارية الفرنسية التي بدأت سنة 1830، حيث مثّل الاحتلال نقطة تحوّل حاسمة في البنية اللغوية والثقافية للمجتمع الجزائري. فقد فرضت الإدارة الاستعمارية اللغة الفرنسية تدريجيًا كلغة رسمية في الإدارة والتعليم، مما أدى إلى تراجع مكانة اللغة العربية التقليدية في الفضاءات الرسمية، وظهور جيل من المتعلمين الذين تلقّوا تكوينهم باللغة الفرنسية.

وفي هذا السياق، نشأت البذور الأولى للكتابة الفرانكفونية الجزائرية في بيئة استعمارية قائمة على الهيمنة الثقافية، حيث لم تكن الفرنسية مجرد وسيلة تواصل، بل أداة للسيطرة وإعادة تشكيل الهوية. غير أن بعض الجزائريين الذين استفادوا من التعليم

الفرنسي بدأوا في توظيف هذه اللغة للتعبير عن واقعهم الاجتماعي والسياسي، رغم التناقض الذي كانت تحمله الكتابة بلغة المستعمِر[1].

ومع بدايات القرن العشرين، أخذت هذه الكتابة تتبلور تدريجيًا من خلال نصوص تعكس الحياة الجزائرية تحت الاستعمار، ثم تطورت في الثلاثينيات والأربعينيات مع تصاعد الوعي الوطني. وفي هذه المرحلة بدأت تظهر ملامح خطاب أدبي يعكس التوتر بين الانتماء الوطني واللغة الفرنسية، بين الذاكرة المحلية والأداة اللغوية المفروضة.

وخلال فترة الثورة التحريرية (1954–1962)، أصبحت الكتابة الفرانكفونية أكثر التزامًا بالقضايا الوطنية، حيث تحولت إلى وسيلة للتعبير عن المقاومة وكشف مظاهر القمع الاستعماري. وبرز في هذا السياق كتّاب كبار مثل Kateb Yacineو Malek Haddadو Mouloud Feraoun، الذين وظفوا اللغة الفرنسية لإيصال صوت المجتمع الجزائري ومعاناته.

وبعد الاستقلال سنة 1962، دخلت الكتابة الفرانكفونية مرحلة جديدة اتسمت بإعادة طرح إشكالية الهوية واللغة، إذ أصبح الكتّاب يكتبون في سياق دولة مستقلة تسعى إلى ترسيخ اللغة العربية كلغة وطنية، ما جعل الكتابة بالفرنسية تحمل بعدًا إشكاليًا لكنه أيضًا إبداعي، خاصة مع أعمال Assia Djebar التي وظفت هذا الفضاء اللغوي لاستعادة الذاكرة والتاريخ من منظور نقدي.

وعليه، فإن نشأة الكتابة الفرانكفونية في الجزائر هي نتاج تفاعل معقّد بين الاستعمار والمقاومة، وبين الفرض اللغوي والاختيار الإبداعي، مما جعلها ظاهرة أدبية تحمل أبعادًا تاريخية وثقافية وهوية متعددة.

2- مفهوم الأدب الفرانكفوني في الجزائر

يشير الأدب الفرانكفوني إلى ذلك الإنتاج الأدبي الذي يكتبه مؤلفون جزائريون باللغة الفرنسية، في سياقات تاريخية وثقافية خاصة، ارتبطت أساسًا بفترة الاستعمار الفرنسي

[1] عبير شليغم، **الكتابة النيوكولونيالية الفرنسية في إفريقيا، نشر الثقافة الفرنسية**، مجلة العلوم القانونية والسياسية، مجلد 13، عدد 01، 2022، ص 395

وما بعدها. وهو أدب لا يُفهم فقط من خلال اللغة التي كُتب بها، بل من خلال الواقع الاجتماعي والتاريخي والهوية الثقافية التي يعبر عنها[1].

ففي الجزائر، لم تكن الفرنسية لغة اختيار حرّ في البداية، بل فُرضت بفعل الاستعمار منذ 1830، مما جعل الكتابة بها تحمل طابعًا إشكاليًا، يقوم على التوتر بين اللغة المفروضة والهوية الأصلية .لذلك فإن الأدب الفرانكفوني الجزائري لا يُعد مجرد امتداد للأدب الفرنسي، بل هو أدب يحمل خصوصية محلية تعكس التجربة الجزائرية بكل أبعادها السياسية والاجتماعية والثقافية[2].

ويتميز هذا الأدب بكونه فضاءً للتعبير عن قضايا أساسية مثل الاستعمار، المقاومة، الهوية، الذاكرة، الاغتراب، واللغة .وقد استُخدمت اللغة الفرنسية فيه كأداة للتعبير عن واقع الجزائر وليس كوسيلة للانتماء الثقافي الفرنسي. لذلك نجد أن العديد من الكتّاب أعادوا توظيف هذه اللغة لتصبح وسيلة مقاومة رمزية وإبداعية.

تُعدّ إشكالية التسمية: أدب فرنسي أم أدب جزائري بالفرنسية؟ من أبرز القضايا النقدية في دراسة الأدب الفرانكفوني الجزائري، لأنها تطرح سؤال الهوية والانتماء قبل أن تكون مجرد مسألة لغوية. فالمقصود هنا ليس اللغة فقط، بل طبيعة هذا الأدب: هل يُنسب إلى الثقافة الفرنسية باعتبار اللغة، أم إلى التجربة التاريخية والثقافية الجزائرية باعتبار المضمون والمرجعية؟

يرى بعض النقاد أن هذا الإنتاج يدخل ضمن **الأدب الفرنسي** لأنه مكتوب باللغة الفرنسية ويستعمل أدواتها التعبيرية، وبالتالي يمكن إدراجه ضمن النظام الأدبي الفرنسي. غير أن هذا التصنيف يُعدّ اختزاليًا، لأنه يتجاهل السياق الاستعماري الذي نشأ فيه هذا الأدب، وكذلك التجربة التاريخية الخاصة التي يعبر عنها.

في المقابل، يذهب اتجاه نقدي آخر إلى اعتبار هذا الإنتاج **أدبًا جزائريًا مكتوبًا بالفرنسية**، لأنه يعكس الواقع الجزائري في مختلف أبعاده الاجتماعية والسياسية والثقافية، ويعبّر عن

---

[1] ينظر: عبير شليغم، المرجع السابق، ص 394

[2] ينظر: محمد الهادي كشت، **الفرانكفونية حيز للتعاون أو أداة نيوكولونيالية**؟ مجلة مدارات سياسية، مجلد 08، عدد 01، 2024، ص.ص (354-361)

هوية وطنية حتى وإن كانت الوسيلة اللغوية فرنسية. ووفق هذا التصور، فإن اللغة ليست معيار الانتماء الوحيد، بل تُعدّ أداة تعبير قابلة للتطويع داخل سياق محلي[1].

وقد عمّقت تجربة كتّاب مثل Kateb Yacineو Malek Haddad هذه الإشكالية، إذ عبّر الأول عن فكرة "غنيمة حرب" بالنسبة للغة الفرنسية، بينما اعتبر الثاني أن الكتابة بهذه اللغة تمثل نوعًا من الاغتراب اللغوي والثقافي، وهو ما يبرز التوتر بين اللغة والهوية.

أما اليوم، فإن أغلب الدراسات النقدية تميل إلى اعتماد مصطلح **"الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية "**أو **"الأدب الفرانكفوني الجزائري"**، لأنه أكثر دقة وحيادية، إذ يجمع بين البعد اللغوي (الفرنسية) والبعد الهوياتي (الجزائر)، ويعترف بتعدد الانتماءات داخل النص الأدبي الواحد.

وعليه، فإن هذه الإشكالية تكشف أن التصنيف الأدبي ليس مسألة تقنية، بل هو سؤال ثقافي وهوياتي عميق، يعكس علاقة معقدة بين اللغة والتاريخ والهوية في السياق الجزائري.

3- أهم الأجيال والكتّاب

يرجع المؤرخ والباحث "جان ديجو" أول نص أدبي كتبه جزائري باللغة الفرنسية إلى سنة 1891 ، وهو عبارة عن قصة بعنوان "انتقام الشيخ"، مستقاة من التقاليد الاجتماعية الجزائرية، كتبها محمد بن رحال، ونشرتها "المجلة الجزائرية التونسية، الأدبية والفنية"، إلا أن الباحث نفسه يذكر أن عملية المسح الشامل التي قام بها للجرائد والمجلات التي كان يصدرها الفرنسيون في الجزائر، في الفترة ما بين 1880 و1920، بحثا عن نصوص أخرى لجزائريين آخرين، لم تسفر إلا على نتائج هزيلة، بحيث لم يعثر إلا على نصوص قليلة موقعة بأسماء ذات "رنين" عربي - حسب تعبيره - مثل "الجزائري" و"الراوي"، وهو يشك في حقيقة أصحابها، بل ويرجح أنها أسماء مستعارة لمستوطنين فرنسيين، ويستثني اثنين منهم، أحدهما يدعى أحمد بوري، الذي نشر سنة 1912 في جريدة "الحق" رواية مسلمة بعنوان "مسلمون ومسيحيون"، ويعلق على الرواية بأنها كتبت بـ "ماء الورد"، كناية على القفز المتعمد للمؤلف على تناقضات الواقع، حين يصور العلاقة بين الفرنسيين والجزائريين في

[1] ينظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص.ص (87-97)

غاية الانسجام والوئام. والثاني يدعى سالم القبي، الذي نشر سنة 1917 مجموعة شعرية بعنوان "حكايات وقصائد من الإسلام"، أتبعها بمجموعة أخرى سنة 1920 بعنوان "أنداء مشرقية" (Rosée d'Orient) ولا يختلف عن الأول في تمجيدة للإسلام والشرق وفرنسا في آن واحد.[1]

ونظرا لهذا الفراغ المسجل بين 1891 وسنوات العشرينيات من القرن العشرين، فإن "جان ديجو"، يتخذ سنة 1920 كانطلاقة حقيقية لهذا الأدب الناشئ، ويعدّ مؤلف القايد بن الشريف، الموسوم بـ "أحمد بن مصطفى القومي "بداية تلك الانطلاقة، وينظر إليه على أنه أول رواية يكتبها جزائري باللغة الفرنسية. وإذا سلمنا بهذا التاريخ على أنه بداية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، وهو لا ينكره بعض الباحثين المعروفين، ولكنهم يتجاهلونه في الوقت ذاته، كما يتجاهلون كل ذلك الأدب الذي كتبه الجزائريون بالفرنسية في فترة ما بين الحربين، فإن هناك ملاحظة لا يمكن لنا أن نتجاوزها هنا، دون أن نبحث فيها، وهي طول المدة التي تفصل بين بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، وبداية ظهور هذا الأدب، فهي مدة تزيد عن التسعين عاما وهو أمر غير عادي، وغير طبيعي، لاسيما بدعاوى الاستعمار الذي كان يردد دائما أن رسالته في الجزائر هي رسالة حضارية. والحقيقة أن هناك عوامل وأسبابا عديدة أخرت ظهور هذا الأدب كل هذه المدة، أبرزها: أولا: سياسة العدوان التي انتهجها الاستعمار طوال احتلاله للجزائر، وحربه الاستئصالية ضد الأمة الجزائرية ومقوماتها الأساسية، الشيء الذي جعل العلاقة بين المحتلين وأهل البلد الشرعيين علاقة حرب وتوتر دائم، منعت أي احتكاك إيجابي بين الطرفين، ووقفت حائلا دون أي تعاون مثمر، سواء على الصعيد السياسي أو الفكري، أو الحضاري، وذلك لانعدام الثقة بينهما، والثقة شرط أساسي لقيام مثل ذلك التعاون المنشود في مجال السياسة، أو التلاقح الفكري، أو التأثير الثقافي والحضاري، والعامل الثاني يتمثل في سياسة التعليم التي طبقها المحتلون في الميدان، أو على الأصح سياسة التجهيل التي طبقوها بحيث قضوا على البنية التقليدية للمنظومة التعليمية التي كانت قائمة قبل الاحتلال قضاء يكاد يكون مبرما، ولم يعوضوها بمنظومة أخرى تضمن لكل أبناء الشعب الحد الأدنى من التعليم كما كان الحال في فرنسا.

[1] ينظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص.ص (87-97)

وعلى هذا النحو ظهرت في عشرية 1920-1930 خمسة أعمال أدبية من قبل إلى بعضها، وهي مجموعة سالم القبي الشعرية، والسيرة الذاتية للقايد بن الشريف، ونضيف إليهما رواية "زهراء، امرأة المنجي" لعبد القادر حاج حمو التي صدرت سنة 1925، و"مأمون" لشكري خوجة التي صدرت سنة 1928، و"العلج أسير بربروسيا" للكاتب نفسه التي صدرت سنة 1929. وواضح أن هذا العدد القليل من الأعمال الأدبية لا بشكل عامل فخر إذا قيس بطول فترة الاحتلال أو بحجم الدعاية التي أحاطت بها السلطات هذا الحدث. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذا العدد نفسه يعكس مدى عقم المدرسة الاستعمارية وضآلة النتائج التي أعطتها سياسة الاستعمار التعليمية بخصوص الأهالي.[1]

ولأن الكتّاب من أبناء البلد الأصليين نشرت أعمالهم قد اختيروا بعناية كبيرة. وهم قبل شيء نتاج المدرسة الفرنسية، وينتمون في معظمهم إلى أبناء الذوات، وإلى المتعاونين مع الإدارة الاستعمارية ممن كانت أحوالهم ميسرة، ويؤمنون فوق هذا بفكرة التعايش مع الاستعمار، وبفكرة الاندماج في مجتمع المستوطنين -فإنهم كانوا يشيدون صراحة، وبلا تحفظ بـ "فضل" الاستعمار على البلد، ويظهرون إعجابهم بالثقافة والحضارة الفرنسيتين، غير أن القضايا التي عبروا عنها قد عكست بالرغم من كل ذلك، وعن غير قصد منهم يبدو، العديد من الإشكاليات المعقدة التي كانت تطرحها تلك الثقافة والحضارة الغربية الليبرالية، بالنسبة للمجتمع الجزائري المسلم، ومن أهم تلك الإشكاليات مسألة حرية تعاطي الخمور، ولعب القمار، وهي عادات كانت تشكل جزء من الحياة اليومية العادية للفرنسيين، أدخلوها معهم للجزائر، وصارت شيئا مباحا لا يعاقب عليه القانون، وكذا تسامحهم في ممارسة الدعارة، وتعاطي بعض المخدرات ولاسيما الحشيش، حيث كانوا يعدونها من الأمور الشخصية التي تتعلق بحرية الفرد في المجتمع، في حين، تعد هذه الأشياء من المحرمات في الشريعة الإسلامية، وتلزم إقامة الحد على مرتكبها. مع العلم هؤلاء الكتاب لم ينظروا إلى الأمور المذكورة من وجهة النظر الشرعية المحضة، وإنما أولوا عنايتهم بتصوير آثارها المدمرة على الأسرة المسلمة في الواقع الاجتماعي. هذا ما حاولت أن تعبر عنه رواية "زهراء، امرأة المنجي" لعبد القادر حاج حمو، التي تعد بحق باكورة الأعمال الروائية للكتّاب الجزائريين باللغة الفرنسية، فقد كان بطلها، وهو عامل جزائري يعمل في مناجم الفحم بضواحي مدينة مليانة، يعيش مع زوجته عيشة راضية قانعة، رغم فارق الأجر الكبير بينه وبين ما

[1] ينظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص.ص (87-97)

يتقاضاه أي عامل أروبي يعمل معه في المنجم ذاته، وما إن خالط مجتمع المدينة، وعاقر الخمرة مع رفاقه من العمال الأوروبيين، حتى تدهورت حاله، وأهمل زوجته، وترك الصلاة، وانتهى به الأمر إلى السجن متهما بارتكاب جريمة قتل، لم يقترفها في الحقيقة. وكذلك عالجت رواية "مأمون" لشكري خوجة موضوع الخمرة ونتائجها المدمرة على حياة بطله، الذي جاء من عمق الريف الجزائري إلى العاصمة لمتابعة الدراسة، وبعد مخالطة المجتمع المديني الأوروبي.[1]

وشكل ظهور رواية "الدار الكبيرة" لمحمد ديب سنة 1952 منعطفا حاسما في تطور الأدب الروائي الجزائري المكتوب بالغة الفرنسية على مستوى المضمون، فلأول مرة تتجاوز فيه هذه الرواية صالونات المثقفين ومناقشاتهم الفوقية عن العدالة والمساواة، في ظل الحكم الاستعماري، ووهم التعايش السلمي بين "الأهالي" والمعمرين، عن طريق الدعوة إلى الاندماج والزواج المختلط، لتنزل إلى الطبقات الدنيا من المجتمع، وتتحدث عن هموم الناس البسطاء من عامة الشعب، وتصف أحوالهم المعيشية القاسية، ومعانتهم من الجوع والفقر والقهر، ولأول مرة تتحدث عن النضال السياسي الجزائري، وعن مناضلين يعيشون في الخفاء، مطاردين من قبل البوليس الاستعماري، ولأول مرة تطرح تساؤلات محددة وصريحة عن الهوية الوطنية وعن مفهوم الوطن، وعن الهوية الحقيقية للجزائريين.

وقد تأكد التوجه الجديد في أعمال الكاتب اللاحقة، لاسيما في روايتي "الحريق"(1954)، و"مهنة الحياكة"(1957) اللتين تشكلان امتدادا وتكملة لـ "الدار الكبيرة"، فقد كشفت الأولى عن عالم البؤس في الريف، ومعاناة الفلاحين من الفقر المدقع والاستغلال الفاحش، وقهر المعمرين لهم كلما حاولوا أن يحتجوا على وضعهم المزري، وصورت الثانية حياة الحرفيين في المدن، التي لم تكن تختلف في شيء عن حياة الفلاحين البائسة، إلا في نوع المهنة ونوعية المستغل. وظهرت في هذه الفترة نفسها أعمال روائية أخرى لكتاب آخرين، تسير في الاتجاه نفسه الذي سارت فيه أعمال محمد ديب الأولى، نذكر منها على الخصوص رواية "نوم العدل" لمولود معمري، و"نجمة"(1956) لكاتب ياسين، فقد كشفت الرواية الأولى عن حالة التخلف والفقر والاستغلال والحرمان التي كانت تعاني منها القرى القبائلية المنعزلة في رؤوس الجبال، تحت وطأة الجهل والتقاليد المتحكمة في حياة الناس من جهة،

[1] ينظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص.ص (87-97)

ووطأة الاستعمار واستغلاله لحالة البطالة والفقر المدقع الذي يعيشه الجزائريون في المدن، والاستغلال والإهانة التي يتعرض لها العاملون باليومية في ورش المعمرين وضياعهم الواقعة على أطراف المدن، وهو ما يضاعف الإحساس بالظلم لدى أولئك العمال، ويدفع ببعضهم إلى التمرد، وربما إلى ارتكاب جرائم قتل. وتتالت الأعمال بأقلام مبدعي العصر أمثال كاتب ياسين، مولود معمري، آسيا جبار، مالك حداد، وقد تركت الثورة التحريرية، ظلا كبيرا على الرواية الجزائرية، إذ بقي نمط الكتابة واحدا في كل المحاولات الأدبية، فكلها كانت تتحدث عن الثورة التحريرية الكبرى*[1]، إلى غاية صدور رواية *التطليق la répudiation* 1969 لرشيد بوجدرة، إذ ولدت بذلك مرحلة جديدة في الكتابة الروائية، مرحلة كان ينبغي أن تواكب الثورة الاشتراكية لتخليص الأمة من الجهل والتخلف الذي خلّفه الاستعمار.

لقد انتقد مبدعو تلك الفترة، عبر كتاباتهم، الأوضاع الاجتماعية القاسية التي كان يعيشها الفرد، وتطرقوا لمشكلة الانتماء، والهوية الوطنية الجزائرية، نذكر من هذه الأعمال *المنفى والحيرة L'exil et le désarroi 1976* لنبيل فارس، و *العبور La traversée* 1982 لمولود معمري.

ومع مطلع التسعينات، وصعود المد الاسلامي ودخوله معترك السياسة، ظهر نوع آخر من الأعمال الروائية التي راحت تنتقده نقدا لاذعا، سمي هذا النوع **بأدب الأزمة**، أو **الأدب الاستعجالي**، أو **رواية المحنة****[2]، ومن أهم الأعمال التي صورت هذا الواقع روايتي *حزام الغولة La ceinture de l'ogresse* 1990 و *اللعنة La malédiction* 1993 لرشيد ميموني.

وتلتها العشرية السوداء، التي برزت خلالها أعمال، جسدت تلك الفترة التي وقعت فيها الجزائر في مواجهة دموية تشابكت فيها خيوط الأزمة، وتحولت البلاد إلى مسرح دموي تتصارع فيه أحزاب مختلفة، اسلامية متعصبة، وعصرية متفتحة؛ وغير بعيد عن تلك الأحداث، كان الروائي يأخذ مادته من الواقع العصيب الذي كان يعيشه هو ومن حوله، فسجل شهادة للواقع بحَرفيّة وحِرَفيّة، في قالب سردي زاوج بين فنية الأدب وواقعية الأحداث، فعندما تتعقد الحياة، لا يجد الكاتب سوى أن يعبر عن واقعه، واضعا مخيلته

(*) Citons à titre d'exemple : **les enfants du nouveau monde** de : Assia DJEBBAR (1962) et **L'opium et le bâton** de Mouloud MAMMERI (1965)

(**) وتنعت أيضا: " رواية العنف " " الرواية السوداء " " الرواية الاستعجالية "

على جنب، لتصبح المشاكل المطروحة في الرواية والتي تعاني منها الشخصيات، هي نفسها المشاكل التي يعاني منها الفرد في المجتمع.

ومن أبرز الروائيين الذي برزوا في تلك الفترة آسيا جبار، رشيد بوجدة، ومحمد مولسهول المعروف باسم ياسمينة خضرة، والذي وصل بإبداعه إلى العالمية، ولا سيما مع روايته الشهيرة بم *تحلم الذئاب A quoi rêvent les loups* التي تعد من أهم النماذج الروائية المعاصرة، التي تناولت قصة الوطن في زمن المحنة بنجاح.

4- الخصائص الفنية والجمالية

يمكن تناول **الخصائص الفنية والجمالية للأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية** من خلال مجموعة من السمات التي تميّزه عن غيره من الآداب الفرانكفونية، إذ يجمع بين البعد الجمالي والإحالة التاريخية والاجتماعية العميقة[1]:

1.4- التعدد اللغوي والازدواجية الأسلوبية:

يتميّز هذا الأدب بحضور اللغة الفرنسية الممزوجة أحيانًا بتعابير عربية أو أمازيغية، مما يخلق أسلوبًا هجينًا يعكس واقع المجتمع الجزائري متعدد اللغات، ويمنح النص ثراءً تعبيريًا خاصًا.

2.4- الطابع السردي المرتبط بالذاكرة والتاريخ:

تحتل الذاكرة الفردية والجماعية مكانة مركزية في هذا الأدب، حيث يتم استحضار أحداث الاستعمار، الثورة التحريرية، والمنفى، وغالبًا ما يتداخل السرد الذاتي مع السرد التاريخي.

3.4- البعد الرمزي والتعبيري:

يلجأ الكتّاب إلى الرمزية للتعبير عن القمع، الهوية، والاغتراب، مما يجعل النصوص متعددة الدلالات وقابلة لتأويلات مختلفة.

4.4- حضور الذات والكتابة السيرذاتية:

تُعد الكتابة ذات البعد الذاتي (السيرة الذاتية أو شبه السيرة) من السمات البارزة، حيث يعبّر الكاتب عن تجربته الشخصية داخل سياق جماعي، كما هو الحال بالنسبة لمولود فرعون، كاتب ياسين، محمد ديب وآسيا جبار .

[1] Fouzia BENDJELID, **Le Roman Algérien de Langue Française**, Chihab Editions, 2012, P.P 19-20

5.4- التوتر بين اللغة والهوية:

تنعكس في النصوص إشكالية الكتابة بلغة المستعمر، حيث تتحول الفرنسية إلى أداة للتعبير عن الهوية الجزائرية بدل أن تكون علامة انتماء ثقافي فرنسي، وهو ما نجده بوضوح عند Kateb Yacineو.Malek Haddad

6.4- النزعة الواقعية والالتزام:

غالبًا ما يتسم هذا الأدب بالالتزام بقضايا المجتمع مثل الاستعمار، الفقر، العنف، والتحولات السياسية، مع ميل واضح إلى الواقعية في تصوير الأحداث.

تجمع الخصائص الفنية والجمالية للأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية بين **الواقعية والرمزية، الذاتية والتاريخ، والتعدد اللغوي**، مما يمنحه هوية أدبية خاصة قائمة على التوتر الخلاق بين اللغة الفرنسية والمرجعية الجزائرية.

خلاصة:

يُعدّ الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية ظاهرة أدبية وثقافية متميّزة نشأت في سياق تاريخي معقّد ارتبط بالاستعمار الفرنسي وما خلفه من تحولات لغوية وهوورياتية عميقة. وقد تطوّر هذا الأدب عبر مراحل متعددة، من الكتابات الأولى ذات الطابع الاجتماعي، إلى الكتابة المقاومة خلال الثورة التحريرية، ثم إلى مرحلة ما بعد الاستقلال التي أعادت طرح سؤال الهوية واللغة والذاكرة، وصولًا إلى الكتابة المعاصرة المنفتحة على قضايا العولمة والهجرة والعنف الرمزي.

ويتميز هذا الأدب بكونه فضاءً للتعبير عن التجربة الجزائرية بكل أبعادها، حيث تتداخل فيه الذاكرة بالتاريخ، والذات بالجماعة، واللغة بالهوية. كما أنه يعكس توترًا دائمًا بين وسيلة التعبير (اللغة الفرنسية) والانتماء الثقافي (الجزائر)، وهو توتر لم يكن عائقًا فقط، بل أصبح مصدرًا للإبداع والتجديد الجمالي.

وقد ساهم كتّاب بارزون مثل كاتب ياسين، وآسيا جبار ومحمد ديب ومالك حداد في ترسيخ هذا الأدب وإبراز خصوصيته، من خلال تحويل اللغة الفرنسية إلى أداة للتعبير عن الهوية الجزائرية واستعادة الذاكرة الجماعية.

وعليه، فإن هذا الأدب لا يمكن اختزاله في كونه أدبًا "فرنسيًا" أو "مترجمًا ثقافيًا"، بل هو أدب هجين الهوية، يجمع بين المحلي والعالمي، ويعكس تجربة تاريخية وإنسانية عميقة تجعل منه مجالًا خصبًا للدراسة النقدية والأكاديمية.

المحاضرة (6): التعايش الثقافي في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية:

تمهيد:

كان التعايش الثقافي في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية ظاهرة معقّدة اتسمت بالتداخل والتوتر في آن واحد، حيث لم يكن مجرد تعايش سلمي بين ثقافتين متكافئتين، بل كان في جوهره نتيجة علاقة غير متوازنة فرضها الاستعمار الفرنسي منذ 1830. فقد سعت الإدارة الاستعمارية إلى فرض النموذج الثقافي الفرنسي من خلال المدرسة والإدارة واللغة، مما أدى إلى تراجع تدريجي لمكانة الثقافة العربية الإسلامية في الفضاءات الرسمية، مع بقائها حية في المجتمع عبر الزوايا والمدارس التقليدية والبيئة الشعبية.

ورغم هذا الطابع الهيمني، نشأت أشكال من التفاعل الثقافي غير المباشر، حيث ظهرت فئة من الجزائريين المتمدرسين بالفرنسية، الذين أصبحوا وسيطًا بين ثقافتين: ثقافة محلية متجذرة وثقافة استعمارية مفروضة. وقد انعكس هذا الوضع في المجال الأدبي والفكري، إذ عبّر بعض الكتّاب عن هذا التمزق الثقافي بلغة فرنسية، مثل مولود فرعون الذي قدّم صورة دقيقة للمجتمع القروي الجزائري، وكاتب ياسين الذي حوّل التوتر الثقافي إلى مشروع أدبي مقاوم، ومالك حداد الذي عبّر عن مأزق الكتابة بلغة الآخر.

كما تجلّى هذا التعايش في الحياة اليومية، من خلال ازدواجية لغوية وثقافية داخل المجتمع الجزائري، حيث تعايشت العربية والفرنسية في مجالات مختلفة، وإن كان هذا التعايش يحمل في طياته علاقات قوة غير متكافئة. ومع ذلك، فقد ساهم هذا الاحتكاك الثقافي في بروز وعي جديد بالهوية، وأنتج ديناميات فكرية وأدبية مهدت لظهور خطاب وطني مقاوم لاحقًا.

1- السياسة الثقافية في الجزائر:

شكّلت السياسة اللغوية التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر أحد أبرز أدوات الهيمنة والسيطرة، حيث لم تقتصر على البعد الإداري فحسب، بل امتدت لتشمل المجالين الثقافي والتعليمي. فمنذ بداية الاحتلال سنة 1830، سعت فرنسا إلى فرض لغتها باعتبارها لغة رسمية للإدارة والتعليم، في إطار مشروع استعماري يهدف إلى إعادة تشكيل المجتمع الجزائري وفق المرجعية الفرنسية. وقد ترتب عن هذه السياسة إقصاء اللغة

العربية من الفضاءات الرسمية، وتهميش دورها في المؤسسات التربوية، مقابل تكريس الفرنسية كلغة للترقي الاجتماعي والوظيفي.

وفي هذا السياق، أصبح التعليم وسيلة أساسية لترسيخ هذا التوجه، حيث تم اعتماد برامج ومناهج تعليمية تعزز الثقافة الفرنسية وتحدّ من حضور المقومات الثقافية الوطنية. ولم يكن هذا التحول اللغوي مجرد إجراء تنظيمي، بل كان جزءًا من استراتيجية أوسع تستهدف الهوية والوعي الجماعي. ومع ذلك، فقد واجهت هذه السياسة مقاومة من قبل مختلف فئات المجتمع الجزائري، التي سعت إلى الحفاظ على مقوماتها اللغوية والثقافية.

1.1- دور الترجمة أثناء الفترة الاستعمارية:

لقد ارتبط وجود الترجمة في الجزائر تعليما وتداولا ابتداء من فترة الاحتلال الفرنسي للبلاد، حيث يمكن أن نتحدث في هذا الإطار عن الجذور الأولى لتعليم الترجمة في الجزائر المستعمرة، والتي كرست لها وضعية الازدواجية اللغوية آنذاك، فكان من أهداف الإدارة الفرنسية إبان فترة الاحتلال:

- نشر الثقافة الفرنسية وتعميم استعمال لغة المستعمر.
- التصدي للغة القومية العربية.
- احلال اللغة الفرنسية محل اللغة الوطنية.
- اغلاق جميع المدارس الرسمية العربية.

وتجدر الإشارة إلى أن الإدارة الفرنسية لم تبق سوى ثلاثة مدارس (مدرسة المدية في الوسط، قسنطينة في الشرق، وتلمسان في الغرب) أسستها في 1850 بغرض تخريج مجموعة من الموظفين في المجال الديني، والقضائي خصوصا، وقد تكوّن على مستوى هذه المؤسسات التعليمية مزدوجو اللغة (فرنسية-عربية) الذين أصبحوا في عهد الاستقلال مترجمين.[1]

كانت هذه المدارس تركز بداية على التكوين في الشريعة والقضاء وفق المناهج المعمول بها في المدارس الاسلامية خلال القرنين الثاني عشر والرابع عشر، على مدار ثلاثة سنوات من التكوين، ولم تكن تضع شروطا محددة من ناحية السن والمستوى التعليمي

[1] مليكة باشا، **تعليمية الترجمة في الجامعة الجزائرية بين الواقع والآفاق**، في الترجمة الجامعية والترجمة المهنية الماضي والحاضر والمستقبل، ألفا للوثائق، ط1، 2019، ص 78 وأحمد المنور، المرجع السابق، ص.ص 60-62

للالتحاق بها لزيادة عدد المسجلين ومن ثم المتخرجين، كما كانت كل الدروس تقدم باللغة العربية. لكن بعد حلول السلطات الأكادمية محل السلطات العسكرية في إدارة تلك المدارس، تغير القانون الداخلي (قرار 16 جانفي 1876) لتلك المؤسسات وحدد سن الالتحاق للطلبة بين 17-25 سنة، تتوج دراستهم بشهادة الإجازة في الدراسات الاسلامية، وشيئا فشيئا، تم إدراج اللغة الفرنسية في البرامج التعليمية، إضافة إلى مختلف المواد العلمية على غرار الرياضيات، والتاريخ والجغرافيا، وتحولت تلك المدارس إلى مدارس للدراسات العليا الاسلامية (مرسوم 23 جويلية 1895)، وتم تنصيب قسمة عليا على مستوى مدرسة الجزائر لتدريب وتكوين الموظفين على المناصب العليا من شاكلة (قاضي، موثق...) ضمن تمدرس تكميلي يدوم سنتين؛ وفي 1904 تم اشتراط شهادة الدراسة الابتدائية للالتحاق بالمدرسة، ليتم في سنة 1944 الحاق المدارس الثلاث بالتعليم الثانوي وتصبح تسمى بالثانويات الفرنكو-إسلامية« *medersa* » ou lycées franco-musulman مع استحداث ثلاثة شعب، أولها تقليدية متعلقة بتكوين موظفي القضاء، والثانية بيداغوجية تهتم بتكوين مدرسي المساجد، أما الثالثة فإدارية تتخصص في تخريج مترجمين. وكانت أهم التمارين الترجمية التي تطبق ضمن البرامج التعليمية لا تخرج عن ثنائية (thème/version) المتمثل في تمريني (الترجمة من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية، والعكس) مع اعتبار اللغة العربية هي اللغة الأجنبية، واللغة الفرنسية هي اللغة الوطنية تطبيقا لسياسة " الجزائر فرنسية" l'Algérie française. لقد وجدت الإدارة الفرنسية أن إدخال دروس الترجمة من الفرنسية إلى العربية أو العكس في مناهج التدريس يخدم غرضين اثنين هما:

- تعليم اللغة الفرنسية ونشرها في البلاد.
- إعداد مترجمين ليكونوا بمثابة وسطاء بينها وبين الأهالي.[1]

فبرزت الممارسة الترجمية، "وأصبحت وظيفة المترجم من الوظائف البارزة والهامة في هياكل الحماية الفرنسية في بلدان المغرب العربي " والجزائر خصوصا.

2.1. فرض اللغة الفرنسية في الإدارة والتعليم

لم يكن اعتماد اللغة الفرنسية في الإدارة خلال الفترة الاستعمارية (1830–1962) مجرد إجراء تنظيمي يهدف إلى تسيير شؤون الحكم، بل كان جزءًا لا يتجزأ من مشروع استعماري

[1] مليكة باشا، **تعليمية الترجمة في الجامعة الجزائرية بين الواقع والآفاق**، ص 79

متكامل سعت من خلاله فرنسا إلى ترسيخ سيطرتها على الجزائر، ليس فقط عسكريًا وسياسيًا، بل أيضًا ثقافيًا ورمزيًا. ففي هذا السياق، عملت السلطة الاستعمارية على إعادة بناء الجهاز الإداري وفق النموذج الفرنسي، وجعلت من اللغة الفرنسية أداته المركزية، بحيث أصبحت اللغة الوحيدة المعتمدة في جميع المعاملات الرسمية، من مراسلات ووثائق وقوانين وأحكام قضائية. وقد ترتب عن ذلك إقصاء تدريجي وممنهج للغة العربية من الفضاء الإداري، بعد أن كانت لغة الإدارة والقضاء في العهد العثماني، مما أدى إلى قطع الصلة بين السكان المحليين ومؤسسات الحكم الجديدة. ولم يكن هذا الإقصاء مجرد نتيجة عرضية، بل كان مقصودًا، إذ إن التحكم في اللغة يعني التحكم في آليات الفهم والتأويل، وبالتالي التحكم في المجتمع نفسه. ومن ثم، أصبحت الفرنسية خلال الحقبة الاستعمارية شرطًا أساسيًا للاندماج في الإدارة، ومفتاحًا للترقي الاجتماعي، وهو ما أدى إلى ظهور فئة محدودة من الجزائريين المتفرنسين الذين تمكنوا من الولوج إلى بعض المناصب، مقابل تهميش الأغلبية الساحقة[1].

وعلاوة على ذلك، ارتبطت اللغة الفرنسية في المخيال الاستعماري بمفاهيم "التمدين" و"التحضر"، في إطار ما عُرف بسياسة الإدماج، التي هدفت إلى صبغ المجتمع الجزائري بالصبغة الفرنسية، دون منحه حقوقًا متساوية. وفي المقابل، جرى حصر اللغة العربية في المجالات الدينية والتقليدية، مما أسهم في خلق ازدواجية لغوية حادة تعكس انقسامًا عميقًا داخل المجتمع.

وبذلك، فإن فرض اللغة الفرنسية في الإدارة خلال الفترة الاستعمارية لم يكن مجرد اختيار لغوي تقني، بل كان أداة استراتيجية لإعادة تشكيل البنية المؤسسية والرمزية للمجتمع الجزائري، بما يخدم أهداف الهيمنة والسيطرة، ويُعيد إنتاجها على المدى الطويل.

3.1 مشروع "الفرنسة" وإعادة تشكيل الهوية

لم يكن مشروع "الفرنسة" الذي انتهجته فرنسا خلال الفترة الاستعمارية في الجزائر مجرد سياسة لغوية تهدف إلى نشر اللغة الفرنسية، بل كان مشروعًا إيديولوجيًا متكاملًا يرمي إلى

[1] ينظر: براهيم لونيسي، **دور الادارة الاستعمارية في نشر اللغةالفرنسية في الجزائر**، الحوار المتوسطي، مجلد 2، رقم 1، 2010، ص.ص (9-18) وأحمد المنور، المرجع السابق، ص.ص 60-62

إعادة تشكيل هوية الفرد والمجتمع الجزائريين وفق النموذج الثقافي الفرنسي. فقد ارتبطت الفرنسة ارتباطًا وثيقًا بسياسة الإدماج، التي سعت نظريًا إلى تحويل الجزائريين إلى "فرنسيين" في اللغة والثقافة، دون أن تمنحهم فعليًا نفس الحقوق السياسية، مما يكشف عن الطابع التناقضي لهذا المشروع.

وفي هذا الإطار، استُخدمت اللغة الفرنسية كأداة مركزية لإعادة بناء المنظومة القيمية والرمزية، حيث لم تُفرض فقط كلغة تواصل، بل قُدّمت باعتبارها حاملة للحداثة والعقلانية والتقدم. في المقابل، جرى تصوير اللغة العربية والثقافة المحلية باعتبارهما رمزًا للتخلف والجمود، وهو ما أسهم في إحداث خلخلة في البنية الهوياتية للمجتمع، خاصة لدى الفئات التي تلقت تعليمها في المدارس الاستعمارية[1].

وقد انعكس هذا المشروع على مستوى تمثلات الأفراد لأنفسهم ولانتمائهم، إذ وجد المتعلم الجزائري نفسه في وضعية ازدواجية: فهو يتبنى لغة وثقافة المستعمِر في المجال الرسمي والتعليمي، بينما ينتمي اجتماعيًا وثقافيًا إلى بيئة محلية مختلفة. هذه الازدواجية لم تكن مجرد حالة لغوية، بل تحولت إلى **توتر هوياتي** عميق، تجلّى في الشعور بالانفصال بين الذات والمرجعية الأصلية.

كما أن مشروع الفرنسة ساهم في إنتاج نخبة متفرنسة لعبت دور الوسيط بين الإدارة الاستعمارية والمجتمع، حيث اكتسبت هذه الفئة امتيازات رمزية ومادية مقابل تبنيها للغة والثقافة الفرنسيتين. غير أن هذا المسار لم يؤدِّ إلى اندماج حقيقي، بل كرّس نوعًا من **الاغتراب الثقافي**، إذ بقيت هذه النخبة معلّقة بين انتماءين دون أن تنتمي بالكامل إلى أيٍّ منهما.

ومن جهة أخرى، لم يمر هذا المشروع دون مقاومة، فقد ظهرت أشكال متعددة من الرفض الثقافي واللغوي، تمثلت في التمسك باللغة العربية في الزوايا والتعليم الحر، وفي جهود

[1] ينظر: المهدي هجالة خيرة، **سياسة الفرنسة في الجزائر 1830- 1962**، الإحياء، مجلد 21، رقم 2، 2021، ص.ص 753-764- وأحمد المنور، المرجع السابق، ص 59

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي عملت على إحياء الهوية العربية الإسلامية ومقاومة سياسة الطمس الثقافي[1].

وبذلك، يمكن القول إن "مشروع الفرنسة" لم يكن مجرد سياسة تعليمية أو إدارية، بل كان استراتيجية عميقة لإعادة تشكيل الإنسان الجزائري في لغته ووعيه وانتمائه، وهو ما جعل مسألة الهوية بعد الاستقلال إحدى أكثر القضايا تعقيدًا واستمرارية في النقاش الفكري والثقافي في الجزائر.

2. مكونات الثقافة المحلية الجزائرية

شكّلت الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية الركيزة الأساسية التي استند إليها المجتمع في الحفاظ على تماسكه وهويته، في مواجهة مشروع الفرنسة الذي قادته فرنسا .فلم تكن هذه الثقافة مجرد منظومة دينية أو تراث لغوي، بل كانت إطارًا شاملًا ينظم حياة الأفراد على المستويات القيمية والاجتماعية والرمزية.

وقد تجلّى هذا الحضور في عدة مستويات؛ أولها **اللغة العربية** باعتبارها لغة القرآن الكريم، والتي احتفظت بمكانتها رغم إقصائها من الإدارة والتعليم الرسمي. فقد ظلّت العربية لغة العبادة والتعليم التقليدي، مما منحها بعدًا رمزيًا قويًا، وجعلها مرتبطة بالهوية الدينية والحضارية. كما أسهمت في الحفاظ على الذاكرة الجماعية، من خلال النصوص الدينية والأدبية التي استمر تداولها داخل المجتمع[2].

أما على المستوى القيمي، فقد حافظت الثقافة العربية الإسلامية على منظومة أخلاقية قائمة على التضامن، والتكافل، والانتماء الجماعي، وهي قيم ساعدت على مقاومة التفكك الذي سعت إليه السياسات الاستعمارية. وبذلك، أصبحت هذه الثقافة تمثّل **درعًا رمزيًا** في مواجهة محاولات الطمس، حيث لم تنجح سياسات الإدماج في اقتلاعها من وجدان المجتمع.

---

[1] ينظر: المهدي هجالة خيرة، **المرجع السابق**

[2] ينظر: أحمد المنور، المرجع السابق، ص.ص 60-62

1.2 . دور الزوايا والمساجد في الحفاظ على الهوية

لعبت الزوايا والمساجد دورًا محوريًا في حماية الهوية الثقافية والدينية للمجتمع الجزائري خلال الاستعمار، حيث تحوّلت إلى مؤسسات بديلة قامت بوظائف تعليمية وثقافية واجتماعية، في ظل تراجع أو تغييب التعليم العربي الرسمي.

ففي الوقت الذي سعت فيه فرنسا إلى فرض نموذجها التعليمي، استمرت الزوايا في:

- تعليم القرآن الكريم واللغة العربية
- نقل العلوم الشرعية
- الحفاظ على المرجعية الدينية

وقد مكّنها هذا الدور من أن تصبح فضاءات للحفاظ على الاستمرارية الثقافية، خاصة في المناطق الريفية والداخلية. كما لعبت المساجد دورًا مشابهًا، حيث لم تكن مجرد أماكن للعبادة، بل كانت:

- مراكز للتوعية الدينية
- فضاءات لنشر القيم والهوية
- نقاط التقاء اجتماعي تعزز الانتماء الجماعي [1]

ومن جهة أخرى، ارتبطت هذه المؤسسات بحركات الإصلاح الديني والثقافي، خاصة مع جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي عملت على إحياء التعليم العربي الإسلامي، ومواجهة سياسة الفرنسة عبر نشر الوعي بأهمية اللغة العربية والهوية الإسلامية.

وعليه، يمكن القول إن الزوايا والمساجد لم تكن مجرد مؤسسات تقليدية، بل أدّت دورًا استراتيجيًا في **المقاومة الثقافية غير المباشرة**، حيث حافظت على استمرارية اللغة والدين والقيم، وأسهمت في نقلها عبر الأجيال رغم الضغوط الاستعمارية.

3. أشكال التفاعل الثقافي

يُعدّ التفاعل الثقافي خلال الفترة الاستعمارية في الجزائر من أكثر الظواهر تعقيدًا وتشابكًا، إذ لم يكن مجرد تلاقٍ بسيط بين ثقافتين، بل كان نتيجة علاقة تاريخية غير متكافئة فرضتها ظروف الاحتلال الذي مارسته فرنسا منذ سنة 1830. وقد ترتب عن هذا الوضع

[1] علي شريف حورية، مرزقلال موسى، **دور الزوايا في الحفاظ على الهوية الجماعية للمجتمع الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية**، مجلة مفاهيم، مجلد 4، رقم 1، 2021، ص.ص 346-353

الاستعماري إعادة تشكيل المجال الثقافي برمّته، حيث تداخلت آليات الهيمنة مع أشكال المقاومة والتكيّف، مما أفرز أنماطًا متعددة من التفاعل لا يمكن اختزالها في ثنائية بسيطة بين رفض كامل أو قبول مطلق.

وفي هذا السياق، يمكن القول إن فهم هذا التفاعل يقتضي تجاوز الوصف السطحي للعلاقة بين الثقافتين، نحو تحليل بنيتها العميقة التي تحكمها علاقات القوة والتمثلات الرمزية. فالثقافة لم تكن مجرد مجال للتبادل الحر، بل أصبحت ساحة لصراع رمزي حول اللغة، والمعرفة، والهوية، وهو ما جعل النتائج المترتبة عن هذا الاحتكاك غير متوازنة، سواء على مستوى البنية الاجتماعية أو على مستوى تشكل النخب.

1.3. التبادل غير المتكافئ بين الثقافتين:

لم يكن التفاعل بين الثقافة المحلية الجزائرية والثقافة التي فرضتها فرنسا خلال الفترة الاستعمارية (1830–1962) قائمًا على تبادل متوازن أو حوار متكافئ، بل اتسم بطابع أحادي وهيمني، حيث فُرضت الثقافة الفرنسية بوصفها نموذجًا مهيمنًا، في حين وُضعت الثقافة المحلية في موقع التبعية والتهميش.

فقد استند هذا "التبادل" إلى علاقات قوة غير متكافئة، تجلّت في السيطرة على مؤسسات التعليم والإدارة والإعلام، مما منح الثقافة الفرنسية وسائل الانتشار والشرعية، مقابل تقليص حضور الثقافة العربية الإسلامية إلى فضاءات محدودة، كالمساجد والزوايا والمجال الخاص. وبهذا المعنى، لم يكن الأمر تبادلًا حقيقيًا، بل إعادة تشكيل قسرية للمجال الثقافي وفق منظور استعماري[1].

كما أن هذا الوضع أفضى إلى خلق تراتبية ثقافية، حيث ارتبطت الفرنسية بالحداثة والسلطة والمعرفة، في حين جرى تصوير الثقافة المحلية باعتبارها تقليدية أو متخلفة. وقد ساهم هذا التمثّل في ترسيخ نوع من العنف الرمزي، إذ تم فرض معايير ثقافية معينة

[1] ينظر: ناصر الدين سعيدوني، **المسألة الثقافية في الجزائر، الهوية، اللغة، دراسة تاريخية نقدية**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط 1، 2021

باعتبارها "طبيعية" أو "أرقى"، مما أدى إلى إضعاف الثقة بالذات الثقافية لدى بعض الفئات[1].

وعليه، فإن ما يبدو ظاهريًا كتفاعل ثقافي، هو في حقيقته علاقة غير متكافئة قائمة على الهيمنة من جهة، ومحاولات التكيّف أو المقاومة من جهة أخرى، دون تحقق شروط التبادل المتوازن.

2.3. التأثير الفرنسي على النخب الجزائرية

في سياق هذا التفاعل غير المتكافئ، برزت فئة من النخب الجزائرية التي تلقت تعليمها في المدارس الفرنسية، وتأثرت بشكل مباشر باللغة والثقافة الفرنسيتين. وقد شكّلت هذه النخبة إحدى النتائج البارزة للسياسة الاستعمارية التي انتهجتها فرنسا، خاصة في إطار مشروع الإدماج.

فمن جهة، اكتسبت هذه الفئة أدوات معرفية حديثة، ومكّنتها اللغة الفرنسية من الولوج إلى مجالات الإدارة والثقافة المكتوبة، بل والمشاركة في إنتاج خطاب فكري وأدبي جديد. غير أن هذا التأثير لم يكن محايدًا، إذ رافقه نوع من **الازدواجية الهوياتية**، حيث وجدت هذه النخب نفسها بين انتماء ثقافي محلي وجهاز مفاهيمي ولغوي مستمد من الثقافة الفرنسية.

وقد تجلّى هذا التأثير في:

- اعتماد الفرنسية كلغة للتعبير الفكري والأدبي
- تبنّي بعض المفاهيم والقيم الغربية في تحليل الواقع
- السعي أحيانًا إلى الإصلاح من داخل المنظومة الاستعمارية نفسها

غير أن هذه النخبة لم تكن كتلة واحدة؛ إذ انقسمت مواقفها بين:

- تيار اندماجي يميل إلى التماهي مع النموذج الفرنسي
- وتيار إصلاحي/وطني سعى إلى توظيف الأدوات المكتسبة في الدفاع عن الهوية والقضية الجزائرية

ومن هنا، يمكن القول إن تأثير الثقافة الفرنسية على النخب الجزائرية كان **مركّبًا ومزدوجًا** :فقد ساهم من جهة في إنتاج نوع من الاغتراب الثقافي، لكنه من جهة أخرى أتاح إمكانات جديدة للتعبير والمقاومة، خاصة عبر الكتابة والفكر.

[1] ينظر: ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**

3.3 . انعكاس ذلك في الفكر والأدب:

لقد انعكس التفاعل الثقافي غير المتكافئ خلال الفترة الاستعمارية في الجزائر، وما نتج عنه من تأثير مباشر على النخب المتعلمة، بشكل واضح في المجالين الفكري والأدبي، حيث شكّل هذان المجالان فضاءً للتعبير عن التحولات العميقة التي أحدثتها السياسات الثقافية التي انتهجتها فرنسا.

فعلى المستوى الفكري، برزت فئة من المثقفين الجزائريين الذين تلقوا تعليمهم في المنظومة الاستعمارية، فتبنّوا أدوات تحليل مستمدة من الفكر الغربي، خاصة اللغة الفرنسية بوصفها وسيطًا معرفيًا.[1] وقد أدى ذلك إلى ظهور خطاب فكري مزدوج، يجمع بين الانتماء إلى المرجعية المحلية من جهة، واستيعاب المفاهيم الحديثة الوافدة من جهة أخرى، مثل مفاهيم التقدم، والحداثة، والهوية، مما أفرز حالة من **التوتر الفكري** بين الأصالة والتحديث، وبين الارتباط بالذات والانفتاح على الآخر.

أما في المجال الأدبي، فقد كان التأثير أكثر وضوحًا من خلال بروز ما يُعرف بـ"الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية"، حيث استخدم عدد من الكتاب الجزائريين اللغة الفرنسية للتعبير عن واقعهم الاجتماعي والسياسي، وعن قضايا الهوية والاغتراب والاستعمار. وقد مثّل هذا الأدب شكلاً من أشكال التفاعل المركّب مع الثقافة الفرنسية، إذ استُخدمت لغة المستعمِر نفسها لتفكيك خطاب الاستعمار ونقده. وفي هذا السياق، يمكن ملاحظة أن هذا الإنتاج الأدبي لم يكن منسجمًا بالكامل مع النموذج الثقافي الفرنسي، بل حمل في داخله توترًا هوياتيًا واضحًا، حيث عبّر عن تجربة ذات تعيش بين ثقافتين، وتبحث عن موقع لها بين الانتماء المحلي والأداة التعبيرية المستعارة. وهكذا تحوّلت اللغة الفرنسية، رغم كونها أداة هيمنة في الأصل، إلى وسيلة للتعبير عن الرفض وإعادة صياغة الوعي بالذات.

ومن ثم، فإن انعكاس التفاعل الثقافي في الفكر والأدب خلال الفترة الاستعمارية لم يكن انعكاسًا بسيطًا أو أحادي الاتجاه، بل كان انعكاسًا مركّبًا يكشف عن صراع رمزي بين الهيمنة الثقافية ومحاولات إعادة التملك والتعبير، وهو ما جعل المجالين الفكري والأدبي فضاءً أساسيًا لفهم ديناميات الهوية في تلك المرحلة.

---

[1] أحمد المنور، المرجع السابق، ص.ص 133-135

المحاضرة (7): الحركة الثقافية في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى

تمهيد:

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى (1918)، دخلت الجزائر مرحلة جديدة من تاريخها تحت الاستعمار الفرنسي، اتسمت بتعقيد الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية. فقد جاءت هذه المرحلة في سياق دولي عرف تحولات عميقة، أبرزها بروز خطاب "حق الشعوب في تقرير المصير"، وهو ما أثار لدى الشعوب المستعمَرة، ومنها الجزائر، آمالًا أولية في إمكانية إعادة النظر في وضعها الاستعماري، رغم أن الواقع على الأرض بقي خاضعًا لسيطرة فرنسا وسياساتها الاستعمارية.

وعلى المستوى الداخلي، عرفت الجزائر استمرار النظام الاستعماري القائم على التمييز والإقصاء، سواء في المجال السياسي أو الاقتصادي أو الثقافي، حيث بقيت الأغلبية الساحقة من الجزائريين محرومة من الحقوق السياسية الأساسية، ومهمّشة في الإدارة والتعليم. كما استمرت سياسة الفرنسة في تعميق الفجوة بين النخبة المتعلمة بالفرنسية وبقية فئات المجتمع، مما ساهم في تعقيد البنية الاجتماعية وإعادة تشكيلها وفق معايير استعمارية.

وفي المقابل، شهدت هذه المرحلة بداية تشكل وعي ثقافي وسياسي جديد، تجلّى في بروز حركات فكرية وإصلاحية، ونشاط صحفي وثقافي متزايد، عبّر عن رفض الوضع القائم والدعوة إلى الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية. وهكذا، يمكن اعتبار فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى مرحلة انتقالية مهمة، تميزت بتزايد التوتر بين المشروع الاستعماري الفرنسي ومحاولات المجتمع الجزائري لإعادة بناء ذاته ثقافيًا وهوياتيًا، في أفق لاحق سيتطور نحو المطالبة الصريحة بالتحرر والاستقلال.

1. بروز الوعي الثقافي الوطني

أدت التحولات الدولية التي أعقبت الحرب العالمية الأولى، وخاصة بروز الخطاب السياسي الجديد الذي دعا إليه الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون **Woodrow Wilson** حول "حق الشعوب في تقرير المصير"، إلى إحداث تحوّل مهم في الوعي السياسي لدى الشعوب

الخاضعة للاستعمار، ومن بينها الجزائر .فقد ساهم هذا الخطاب، رغم طابعه الانتقائي وتطبيقه المحدود، في إيقاظ أمل جديد لدى فئات من الجزائريين بإمكانية إعادة النظر في وضعهم الاستعماري، وفتح نقاشات أولية حول العدالة السياسية وشرعية السيطرة الاستعمارية التي فرضتها فرنسا منذ 1830.

وقد انعكست هذه التحولات في تزايد حسّ الوعي لدى النخب المثقفة، خاصة تلك التي تلقت تعليمها في المدارس الاستعمارية أو ارتبطت بالتيارات الإصلاحية، حيث بدأت تتشكل لديهم قناعة بأن الوضع القائم ليس قدرًا نهائيًا، بل يمكن تغييره ضمن سياق سياسي دولي جديد بدأ يعيد طرح مفاهيم السيادة والحرية. كما ساهم هذا المناخ في تحفيز النقاش حول الهوية واللغة والمواطنة، وأعاد إحياء التساؤل حول موقع الجزائريين داخل المنظومة الاستعمارية.

ومع ذلك، ظل هذا الوعي في مراحله الأولى محدودًا وموسومًا بنوع من التفاوت الاجتماعي والمعرفي، إذ لم يشمل جميع فئات المجتمع، بل تمركز أساسًا داخل النخب الحضرية والمثقفة، قبل أن يتطور تدريجيًا في العقود اللاحقة نحو أشكال أكثر تنظيمًا ووضوحًا في المطالبة بالحقوق السياسية والثقافية.

وتمثلت تلك المطالب في:

- إعادة التفكير في الهوية الجزائرية
- نقد سياسة الإدماج الفرنسية
- رفض الطمس الثقافي واللغوي.[1]

وقد ساعد هذا المناخ على انتقال الثقافة من مجرد حفاظ تقليدي **إلى** مشروع ثقافي واعٍ بذاته.

2. دور الحركات الوطنية:

شهدت الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، ولا سيما بعد الحرب العالمية الأولى، مرحلة مهمة من تطور الوعي الوطني، تجسدت في بروز الحركات الوطنية التي عبّرت عن تحولات عميقة داخل المجتمع الجزائري في ظل النظام الاستعماري الذي فرضته فرنسا منذ 1830. وقد جاء هذا التطور نتيجة تراكم عوامل سياسية وثقافية واجتماعية، من أبرزها تزايد

[1] ينظر: عبد العزيز راجعي، **السياسة الفرنسية في مواجهة نشاط الحركة الوطنية الجزائرية الأمرية 07 مارس 1944 م أنموذجا**، المجلة التاريخية الجزائرية، مجلد 6، رقم 2، 2022، ص.ص. 525

الإحساس بالتمييز والإقصاء، واتساع الفجوة بين المجتمع المحلي والإدارة الاستعمارية، إضافة إلى تأثير التحولات الدولية التي أعادت طرح قضايا الحرية وحق الشعوب في تقرير مصيرها.

وقد اتسمت الحركات الوطنية في هذه المرحلة بالتنوع والتعدد، حيث لم تكن حركة واحدة موحدة، بل مجموعة من التيارات التي اختلفت في رؤيتها وأساليبها، لكنها التقت في هدف عام يتمثل في مواجهة الاستعمار واستعادة الهوية. فقد برز التيار الإصلاحي الديني بوصفه أحد أهم مكونات الحركة الوطنية، حيث ركّز على الدفاع عن اللغة العربية والثقافة الإسلامية باعتبارهما عنصرين أساسيين في الحفاظ على الهوية، وعمل على إحياء التعليم العربي الإسلامي من خلال المدارس الحرة، والنشاط الديني، والصحافة الإصلاحية، وكان له دور بارز في تعبئة المجتمع ثقافيًا ودينيًا[1].

وفي المقابل، ظهر التيار السياسي الذي عبّر عن مطالب ذات طابع حقوقي في البداية، تمثلت في المطالبة بالمساواة داخل النظام الاستعماري وتحسين أوضاع الجزائريين، قبل أن تتطور هذه المطالب تدريجيًا نحو نقد جذري للوجود الاستعماري والمطالبة بالاستقلال. وقد اعتمد هذا التيار على أساليب العمل السياسي مثل العرائض، والمشاركة المحدودة في المؤسسات الاستعمارية، والنشاط الحزبي لاحقًا، مما سمح بتشكيل خطاب سياسي وطني أكثر وضوحًا.

كما برزت، في مراحل لاحقة، اتجاهات أكثر راديكالية تبنت خيار القطيعة مع النظام الاستعماري، معتبرة أن الإصلاحات الجزئية غير كافية، وأن الحل يكمن في الكفاح المباشر من أجل الاستقلال. وقد تزامن ذلك مع تزايد القمع الاستعماري، مما ساهم في تسريع انتقال الحركة الوطنية من مرحلة المطالبة بالإصلاح إلى مرحلة النضال من أجل التحرر.

وقد اعتمدت هذه الحركات الوطنية في نشاطها على مجموعة من الوسائل، من أهمها الصحافة المكتوبة بالعربية والفرنسية، والجمعيات الثقافية والدينية، والمدارس الحرة، والنشاط الفكري والإصلاحي، مما جعلها تشكل فضاءً واسعًا لتكوين الوعي الوطني وبناء خطاب يربط بين الهوية والسيادة. وبذلك، يمكن القول إن الحركات الوطنية في الجزائر

[1] ينظر: عثماني رمضان، **الأسس التاريخية والمنطلقات الفكرية للنخبة الجزائرية ودورها في الحركة الوطنية 1919-1954**، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان قسم التاريخ والفنون، 2020

خلال الفترة الاستعمارية لم تكن مجرد رد فعل سياسي، بل كانت تعبيرًا عن عملية طويلة ومعقدة لإعادة بناء الذات الجماعية في مواجهة مشروع استعماري شامل[1].

يمكن تصنيف الحركات الوطنية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية بحسب موقفها من العلاقة مع فرنسا إلى اتجاهين رئيسيين :اتجاه يطالب بالقطيعة والاستقلال واتجاه إصلاحي/إدماجي يرفض القطيعة في البداية.

1.2. الحركات الداعية إلى القطيعة مع فرنسا (الاستقلال)

كان هذا التيار يرى أن النظام الاستعماري غير قابل للإصلاح، وأن الحل الوحيد هو الاستقلال الكامل ومن الحركات الممثلة له:

- **نجم شمال إفريقيا (1926)** الذي يعتبر أول تنظيم سياسي يرفع شعار الاستقلال التام ، ورفض فكرة الاندماج داخل الدولة الفرنسية، ودعا إلى التحرر السياسي الكامل

-حزب الشعب الجزائري (1937): هو امتداد لنجم شمال إفريقيا، تبنى بشكل واضح فكرة الاستقلال، **وعمل على تعبئة شعبية ضد الاستعمار**

-حركة انتصار الحريات الديمقراطية (1946): واصلت خط حزب الشعب، رغم خطابها القانوني، كانت القاعدة الشعبية تميل إلى الاستقلال، ومهدت لاحقًا لظهور الجناح الثوري

2.2. الحركات الرافضة للقطيعة (الإصلاح أو الإدماج)

هذا الاتجاه لم يطرح الاستقلال في البداية، بل ركّز على الإصلاح داخل النظام الاستعماري:

- **التيار الإدماجي: دعا إلى** المساواة داخل النظام الفرنسي، وطالب بحقوق سياسية ومدنية، لم يطرح فكرة الاستقلال في البداية، حيث كان يؤمن بإمكانية الاندماج التدريجي[2].

-بعض النخب المتعلمة بالفرنسي، برزت فئة من المثقفين الجزائريين المتعلمين في المدارس الفرنسية تبنت خطابًا إصلاحيًا، سعت لتحسين وضع الجزائريين داخل النظام الاستعماري، واستخدمت الوسائل القانونية والسياسية بدل المواجهة، ولعبت دورًا مزدوجً: متمثلا في:

- استخدام أدوات الفكر الفرنسي لنقد الاستعمار.
- إعادة صياغة الهوية الجزائرية بلغة حديثة .

[1] ينظر: عثماني رمضان، المرجع السابق.

[2] أحمد المنور، المرجع السابق، ص.ص 183-185

وقد ساهم هذا في ظهور خطاب ثقافي جديد يجمع بين المرجعية المحلية والأدوات الفكرية الغربية.

3.2. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

لا تُصنّف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مباشرة لا ضمن الإدماجيين ولا الثوريين، بل:

- ركّزت على القطيعة الثقافية مع الفرنسة
- دافعت عن الهوية العربية الإسلامية
- لكنها لم تطرح الكفاح المسلح مباشرة، لذلك تُعتبر حركة إصلاحية ثقافية تمهّد للوعي الوطني أكثر من كونها حزبًا سياسيًا استقلاليًا مباشرًا[1].

3. تطور الصحافة والكتابة

شهدت الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، وخاصة منذ مطلع القرن العشرين وما بعد الحرب العالمية الأولى، تطورًا تدريجيًا ومهمًا في مجال الصحافة والكتابة، في سياق التحولات السياسية والثقافية التي عرفها المجتمع الجزائري تحت النظام الاستعماري الذي فرضته فرنسا منذ 1830. فقد كانت الصحافة في بدايتها خاضعة للرقابة الاستعمارية وموجهة أساسًا لخدمة الإدارة الفرنسية، حيث هيمنت اللغة الفرنسية على معظم الجرائد، مثل L'Écho d'Alger وLa Dépêche Algérienne وLe Moniteur Algérien، والتي كانت تعكس إلى حد كبير الرؤية الرسمية للإدارة الاستعمارية وتسهم في تكريس المشروع الثقافي الفرنسي داخل الفضاء الجزائري، وتم توظيفها لترسيخ الرؤية الاستعمارية وتبرير وجوده السياسي والثقافي. غير أن هذا المجال سرعان ما عرف تحولات عميقة مع بروز نخب جزائرية متعلمة وظهور وعي وطني متزايد، مما أدى إلى تحول الصحافة تدريجيًا إلى فضاء للتعبير عن القضايا الوطنية والهوية الثقافية.

وقد ساهمت الحركات الإصلاحية والوطنية في هذا التطور بشكل كبير، حيث لعبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دورًا بارزًا في تأسيس صحافة عربية إصلاحية، من خلال

[1] فركووس صالح، **دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثورة الجزائرية 1954-1962**، مجلة العلوم الانسانية، مجلد 18، رقم 3، 2007، ص.ص 257-268

جرائد ومجلات هدفت إلى الدفاع عن اللغة العربية، وإحياء الثقافة الإسلامية، ونشر الوعي الديني والثقافي، ومواجهة سياسة الفرنسة[1] التي سعت إلى إضعاف الهوية المحلية. والفعل، فقد برزت صحافة إصلاحية عربية مرتبطة بالحركة الإصلاحية، وخاصة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، من خلال صحف ومجلات مثل *البصائر* و*الشهاب*، والتي ركزت على الدفاع عن اللغة العربية، وإحياء الهوية الإسلامية، ومقاومة سياسة الفرنسة. كما ظهرت، في سياق تطور الحركة الوطنية، صحافة سياسية مرتبطة بالأحزاب والتنظيمات الوطنية، سعت إلى التعبئة ضد الاستعمار ونشر الوعي الوطني، رغم ما واجهته من رقابة وضغوط. وهكذا، يعكس المشهد الصحفي في الجزائر الاستعمارية صراعًا ثقافيًا واضحًا بين خطاب استعماري مهيمن وخطابات مقاومة تسعى إلى إعادة بناء الهوية وترسيخ الوعي الوطني.

وفي المقابل، ظهرت صحافة سياسية مرتبطة بالأحزاب والحركات الوطنية مثل حزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، حيث استخدمت هذه الصحافة كأداة للتعبئة السياسية، ونشر الخطاب الوطني، والتنديد بممارسات الاستعمار، والدعوة إلى الحقوق السياسية والاجتماعية[2]. مثل *La Voix du Peuple*(صوت الشعب) المرتبطة بحزب الشعب الجزائري، و *L'Algérie Libre* (الجزائر الحرة) التي عبّرت عن التوجهات الاستقلالية، إضافة إلى *Alger Républicain* التي، رغم كتابتها بالفرنسية، احتضنت خطابًا نقديًا للوضع الاستعماري وطرحت قضايا اجتماعية وسياسية حساسة. كما ظهرت صحف أخرى ذات طابع وطني وإصلاحي ساهمت في تشكيل الرأي العام وتوسيع دائرة الوعي السياسي داخل المجتمع الجزائري. وهكذا، مثّلت الصحافة الحزبية أداة مركزية في الصراع السياسي والثقافي، ووسيلة فعالة لنقل خطاب الحركة الوطنية في مواجهة المشروع الاستعماري الفرنسي[3].

كما شهدت هذه المرحلة تطورًا مهمًا في مجال الكتابة الأدبية والفكرية، حيث برزت نصوص تعكس الوعي المتنامي بالهوية والانتماء، وتتناول قضايا الاغتراب الثقافي، والظلم الاستعماري، والتوتر بين الأصالة والتحديث. وقد تميز هذا الإنتاج الأدبي بوجود ازدواجية

---

[1] فركووس صالح، المرجع السابق، ص 260

[2] قادري عبد الحليم، بن قويدر نور الدين، **الصحافة الجزائرية وأثرها في الحركة الوطنية قراءة في المسار التاريخي**، المعيار، مجلد 28، رقم 1، 2024، ص.ص 554-572

[3] قادري عبد الحليم، بن قويدر نور الدين، المرجع السابق، ص 560

لغوية، إذ كُتب جزء منه بالعربية ضمن الخطاب الإصلاحي، بينما كُتب جزء آخر بالفرنسية لدى نخبة من المثقفين الذين استخدموا لغة المستعمر للتعبير عن الواقع الجزائري ونقده من الداخل[1].

وهكذا، فإن تطور الصحافة والكتابة في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية لم يكن مجرد تطور إعلامي أو أدبي، بل كان تعبيرًا عن صراع ثقافي عميق بين مشروع استعماري يسعى إلى الهيمنة الثقافية واللغوية، وحركة وطنية وثقافية تسعى إلى الحفاظ على الهوية وبناء وعي تحرري، مما جعل الكلمة المكتوبة أحد أهم أدوات المقاومة الفكرية والثقافية في تلك المرحلة.

خلاصة:

شكّلت الفترة الاستعمارية في الجزائر، تحت سيطرة فرنسا منذ 1830، سياقًا معقدًا تداخلت فيه آليات الهيمنة الاستعمارية مع أشكال متعددة من المقاومة الثقافية والسياسية. فقد كان فرض اللغة الفرنسية في الإدارة والتعليم أداة مركزية لإعادة تشكيل البنية المؤسسية والرمزية للمجتمع، مما أدى إلى تهميش اللغة العربية والثقافة المحلية، وإنتاج واقع لغوي وثقافي غير متكافئ. وفي المقابل، حافظت الثقافة العربية الإسلامية، من خلال مؤسسات مثل الزوايا والمساجد، على دورها في صون الهوية ونقل القيم والمعرفة، كما ساهمت الحركة الإصلاحية والوطنية في بلورة وعي جديد تمثل في بروز الصحافة والكتابة والحركات السياسية. وقد عكست هذه الديناميكية ظهور نخب متعلمة بالفرنسية لعبت دورًا مزدوجًا بين التفاعل مع الثقافة الاستعمارية ومحاولة توظيفها في نقده ومواجهته.

[1] نذكر منهم على سبيل المثال محمد ديب، كاتب ياسين، مالك حداد، مولود فرعون، وغيرهم

المحاضرة (8): التنوع الأدبي الفرانكفوني في الجزائر: الملامح التاريخية والتطورات الجديدة

1. السياق التاريخي لنشأة الأدب الفرانكفوني

يعود ظهور الأدب الفرانكفوني في الجزائر إلى سياق تاريخي معقد ارتبط بالاحتلال الفرنسي منذ سنة 1830، حيث عملت فرنسا على فرض لغتها بوصفها أداة للإدارة والتعليم والتحديث الموجَّه، في إطار مشروع استعماري يسعى إلى إعادة تشكيل البنية الثقافية للمجتمع الجزائري. وقد أدى هذا الوضع إلى نشوء فئة من المثقفين الجزائريين الذين تلقّوا تعليمهم باللغة الفرنسية، مما أتاح لهم الولوج إلى فضاءات الكتابة والنشر، لكنه وضعهم في الوقت نفسه أمام إشكالية عميقة تتعلق باللغة والهوية والانتماء. ففي بداياته، ارتبط التعبير الأدبي بالفرنسية بنوع من الازدواجية، حيث كانت هذه اللغة تمثل أداة للترقي الاجتماعي من جهة، ورمزًا للهيمنة من جهة أخرى. غير أن هذا الوضع لم يظل ثابتًا، إذ سرعان ما تحولت الكتابة بالفرنسية إلى مجال للتوتر الخلّاق، حيث استثمرها الكتّاب الجزائريون لإعادة صياغة تجربتهم التاريخية والتعبير عن واقعهم الاجتماعي والثقافي. فقد ظهرت نصوص أدبية تعكس معاناة الجزائري في ظل النظام الاستعماري، وتكشف عن اختلالات البنية الكولونيالية، كما تسعى إلى استعادة الصوت المحلي داخل لغة مفروضة. ويمكن ملاحظة هذا التحول في أعمال رواد مثل مولود فرعون الذي نقل تفاصيل الحياة اليومية في القرى الجزائرية، وكاتب ياسين الذي منح للغة الفرنسية بعدًا ثوريًا وجعلها أداة لمقاومة الاستعمار، واصفًا إياها بـ"غنيمة حرب". وفي هذا السياق، لم تعد الفرنسية مجرد لغة كتابة، بل تحولت إلى فضاء للصراع الرمزي وإعادة التملك الثقافي[1].

ومع تصاعد الوعي الوطني، خاصة خلال فترة حرب التحرير الجزائرية، ازداد حضور الخطاب الأدبي الملتزم الذي يعكس تطلعات الشعب الجزائري نحو الحرية والاستقلال، حيث أصبحت الكتابة بالفرنسية وسيلة لنقل القضية الجزائرية إلى العالم الخارجي. وهنا

[1] ينظر، عبير شليغم، المرجع السابق، ص 395

برزت مفارقة لافتة، تتمثل في استخدام لغة المستعمِر ذاته للدفاع عن قضايا التحرر ومناهضة الاستعمار، مما أكسب الأدب الفرانكفوني الجزائري طابعًا إشكاليًا ومركّبًا.

بعد الاستقلال، لم يتوقف هذا الأدب، بل دخل مرحلة جديدة اتسمت بإعادة النظر في العلاقة مع اللغة الفرنسية، حيث وجد الكتّاب أنفسهم أمام تساؤلات جديدة تتعلق بشرعية الاستمرار في الكتابة بهذه اللغة، في ظل سياسات التعريب وبروز خطاب الهوية الوطنية. ومع ذلك، استمر العديد من الكتّاب في توظيف الفرنسية، لكن ضمن رؤى جديدة تعكس تعددية الهوية الجزائرية وتعقيدها، وتطرح قضايا الذاكرة، والاغتراب، والهجرة، والتعدد اللغوي. ومن ثمّ، فإن نشأة الأدب الفرانكفوني في الجزائر لا يمكن اختزالها في بعدها الاستعماري فحسب، بل ينبغي فهمها بوصفها لحظة تأسيسية لتجربة أدبية ديناميكية، مهّدت لظهور تنوع أدبي غني وتطورات جديدة ستشكل لاحقًا محور هذا البحث.

2. الاتجاهات داخل الأدب الفرانكفوني الجزائري

يتسم الأدب الفرانكفوني في الجزائر بتعدد اتجاهاته وتنوع مرجعياته، وهو تنوع يعكس التحولات التاريخية والاجتماعية التي عرفها المجتمع الجزائري منذ الفترة الاستعمارية إلى اليوم. ويمكن تمييز عدد من الاتجاهات الكبرى التي لا تُفهم بوصفها منفصلة تمامًا، بل متداخلة ومتكاملة في كثير من الأحيان.

1.2. الاتجاه النضالي / الالتزامي أدب مقاوم للاستعمار (المرحلة الاستعمارية):

يُعدّ الاتجاه النضالي من أبرز ملامح الأدب الفرانكفوني في الجزائر خلال المرحلة الاستعمارية، حيث ارتبط ظهوره بتصاعد الوعي الوطني ومقاومة الوجود الاستعماري لفرنسا .ولم يكن هذا الاتجاه مجرد تعبير أدبي، بل كان شكلًا من أشكال الفعل النضالي الرمزي، إذ تحوّلت الكتابة إلى وسيلة لمواجهة الخطاب الكولونيالي وتفكيك أسسه الإيديولوجية. في هذا السياق، اتخذ الأدب وظيفة مزدوجة: من جهة، كشف واقع القهر والتهميش الذي عاشه الجزائري، ومن جهة أخرى، التعبير عن تطلعاته إلى الحرية والاستقلال. وقد تعزّز هذا التوجّه بشكل خاص خلال فترة حرب التحرير الجزائرية، حيث أصبح النص الأدبي وثيقة مقاومة وشهادة تاريخية في آن واحد. فالكاتب لم يعد مجرد راوٍ

للواقع، بل صار فاعلًا منخرطًا في معركة التحرر، يوظّف اللغة الفرنسية ذاتها—بوصفها لغة المستعمِر—لنقل صوت الجزائري إلى الخارج، وكسب تعاطف الرأي العام الدولي. وهنا تتجلّى مفارقة جوهرية: استخدام لغة الهيمنة كأداة للتحرر، وهو ما أضفى على هذا الأدب طابعًا إشكاليًا غنيًا من الناحية النقدية[1].

ومن أبرز تمثلات هذا الاتجاه أعمال كاتب ياسين الذي حمّل اللغة الفرنسية بعدًا ثوريًا، واعتبرها "غنيمة حرب"، حيث عمل على تفكيك بنيتها وإعادة توظيفها لخدمة القضية الوطنية، كما في روايته *نجمة* التي تمزج بين البعد الرمزي والتاريخي. وكذلك مولود فرعون الذي قدّم صورة واقعية عميقة لمعاناة المجتمع الجزائري، كاشفًا عن آثار الاستعمار على البنية الاجتماعية والنفسية، دون الوقوع في خطاب دعائي مباشر، بل من خلال بناء سردي إنساني مؤثر[2].

ولا يقتصر الاتجاه النضالي على البعد السياسي المباشر، بل يمتد إلى مستويات أعمق، منها الدفاع عن الهوية الثقافية، واستعادة الذاكرة الجماعية، ومقاومة محاولات الطمس والاستلاب. كما يتداخل هذا الاتجاه مع النزعة الواقعية، حيث يشكّل تصوير الواقع أحد أهم أدواته، ومع البعد الرمزي الذي يسمح بتجاوز الرقابة الاستعمارية والتعبير عن مواقف مضمَرة.

وهكذا، يمكن القول إن الاتجاه النضالي في الأدب الفرانكفوني الجزائري لم يكن مجرد مرحلة عابرة مرتبطة بظرف تاريخي محدد، بل شكّل لحظة تأسيسية أعادت تعريف وظيفة الأدب ذاته، محوّلًا إياه من ممارسة جمالية إلى أداة مقاومة وصياغة للوعي الجماعي، وهو ما سيترك أثره العميق على مختلف الاتجاهات اللاحقة، خاصة تلك المرتبطة بالهوية والذاكرة.

2.2 الأدب الهوياتي/ الاشكالي: أدب الهوية والذاكرة (ما بعد الاستقلال)

يُعدّ الاتجاه الهوياتي-الإشكالي من أبرز التحولات التي عرفها الأدب الفرانكفوني في الجزائر خلال مرحلة ما بعد الاستقلال، حيث انتقل اهتمام الكتّاب من مواجهة الاستعمار الخارجي

---

[1] عبد اعزيز كحيل، اتجاهات الأدب الفرانكفوني في المغرب العربي، شبكة الألوكة،
https://www.alukah.net/publications_competitions/0/5553 (شوهد بتاريخ 206/03/25 على 10.00)

[2] ينظر: آمال سعودي، **الأدب الفرانكفوني بين المنفى اللغوي ومأزق الهوية**، الممارسات اللغوية، مجلد 14، عدد 01، 2023، ص227

إلى مساءلة الذات والبحث في تعقيدات الانتماء الثقافي واللغوي. فقد وجد الكاتب الجزائري نفسه أمام وضعية مركّبة: الاستمرار في الكتابة باللغة الفرنسية، رغم ارتباطها بالإرث الاستعماري، أو البحث عن بدائل لغوية تعبّر عن الهوية الوطنية. ومن هنا نشأت إشكالية عميقة تتعلق بازدواجية اللغة، حيث أصبحت الفرنسية في آن واحد أداة تعبير وإبداع، وموضوعًا للقلق والشك، مما جعل النص الأدبي فضاءً للتوتر بين الانتماء والانفصال، وبين الذاكرة والقطيعة.

في هذا السياق، لم تعد الهوية تُطرح بوصفها معطى ثابتًا، بل باعتبارها بناءً متحوّلًا يتشكل عند تقاطع عدة مرجعيات: العربية، والأمازيغية، والفرنسية، إلى جانب تأثيرات تاريخية وثقافية متداخلة. وقد انعكس هذا التعقيد في الكتابة الأدبية من خلال تعدد الأصوات، وتداخل الأزمنة، واستحضار الذاكرة الفردية والجماعية بوصفها وسيلة لفهم الحاضر. وهنا برزت أهمية الاشتغال على الذاكرة، ليس فقط كاسترجاع للماضي، بل كفعل نقدي يعيد قراءة التاريخ من منظور جديد، ويكشف عن المناطق المسكوت عنها، خاصة تلك المرتبطة بالتجربة الاستعمارية وتداعياتها[1].

وتُعدّ أعمال آسيا جبار نموذجًا بارزًا لهذا الاتجاه، حيث سعت إلى إعادة كتابة التاريخ الجزائري من خلال استحضار أصوات مهمّشة، لا سيما صوت المرأة، التي غالبًا ما غُيّبت عن السرديات الرسمية. ففي نصوصها، تتقاطع الذاكرة الشخصية مع الذاكرة الجماعية، ويتداخل التاريخي بالروائي، مما يمنح الكتابة بعدًا تأويليًا يتجاوز التوثيق إلى إعادة بناء المعنى. كما تشتغل على تفكيك العلاقة بين اللغة والسلطة، إذ تستخدم الفرنسية لإعادة إنتاج خطاب مغاير، يمنح الهامش مركزية جديدة، ويُعيد الاعتبار للذات المقموعة[2].

ولا ينفصل هذا الاتجاه عن تحولات أوسع عرفها المجتمع الجزائري في مرحلة ما بعد الاستقلال، حيث برزت قضايا مثل إعادة بناء الهوية الوطنية، وسياسات التعريب، وصراع المرجعيات الثقافية، وهو ما جعل الأدب فضاءً حيويًا لطرح الأسئلة بدل تقديم الإجابات. وهكذا، يتجاوز الاتجاه الهوياتي-الإشكالي مجرد الانشغال باللغة، ليصبح مشروعًا فكريًا

---

[1] ينظر: أحمد بن نعمان، **الهوية الوطنية، الحقائق والمغالطات**، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع، برج الكيفان الجزائر، د.ت، ص 25

[2] ينظر: آمال سعودي، **المرجع السابق، ص 230**

وجماليًا يسعى إلى فهم الذات في علاقتها بتاريخها ولغاتها وذاكرتها، وهو ما يضفي على الأدب الفرانكفوني الجزائري طابعًا عميقًا ومركّبًا، ويمهّد لظهور أشكال جديدة من الكتابة في سياق العولمة والتعدد الثقافي.

3.2. اتجاه أدب المنفى والهجرة:

يُعدّ أدب المنفى من أكثر الظواهر الأدبية تعقيدًا وتركيبًا في الأدب الفرانكفوني، إذ لا يمكن مقاربته باعتباره مجرد انتقال جغرافي للأدباء خارج الوطن، بل بوصفه تجربة وجودية وثقافية تتوزع بين مستويين متداخلين: منفى رمزي/لغوي يعيش داخل اللغة نفسها، ومنفى جغرافي يرتبط بالهجرة الفعلية إلى الخارج، خاصة نحو فرنسا في سياق الهيمنة الاستعمارية.

ففي المستوى الأول، أي المنفى الداخلي أو اللغوي، يتجلى الإحساس بالاغتراب داخل الوطن نفسه، حيث يعيش الكاتب الجزائري حالة من الانفصال عن بيئته الثقافية والاجتماعية نتيجة النظام الاستعماري الذي أعاد تشكيل الفضاء اللغوي والثقافي، وفرض اللغة الفرنسية كلغة إدارة وتعليم وكتابة. هذا الوضع خلق نوعًا من "الازدواجية الوجودية"، إذ يجد الكاتب نفسه متحدثًا بلغة ليست لغته الأم، ومعبرًا عن واقع محلي داخل أداة تعبير مفروضة من الخارج. في هذا السياق، تصبح الكتابة فعلًا إشكاليًا يتأرجح بين الانتماء واللاانتماء[1]، وبين التعبير والمقاومة. ويبرز هذا الشكل من المنفى بشكل واضح في أعمال مولود فرعون، الذي قدّم صورة دقيقة للجزائري البسيط المحاصر داخل منظومة استعمارية تُنتج التهميش واللاعدالة، مما يجعل شعور الغربة حاضرًا حتى داخل الوطن. كما يتجلى أيضًا عند كاتب ياسين، الذي ذهب أبعد من ذلك حين حوّل اللغة الفرنسية نفسها إلى فضاء صراع، معبرًا عن فكرة أن الكاتب قد يعيش منفى داخل اللغة التي يكتب بها، حيث تصبح هذه اللغة في الوقت ذاته أداة هيمنة ووسيلة تفكيك لهذه الهيمنة[2].

أما في المستوى الثاني، أي المنفى الجغرافي، فقد ارتبط ببعض التجارب التي عرفت الهجرة الفعلية نحو الخارج، خاصة نحو فرنسا، سواء للدراسة أو العمل أو نتيجة ظروف سياسية

[1] ينظر: آمال سعودي، **المرجع السابق**، ص 221
[2] المرجع نفسه، ص.ص 221-226

واجتماعية فرضتها المرحلة الاستعمارية. هذا النوع من المنفى لا يقتصر على الابتعاد المكاني عن الوطن، بل يتجاوز ذلك إلى إحساس عميق بالاقتلاع والانفصال عن الجذور، حيث يجد الكاتب نفسه في فضاء ثقافي جديد يفرض عليه إعادة تعريف ذاته وهويته وموقعه داخل مجتمع مختلف. وغالبًا ما يترافق هذا الوضع مع شعور مزدوج: الحنين إلى الوطن من جهة، وصعوبة الاندماج الكامل في المجتمع الجديد من جهة أخرى، مما يخلق حالة من التوتر الدائم بين ثقافتين ومرجعيتين.

ومن المهم الإشارة إلى أن هذين الشكلين من المنفى—الداخلي والخارجي—ليسَا منفصلين بشكل صارم، بل يتداخلان في كثير من التجارب الأدبية، حيث يمكن للكاتب الذي لم يغادر وطنه جسديًا أن يعيش منفى لغويًا وثقافيًا، كما يمكن للمهاجر أن يظل مرتبطًا رمزيًا ووجدانيًا بوطنه الأول. لذلك، فإن أدب المنفى والهجرة في الفترة الاستعمارية لا يُختزل في ثنائية بسيطة بين الداخل والخارج، بل يعكس بنية معقدة من التمزق الهوياتي واللغوي والثقافي[1].

يظهر مفهوم المنفى والهجرة في أدب الفترة الاستعمارية في الجزائر بشكل مختلف عن التصور اللاحق، إذ لا يتعلق دائمًا بالهجرة المكانية، بل يتجسد أساسًا في **المنفى الداخلي والاقتلاع الثقافي واللغوي** الناتج عن الهيمنة الاستعمارية لفرنسا.

في هذا السياق، يُعدّ مولود فرعون من أبرز الأصوات التي عبّرت عن هذا الشكل من المنفى، حيث قدّم صورة إنسانية للجزائري الذي يعيش على هامش النظام الاستعماري، وكأنّه "غريب داخل وطنه". فالهجرة هنا ليست انتقالًا جغرافيًا، بل حالة اغتراب اجتماعي وثقافي يعيشها الفرد داخل مجتمعه[2].

كما نجد عند كاتب ياسين تصورًا أكثر تعقيدًا للمنفى، إذ يتحول المنفى عنده إلى حالة لغوية وجودية، حيث تصبح اللغة الفرنسية نفسها فضاءً غريبًا يتم توظيفه لتفكيك السلطة الاستعمارية. فالمبدع لا يغادر وطنه جسديًا، لكنه يعيش "منفى لغويًا" داخل لغة الآخر، مما يجعل الكتابة فعل مقاومة وإعادة امتلاك للخطاب. أما محمد ديب، فقد جسّد

[1] ينظر: آمال سعودي، المرجع السابق ص 222

[2] مولود فرعون، **ابن الفقير**، ترجمة عبد الرزاق عبيد، دار تلانتيقيت، بجاية 2020

في ثلاثيته الروائية أشكالًا مختلفة من الاقتلاع الاجتماعي، حيث يظهر الفرد الجزائري محاصرًا بين منظومة استعمارية غريبة وبنية اجتماعية مأزومة، وهو ما يخلق إحساسًا دائمًا باللاانتماء، أي شكل من أشكال المنفى الرمزي داخل الوطن.

وفي الاتجاه نفسه، يعكس مولود معمري بعدًا آخر للمنفى، يتمثل في التهميش الثقافي للهوية الأمازيغية داخل السياق الاستعماري، مما يجعل المنفى هنا مرتبطًا **بالهوية داخل الهوية**، أي شعور بالاغتراب داخل الانتماء نفسه. وعليه يمكن القول إن هذا الأدب لم يكن مجرد تعبير عن وضع اجتماعي أو سياسي، بل شكّل فضاءً لإعادة التفكير في مفهوم الانتماء ذاته، وفي علاقة الكاتب باللغة، وبالوطن، وبالآخر الاستعماري. ومن هنا، اكتسبت الكتابة الفرانكفونية في هذه المرحلة طابعًا إشكاليًا خاصًا، جعلها تتأرجح بين التوثيق والمقاومة، وبين التعبير عن الواقع وإعادة تشكيله، مما منحها مكانة مركزية في فهم تشكل الوعي الأدبي الجزائري الحديث[1].

4.2. الأدب النسوي الفرانكفوني

إن الأدب النسوي الفرانكفوني أحد أبرز التيارات التي أسهمت في إثراء الأدب الفرانكفوني في الجزائر، خاصة في مرحلة ما بعد الاستقلال، حيث برز كصوت مغاير يسعى إلى إعادة الاعتبار لتجربة المرأة الجزائرية داخل التاريخ والذاكرة والسرد الأدبي. وقد تبلور هذا التيار في سياق اجتماعي وثقافي اتسم بإعادة بناء الدولة الوطنية، وما رافقه من تحولات في مفهوم الهوية والدور الاجتماعي للمرأة، إضافة إلى استمرار تأثير الإرث الاستعماري للغة والثقافة الفرنسية.

يتميز هذا الأدب بتركيزه على قضايا المرأة بوصفها فاعلًا تاريخيًا وثقافيًا، وليس مجرد موضوع سردي، إذ تعمل الكاتبات على تفكيك الصور النمطية التي رسّختها الخطابات التقليدية حول المرأة، سواء داخل المجتمع أو في الكتابة الأدبية. ومن هنا، يصبح النص النسوي فضاءً للمساءلة وإعادة كتابة التاريخ من منظور مختلف، يمنح الصوت للمهمّشات ويعيد الاعتبار لتجاربهن اليومية والشخصية[2].

---

[1] ينظر: آمال سعودي، المرجع السابق ص.ص 227-228

[2] المرجع نفسه، ص.ص 230-231

وتُعدّ آسيا جبار من أبرز رموز هذا الاتجاه، بل يمكن اعتبارها مؤسسة فعلية له في الأدب الفرانكفوني الجزائري، حيث اشتغلت على الذاكرة الجماعية والتاريخ الاستعماري من منظور نسوي نقدي. في أعمالها، تتقاطع السيرة الذاتية بالتاريخ، وتُستعاد أصوات النساء اللواتي غُيّبن عن السرديات الرسمية، خاصة خلال فترات المقاومة والاستعمار، مما يمنح الكتابة بعدًا مزدوجًا: توثيقيًا وجماليًا في آن واحد. كما تتميز كتاباتها بمحاولة إعادة التفكير في العلاقة بين اللغة والهوية، حيث تُستخدم اللغة الفرنسية ليس كأداة هيمنة، بل كفضاء لإعادة بناء الذاكرة وتفكيك الصمت التاريخي[1].

ويمتد هذا التيار أيضًا إلى كاتبات جزائريات أخريات ساهمن في تطويره، حيث تنفتح الكتابة النسوية على قضايا متعددة مثل الجسد، والحرية، والعنف الرمزي، والعلاقة بين الفرد والمجتمع، إضافة إلى إشكالية الانتماء الثقافي في ظل التعدد اللغوي. كما يتقاطع الأدب النسوي مع اتجاهات أخرى داخل الأدب الفرانكفوني، مثل اتجاه الهوية والذاكرة، واتجاه المنفى، مما يمنحه طابعًا تراكميًا ومركّبًا.

وعليه، لا يمكن النظر إلى الأدب النسوي الفرانكفوني في الجزائر بوصفه مجرد تيار موضوعاتي يخص المرأة فقط، بل باعتباره مشروعًا فكريًا وجماليًا يسعى إلى إعادة صياغة علاقة الذات النسوية بالتاريخ واللغة والمجتمع، وإلى إعادة توزيع الصوت داخل النص الأدبي، بما يسمح بظهور سرديات بديلة أكثر تنوعًا وعمقًا.

3.الموضوعات المركزية في هذا الأدب

من الموضوعات البارزة التي يناقشها الأدب الفرانكفوني تلك التي تعكس طبيعة المرحلة التاريخية التي عاشتها الجزائر تحت الهيمنة الاستعمارية لفرنسا، حيث لم يكن هذا الأدب مجرد تعبير جمالي، بل كان مرآة لواقع اجتماعي وسياسي وثقافي مأزوم، وفي الوقت نفسه فضاءً لبروز وعي نقدي مقاوم.

في مقدمة هذه الموضوعات يأتي **موضوع الاستعمار والهيمنة**، حيث يركز الأدب على تصوير بنية السيطرة الاستعمارية وما تخلّفه من قهر وإقصاء للفئات المحلية، سواء على المستوى

[1] ينظر: آمال سعودي، المرجع السابق ص.ص 230

الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي، كما يسعى إلى كشف آليات التمييز وعدم المساواة التي فرضها النظام الكولونيالي. ويظهر هذا البعد بشكل واضح في الكتابات الواقعية التي تناولت الحياة اليومية للجزائريين داخل هذا السياق.

ويرتبط بذلك **الموضوع الواقعي الاجتماعي** الذي يُعد من أبرز ملامح هذه المرحلة، إذ اهتم الكتّاب بتصوير حياة القرى والمدن الجزائرية، ومعاناة الطبقات الشعبية، والفقر، والتهميش، والانقسام الاجتماعي الناتج عن النظام الاستعماري. وقد برز هذا التوجه في أعمال مولود فرعون الذي قدم سردًا إنسانيًا دقيقًا للواقع الجزائري بعيدًا عن التخييل المفرط.

كما يحتل **موضوع المقاومة والنزعة النضالية** مكانة مركزية، حيث تحولت الكتابة تدريجيًا إلى أداة لمناهضة الاستعمار، خاصة مع تصاعد الوعي الوطني الذي بلغ ذروته خلال حرب التحرير الجزائرية .في هذا السياق، تصبح الرواية والمسرح والشعر وسائل للتعبير عن الرفض، وتفكيك الخطاب الاستعماري، كما يتجلى ذلك عند كاتب ياسين الذي أعاد توظيف اللغة الفرنسية نفسها في خطاب ثوري ناقد.

ومن الموضوعات المهمة أيضًا **إشكالية اللغة والكتابة بالفرنسية**، حيث يطرح الأدب سؤالًا جوهريًا حول استخدام لغة المستعمِر للتعبير عن واقع مستعمَر، مما يخلق توترًا دائمًا بين الأداة اللغوية والهوية الثقافية. هذا التوتر جعل الكتابة الفرانكفونية مجالًا مزدوجًا بين التمكين والهيمنة، وبين التعبير والاغتراب[1].

كما يظهر **موضوع الهوية الثقافية والاغتراب الداخلي** بشكل مبكر، إذ يعيش الكاتب الجزائري حالة من الانقسام بين انتمائه الثقافي المحلي والأداة اللغوية الفرنسية المفروضة، مما يولّد إحساسًا بالازدواجية والانتماء الملتبس، ويجعل النص الأدبي فضاءً للتساؤل أكثر منه فضاءً للإجابات.

[1] أحمد بن نعمان، المرجع السابق

وأخيرًا، يمكن الإشارة إلى **موضوع الإنسان الجزائري بوصفه ذاتًا مهمّشة**، حيث يركز الأدب على استعادة إنسانية الفرد الجزائري في مواجهة التشييء الاستعماري، وإعادة الاعتبار له كفاعل اجتماعي وثقافي وليس مجرد موضوع للهيمنة.

وهكذا، فإن الموضوعات البارزة في الأدب الفرانكفوني في الجزائر المستعمرة تتقاطع بين الاستعمار، والواقع الاجتماعي، والمقاومة، واللغة، والهوية، لتشكل شبكة دلالية تعكس عمق التجربة الاستعمارية وتعقيداتها، وتُمهّد لظهور أدب أكثر تركيبًا في مرحلة ما بعد الاستقلال.

4. العلاقة مع الأدب المكتوب بالعربية

تتسم العلاقة بين **الأدب الفرانكفوني في الجزائر المستعمَرة** والأدب المكتوب باللغة العربية بقدر كبير من التعقيد والتداخل، إذ لا يمكن اختزالها في ثنائية بسيطة من القطيعة أو الانسجام، بل ينبغي فهمها داخل السياق التاريخي والثقافي الذي حكمته الهيمنة الاستعمارية لفرنسا على الجزائر منذ سنة 1830، حيث أعادت هذه الهيمنة تشكيل البنية اللغوية والثقافية للمجتمع الجزائري، وخلقت وضعية ازدواجية جعلت اللغة العربية واللغة الفرنسية تتعايشان داخل فضاء غير متكافئ من حيث السلطة والوظيفة.

فمن جهة أولى، استمر الأدب المكتوب بالعربية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، خاصة داخل الحقول الدينية والإصلاحية والثقافية التقليدية، حيث ظل مرتبطًا بمفهوم الهوية الدينية والثقافية، وحافظ على دوره في التعبير عن الانتماء الحضاري والمرجعية العربية الإسلامية. وقد كان هذا الأدب، في كثير من الحالات، يحمل بعدًا مقاومًا غير مباشر، من خلال الحفاظ على اللغة والذاكرة والهوية في مواجهة سياسات التهميش التي استهدفت العربية في التعليم والإدارة. في المقابل، نشأ الأدب الفرانكفوني داخل المنظومة التعليمية الاستعمارية، حيث استفادت فئة من الكتّاب الجزائريين من التعليم الفرنسي، مما أتاح لهم امتلاك أداة لغوية جديدة للتعبير، لكنها في الوقت نفسه كانت مرتبطة تاريخيًا بثقافة المستعمِر[1].

[1] علي شريف حورية، مرزقلال موسى، **المرجع السابق**.

ومن هنا، ظهرت علاقة توتر غير معلنة بين الحقلين الأدبيين، إذ ارتبط الأدب العربي في الوعي الجمعي آنذاك بفكرة الأصالة والهوية والاستمرارية الثقافية، بينما ارتبط الأدب الفرانكفوني بسؤال الإشكالية اللغوية: هل يمكن التعبير عن الذات الجزائرية بلغة الآخر؟ هذا السؤال لم يكن لغويًا فقط، بل كان سؤالًا هوياتيًا وسياسيًا وثقافيًا في العمق، جعل من الكتابة بالفرنسية مجالًا دائمًا للمساءلة والجدل. ومع ذلك، فإن هذا التصور الثنائي يبقى تبسيطيًا، لأن الواقع الأدبي كان أكثر تعقيدًا مما يبدو عليه في الخطاب النقدي.

ففي الممارسة الأدبية الفعلية، نجد أن الأدبين يتقاطعان في العديد من القضايا الجوهرية، مثل موضوع الاستعمار، والظلم الاجتماعي، والهوية الثقافية، والأرض، والذاكرة الجماعية. فكل من الأدب العربي والفرانكفوني كانا يعكسان في جوهرهما تجربة المجتمع الجزائري تحت الاستعمار، وإن اختلفت الوسائط اللغوية والتقنيات التعبيرية. فبينما اعتمد الأدب العربي غالبًا على الخطاب المباشر أو الإصلاحي أو الديني، اتجه الأدب الفرانكفوني إلى السرد الواقعي أو الرمزي الذي يحاول كشف البنية الاستعمارية من داخلها[1].

ويظهر هذا التداخل بشكل واضح عند بعض الكتّاب الذين جمعوا بين الحقلين أو تأثروا بهما بشكل غير مباشر، كما في الحالة العامة للمشهد الثقافي الجزائري، حيث لم تكن الحدود اللغوية دائمًا حاسمة، بل كانت هناك حركة انتقال وتأثير متبادل على مستوى الموضوعات والهمّ الوطني المشترك. ومع تصاعد الحركة الوطنية، خاصة خلال حرب التحرير الجزائرية، أصبح الهدف المركزي مشتركًا بين الكتابتين، وهو الدفاع عن الإنسان الجزائري واستعادة كرامته، حتى وإن اختلفت الأدوات التعبيرية.

كما يجب الإشارة إلى أن العلاقة بين الأدبين كانت أيضًا علاقة غير متوازنة من حيث الاعتراف المؤسسي والنشر والانتشار، إذ استفاد الأدب الفرانكفوني من البنية الثقافية والإعلامية الفرنسية، بينما واجه الأدب العربي قيودًا أكبر مرتبطة بالرقابة وتهميش اللغة العربية في المجال العام. هذا الوضع زاد من تعقيد العلاقة بينهما، وجعلها علاقة قائمة على التوتر غير المعلن أكثر من كونها علاقة صراع مباشر أو انسجام كامل.

وهكذا، يمكن القول إن العلاقة بين الأدب الفرانكفوني والأدب العربي في الجزائر المستعمرة هي علاقة بنيوية مركّبة، تقوم على التوازي داخل عدم التكافؤ، وعلى التقاطع داخل الاختلاف اللغوي، وعلى وحدة الهمّ التاريخي داخل تعدد الوسائط التعبيرية. فهي ليست

[1] ينظر: ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق

علاقة انفصال، بل علاقة تشكّل ثقافي مشترك داخل سياق استعماري أعاد تعريف اللغة بوصفها أداة سلطة وفي الوقت نفسه مجالًا للمقاومة وإعادة بناء الذات.

خلاصة:

يمثل الأدب الفرانكفوني في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية ظاهرة أدبية نشأت داخل سياق تاريخي تحكمه الهيمنة الثقافية واللغوية لفرنسا، حيث أُدرجت اللغة الفرنسية في الفضاء التعليمي والإداري، مما أفرز كتابة أدبية جزائرية باللغة الفرنسية تحمل طابعًا إشكاليًا منذ نشأتها. وقد تميز هذا الأدب بتنوع موضوعاته التي دارت حول الاستعمار، والواقع الاجتماعي، والاغتراب، وإشكالية الهوية واللغة، وهو ما جعله أدبًا متوترًا بين الانتماء الثقافي المحلي والأداة اللغوية المفروضة.

وفي هذا السياق، لم يكن هذا الأدب منفصلًا عن الأدب المكتوب بالعربية، بل تزامن معه داخل فضاء ثقافي واحد، رغم اختلاف اللغة والمرجعيات، حيث حافظ الأدب العربي على دوره في التعبير عن الهوية والدفاع عن المرجعية الثقافية والدينية، بينما سعى الأدب الفرانكفوني إلى التعبير عن التجربة الاستعمارية من داخل لغة المستعمِر، مما خلق علاقة قائمة على التوازي والتوتر أكثر من القطيعة الكاملة. وقد تبلور هذا الوضع بشكل أوضح خلال حرب التحرير الجزائرية، حين التقت مختلف أشكال التعبير الأدبي حول هدف مشترك يتمثل في مقاومة الاستعمار واستعادة الكرامة الوطنية.

وعليه، فإن الأدب الفرانكفوني في المرحلة الاستعمارية لا يمكن فهمه بوصفه مجرد امتداد لغوي للثقافة الفرنسية، بل باعتباره فضاءً أدبيًا مركبًا يعكس تناقضات الواقع الجزائري، حيث تداخلت فيه قضايا اللغة والهوية والمقاومة والذاكرة، مما جعله جزءًا أساسيًا من تشكل الوعي الأدبي والفكري في الجزائر الحديثة.

المحاضرة (09): إشكالية الانتماء والهوية في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية

تمهيد:

تُعدّ إشكالية الانتماء والهوية في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية من القضايا المركزية التي طبعت هذا الأدب منذ نشأته في سياق الاستعمار الفرنسي لالجزائر، حيث تداخل البعد اللغوي مع البعد التاريخي والسياسي، وأصبح سؤال الهوية سؤالًا دائم الحضور في النصوص الفرانكفونية.

فمنذ الفترة الاستعمارية، وجد الكاتب الجزائري نفسه أمام وضعية لغوية وثقافية مزدوجة: فهو ينتمي حضاريًا وثقافيًا إلى بيئة عربية-أمازيغية، لكنه يكتب بلغة فرنسا، أي بلغة الآخر. هذا الوضع خلق توترًا داخليًا بين الانتماء الثقافي وأداة التعبير اللغوية، وجعل الكتابة بالفرنسية في حد ذاتها تحمل طابعًا إشكاليًا، لأنها ليست اختيارًا بريئًا فقط، بل نتيجة سياق تاريخي فرض شروطه.

وقد تعمقت هذه الإشكالية أكثر عند كتّاب المرحلة الاستعمارية مثل مولود فرعون وكاتب ياسين، حيث لم تعد الهوية تُقدَّم كمعطى ثابت، بل كواقع مأزوم يعيش التمزق بين الانتماء المحلي واللغة المستعارة. ففي كتاباتهم، يظهر الجزائري غالبًا في حالة بحث عن ذاته داخل منظومة استعمارية تعيد تشكيل وعيه وثقافته، مما يجعل الهوية تجربة معيشة أكثر منها تعريفًا جاهزًا.

كما أن هذه الإشكالية لم تنته مع الاستقلال، بل ازدادت تعقيدًا في المراحل اللاحقة، حيث أصبح الكاتب أمام سؤال جديد: هل الكتابة بالفرنسية استمرار للهيمنة الاستعمارية أم فضاء إبداعي مستقل؟ وهنا برزت أعمال آسيا جبار التي جعلت من الذاكرة والتاريخ أداة لإعادة بناء الهوية من منظور نقدي، مع التركيز على الأصوات المهمّشة، خاصة صوت المرأة، مما أضاف بعدًا آخر لإشكالية الانتماء. وعليه، فإن مسألة الهوية في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية ليست مجرد قضية لغوية، بل هي إشكالية وجودية وثقافية عميقة، تقوم على التوتر بين الانتماء التاريخي والوسيط اللغوي، وبين الذاكرة الجماعية وإعادة تمثيل الذات داخل خطاب مكتوب بلغة الآخر، مما جعل هذا الأدب فضاءً دائم السؤال عن معنى أن يكون الكاتب جزائريًا يكتب بالفرنسية.

1. الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية: من السياق الاستعماري إلى سؤال الهوية والانتماء

ظهر الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية في سياق تاريخي بالغ التعقيد، وذلك بعد قرابة تسعين سنة من الاحتلال الفرنسي للجزائر، الذي اتسم بطابع استعماري شامل استهدف الإنسان الجزائري في أرضه وهويته ومقوماته المادية والرمزية. ومن هذا المنظور، لم يكن هذا الأدب نتيجة تفاعل ثقافي متوازن أو امتداد طبيعي لحوار حضاري، بل نشأ منذ البداية محمّلًا بإشكالية وجوده وملابسات شرعيته، سواء على مستوى اللغة أو الهوية أو الانتماء.

وقد عرفت بدايات هذا الأدب مسارًا تدريجيًا عكس عمق الأزمة الهوياتية التي كان يعيشها المجتمع الجزائري، حيث تناول في مرحلة العشرينيات قضايا اجتماعية مرتبطة بالقيم الدخيلة التي فرضها الاستعمار، ومن بينها ظاهرة الخمر التي وُظّفت رمزيًا للدلالة على اختلال المنظومة القيمية تحت تأثير الاستعمار. أما في مرحلتي الثلاثينيات والأربعينيات، فقد انشغل هذا الأدب بإشكالية الاندماج بين المستعمِر والمستعمَر، ليخلص في الغالب إلى استحالة هذا الاندماج نتيجة التناقض البنيوي بين الطرفين واختلاف مصالحهما ورؤاهما. ومع تطور السياق التاريخي، خاصة خلال الحرب العالمية الثانية، انعكست آثار الدمار الاجتماعي والسياسي على النصوص الأدبية التي صورت واقعًا مضطربًا في الريف والمدينة على حد سواء. ثم جاءت مرحلة حرب التحرير لتشكل ذروة هذا الوعي، حيث أصبح الأدب أكثر ارتباطًا بفكرة الكشف عن زيف الخطاب الاستعماري والتأكيد على ضرورة التغيير الجذري واستعادة السيادة[1].

ومع حصول الاستقلال، برزت إشكالية جديدة تتعلق بمستقبل هذا الأدب داخل الدولة الوطنية، وبمدى مشروعية استمرار الكتابة باللغة الفرنسية في سياق تحرري يسعى إلى إعادة بناء الهوية الثقافية. وقد أثارت هذه الإشكالية نقاشًا واسعًا بين الكتّاب والمثقفين، ما أدى لدى عدد منهم إلى حالة من التوقف أو الصمت، تعبيرًا عن ارتباك فكري وقلق وجودي أمام سؤال اللغة والانتماء.

غير أن مرحلة لاحقة شهدت بروز جيل جديد من الكتّاب الذين استمروا في الكتابة بالفرنسية دون التوقف عند سؤال الشرعية بشكل حاد، معتبرين هذه اللغة أداة إبداعية

[1] ينظر: أحمد المنور، المرجع السابق، ص.ص 87-110

يمكن توظيفها خارج بعدها الاستعماري، بل وُصفت في هذا السياق بـ"غنيمة حرب". ومع هذا الاستمرار، أصبح الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية واقعًا ثقافيًا وأدبيًا ثابتًا من حيث الإنتاج والتأثير، إلا أنه ظل في الوقت نفسه محاطًا بإشكالات متجددة تتعلق بالهوية والانتماء، وبسؤال موقعه داخل المشهد الثقافي الوطني ومستقبله في ظل التحولات اللغوية والثقافية التي عرفتها الجزائر بعد الاستقلال.

2. إشكالية اللغة بوصفها إشكالية هوية:

تُعدّ إشكالية اللغة في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية امتدادًا مباشرًا للسياق التاريخي والثقافي الذي نشأ فيه هذا الأدب خلال الفترة الاستعمارية داخل الجزائر تحت الهيمنة الفرنسية لفرنسا، حيث لم تكن اللغة الفرنسية مجرد أداة تواصل، بل عنصرًا أساسيًا في إعادة تشكيل الفضاء الثقافي والرمزي للمجتمع الجزائري. وفي هذا الإطار، تبرز اللغة بوصفها قضية مركزية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بسؤال الهوية والانتماء، خاصة في ظل التعدد اللغوي الذي يميز الواقع الجزائري، حيث تتجاور العربية والأمازيغية مع الفرنسية في علاقة معقدة وغير متكافئة.

ومن هذا المنطلق، يظهر التوتر اللغوي داخل النص الفرانكفوني بوصفه انعكاسًا مباشرًا لهذا الواقع، إذ يجد الكاتب الجزائري نفسه أمام معادلة صعبة تجمع بين الانتماء الثقافي المحلي وبين الكتابة بلغة ارتبطت تاريخيًا بالهيمنة الاستعمارية. وهكذا تتحول اللغة إلى مجال مزدوج الدلالة، فهي من جهة أداة للتعبير عن التجربة الإنسانية والاجتماعية، ومن جهة أخرى تحمل في طياتها آثار التاريخ الاستعماري وما ترتب عنه من علاقات قوة، مما يجعلها عنصرًا فاعلًا في تشكيل الخطاب الأدبي وليس مجرد وسيلة محايدة[1].

يتجلى التوتر بين الكتابة بلغة المستعمِر والانتماء الثقافي المحلي في تجربة عدد من الكتّاب الجزائريين الذين كتبوا بالفرنسية داخل سياق استعمار فرنسا للجزائر، حيث تصبح اللغة الفرنسية في نصوصهم مجالًا للتعبير وفي الوقت نفسه مصدرًا للقلق الهوياتي. ففي أعمال مولود فرعون، يظهر هذا التوتر من خلال كتابته الواقعية التي تصف الحياة القروية الجزائرية بلغة فرنسية بسيطة، لكنها مشحونة بمرجع ثقافي محلي عميق، مما يجعل الفرنسية هنا أداة لنقل واقع جزائري خالص رغم كونها لغة المستعمِر[2].

---

[1] ينظر: أحمد بن نعمان، المرجع السابق، وأحمد المنور، المرجع السابق

[2] المرجع نفسه

أما عند كاتب ياسين، فإن الإشكال اللغوي يأخذ بعدًا أكثر تعقيدًا، حيث تتحول اللغة الفرنسية إلى فضاء مقاومة، إذ يعيد توظيفها وتفكيك بنيتها لخدمة خطاب ثوري ناقد للاستعمار، وهو ما يعكس بوضوح التوتر بين أداة الهيمنة وأداة التعبير في آن واحد. كما يمكن الإشارة إلى محمد ديب الذي قدّم ثلاثية روائية تصوّر المجتمع الجزائري تحت الاستعمار، حيث تُستعمل الفرنسية لوصف واقع اجتماعي جزائري بامتياز، مما يعمّق مفارقة الكتابة بلغة الآخر عن الذات المحلية.

وبذلك، تصبح هذه الأمثلة تجسيدًا عمليًا للتوتر اللغوي الذي يميز الأدب الجزائري الفرانكفوني، حيث لا تنفصل اللغة عن سؤال الهوية، بل تتحول إلى ساحة صراع رمزي بين الانتماء الثقافي المحلي والوسيط اللغوي المفروض تاريخيًا[1].

3. صورة الذات الجزائرية في النص الفرانكفوني

لم تكن صورة الذات معطى جاهزًا أو ثابتًا، بل تشكلت داخل سياق تاريخي اتسم بالهيمنة الثقافية وإعادة تشكيل الهوية. فقد وجد الكاتب الجزائري نفسه أمام ضرورة إعادة تمثيل ذاته داخل لغة الآخر، مما جعل صورة "الجزائري" في النص الفرانكفوني تتراوح بين التمثيل الواقعي للذات وبين إعادة بنائها داخل خطاب أدبي مشحون بالتوترات الثقافية.

في هذا السياق، غالبًا ما يُقدَّم الجزائري في النص الفرانكفوني بوصفه ذاتًا مهمَّشة تعيش على هامش النظام الاستعماري، مما يعكس البنية الاجتماعية غير المتكافئة التي فرضها الاستعمار. إلا أن هذا التمثيل لم يكن سلبيًا بالكامل، بل حمل أيضًا بعدًا مقاومًا، حيث سعى الكتّاب إلى استعادة إنسانية الشخصية الجزائرية وإبراز عمقها الثقافي والإنساني في مواجهة الصور النمطية التي رسّخها الخطاب الاستعماري. ويتجلى هذا بوضوح في أعمال مولود فرعون الذي قدّم صورة إنسانية للجزائري البسيط، المرتبط بأرضه وثقافته، بعيدًا عن التشويه الاستعماري، معتمدًا على الواقعية في بناء الشخصية.

كما تتخذ صورة الذات بعدًا أكثر تعقيدًا عند كاتب ياسين، حيث لا تُقدَّم الذات الجزائرية كهوية ثابتة، بل ككيان متحوّل يعيش صراعًا داخليًا بين الانتماء والتمرد، وبين اللغة المفروضة والهوية الأصلية. فالنص عنده لا يعكس فقط الواقع، بل يعيد تشكيل الذات داخل خطاب ثوري يهدف إلى تفكيك البنية الاستعمارية وإعادة تعريف الهوية الجزائرية خارج الصور الجاهزة.

[1] ينظر: آمال سعودي، المرجع السابق

ففي روايات مولود فرعون مثل *ابن الفقير والأرض والدم*، تُقدَّم الذات الجزائرية في شكل إنسان ريفي بسيط مرتبط بالأرض والتقاليد، يعيش تحت ضغط الاستعمار، لكنه يحتفظ بكرامته وإنسانيته.

هنا لا تُبنى صورة الجزائري كـ"آخر غريب"، بل كذات واقعية مأزومة اجتماعيًا لكنها متجذرة ثقافيًا.

في أعمال كاتب ياسين مثل *نجمة*، تتجلى الذات الجزائرية بوصفها هوية مركّبة ومفتوحة على التمزق والصراع، حيث لا تظهر الشخصية ككيان ثابت، بل كذات تبحث عن نفسها بين الاستعمار والمقاومة، وبين اللغة الفرنسية والانتماء المحلي[1].

هنا تتحول الصورة من تمثيل واقعي إلى بناء رمزي ثوري للهوية. في ثلاثية محمد ديب (الدار الكبيرة، الحريق، النول)، تُقدَّم الذات الجزائرية داخل إطار اجتماعي واسع، حيث يظهر المجتمع في حالة **تحول وصراع طبقي واستعماري**، وتُرسم الشخصيات كجزء من بنية اجتماعية مضطربة تحت السيطرة الاستعمارية. ومن ثمّ، فإن صورة الذات الجزائرية في النص الفرانكفوني لا يمكن اختزالها في تمثيل واحد، بل هي صورة متعددة ومركبة، تتأرجح بين التهميش والمقاومة، وبين الواقعية وإعادة البناء الرمزي للذات، مما يجعل النص الفرانكفوني فضاءً لإعادة التفكير في مفهوم "الجزائري" داخل سياق تاريخي ولغوي شديد التعقيد[2].

4. المنفى الداخلي والانتماء المزدوج

يتجلى مفهوم المنفى الداخلي والاغتراب في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية في كونه تجربة معيشة داخل الوطن نفسه، حيث يجد الكاتب أو الشخصية الجزائرية نفسها أمام حالة من الانفصال الرمزي عن محيطها الثقافي والاجتماعي، وهو ما يُعرف بالمنفى اللغوي والثقافي، إذ يصبح استعمال لغة فرنسا داخل فضاء الجزائر عاملاً يكرّس الإحساس بالمسافة بين الذات وبيئتها الأصلية. وفي هذا السياق، لا يكون الاغتراب نتيجة انتقال جغرافي، بل نتيجة انقسام داخلي ناتج عن التعدد اللغوي والاختلال التاريخي في علاقة القوة، مما يجعل الذات تعيش داخل وطنها لكنها تشعر بأنها غير مندمجة بالكامل فيه.

---

[1] عمر مختار شعلال، **الرجل الحر**، تر محمد أوزغلة، دار القصبة، الجزاءر، 2007

[2] ينظر: آمال سعودي، المرجع السابق

ويتعمق هذا الإحساس من خلال ظاهرة **الانتماء المزدوج**، حيث يجد الكاتب الجزائري نفسه منتميًا ثقافيًا إلى فضاء عربي-أمازيغي من جهة، ومنخرطًا لغويًا في الفضاء الفرنسي من جهة أخرى، وهو ما يخلق هوية مركّبة وغير مستقرة، تتأرجح بين مرجعيتين ثقافيتين مختلفتين. هذا الوضع لا يُنتج بالضرورة قطيعة، بل يولّد حالة من التعايش المشحون بالتوتر، حيث تتحول الكتابة إلى فضاء للتوفيق الصعب بين عالمين غير متكافئين.

أما على مستوى التجربة الوجودية، فإن هذا الوضع يتجسد في الشعور بالتمزق بين "هنا" و"هناك"، أي بين الوطن بوصفه فضاءً للانتماء العاطفي والثقافي، واللغة أو الثقافة الفرنسية بوصفها فضاءً للتعبير والإنتاج الأدبي. هذا التمزق لا يقتصر على البعد الجغرافي، بل يمتد إلى البعد الرمزي، حيث يصبح الكاتب أو الشخصية موزعة بين مرجعيتين، ما يجعل الهوية في النص الفرانكفوني هوية مفتوحة على القلق والازدواجية والبحث المستمر عن الذات.

خلاصة:

نشأ الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية في سياق استعماري معقّد داخل الجزائر تحت الهيمنة الفرنسية لفرنسا، ولم يكن مجرد نتاج تفاعل ثقافي طبيعي، بل ارتبط منذ بدايته بإشكالية اللغة والهوية والانتماء. وقد تطور هذا الأدب عبر مراحل تاريخية متعاقبة، عكس فيها التحولات الاجتماعية والسياسية، من معالجة القضايا الواقعية والاجتماعية في البدايات، إلى طرح سؤال الاندماج والاستعمار، ثم بلوغ ذروة الوعي النقدي خلال مرحلة التحرر الوطني.

ومع الاستقلال، تحولت الإشكالية من مواجهة الاستعمار إلى التساؤل حول شرعية الكتابة بالفرنسية ومكانة هذا الأدب داخل الفضاء الوطني، مما أدى إلى انقسام في المواقف بين من توقف عن الكتابة ومن واصلها باعتبار الفرنسية أداة إبداع لا تلغي الانتماء. وهكذا ظل هذا الأدب محكومًا بتوتر دائم بين اللغة والهوية، وبين الانتماء الثقافي المحلي والوسيط اللغوي الفرنسي، مما جعله فضاءً أدبيًا يعكس تعقيد التجربة الجزائرية وتعدد أبعادها التاريخية والثقافية.

المحاضرة (10): التأثيرات الأجنبية في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية

تمهيد:

تتجلى التأثيرات الأجنبية في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية في كونه أدبًا نشأ داخل فضاء ثقافي استعماري ثم تَطوّر في تماس دائم مع مرجعيات أدبية وفكرية فرنسية وأوروبية، مما جعله أدبًا هجينًا يجمع بين المحلي والعابر للحدود داخل الجزائر في ظل التاريخ الاستعماري لفرنسا.

ففي المستوى الأول، يظهر التأثير الفرنسي بشكل مباشر من خلال اللغة نفسها، إذ اعتمد الكتّاب الجزائريون الفرنسية كأداة للتعبير، وهو ما فتح لهم المجال للاحتكاك بالتيارات الأدبية الفرنسية مثل الواقعية والطبيعية والرمزية، حيث نجد أثر الواقعية مثلًا في تصوير الحياة اليومية والمعاناة الاجتماعية، كما في أعمال مولود فرعون، الذي اقترب من أسلوب السرد الواقعي الإنساني الذي يركز على التفاصيل الاجتماعية الدقيقة. وفي مستوى ثانٍ، تأثر بعض الكتّاب بالتيارات الفكرية والفلسفية الأوروبية، خاصة الفكر الإنساني والنقدي، إضافة إلى النزعات الثورية التي ظهرت في الفكر الفرنسي خلال القرن العشرين، وهو ما انعكس بوضوح في أعمال كاتب ياسين الذي استثمر أدوات المسرح الحديث والرؤية التجريبية في تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة بناء الهوية الجزائرية داخل النص.

كما لا يمكن إغفال تأثير الأدب العالمي بصفة عامة، حيث استفاد الأدباء الجزائريون من تقنيات السرد الحديثة مثل تكسير الخطية الزمنية، وتعدد الأصوات السردية، والاشتغال على الرمزية، وهي عناصر ساهمت في تطوير شكل الرواية الفرانكفونية وجعلها أكثر انفتاحًا على التجارب الأدبية العالمية.

ومع ذلك، لم تكن هذه التأثيرات الأجنبية مجرد استنساخ، بل تمت إعادة توظيفها داخل سياق محلي خاص، حيث تم "توطين" هذه الأشكال والأساليب لخدمة قضايا الهوية والاستعمار والذاكرة داخل المجتمع الجزائري. وهكذا، فإن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية يمثل نموذجًا لتفاعل ثقافي معقّد، تتداخل فيه التأثيرات الأجنبية مع التجربة

المحلية، مما أنتج أدبًا ذا طابع هجين يجمع بين الانفتاح على العالم والتجذر في الواقع الوطني.

يمكن تناول **التأثير الأجنبي في الروائيين الجزائريين الذين كتبوا بالفرنسية** بوصفه ظاهرة مركّبة نشأت داخل سياق الاستعمار الفرنسي للجزائر، حيث لم يكن هذا التأثير مجرد اقتباس مباشر من الأدب الفرنسي، بل عملية تشكّل أدبي وفكري عميقة أنتجت كتابة هجينة تجمع بين المرجعية المحلية والانفتاح على النموذج الأوروبي المرتبط بفرنسا.

1. التأثير اللغوي الفرنسي:

يتجلى هذا التأثير أولًا في اللغة والأسلوب السردي، إذ اعتمد الروائيون الجزائريون اللغة الفرنسية ليس فقط كوسيلة تعبير، بل كإطار جمالي وفني استلهم تقاليد الرواية الفرنسية، خصوصًا من حيث بناء الشخصيات، والوصف الواقعي، والعناية بالتفاصيل اليومية. وقد يظهر هذا بوضوح في أعمال مولود فرعون الذي تأثر بالواقعية الفرنسية في تصويره للحياة القروية الجزائرية، حيث تتقاطع الدقة الوصفية مع الحس الإنساني العميق. لم تكن اللغة الفرنسية مجرد وسيلة للتعبير، بل إطارًا فنيًا وفكريًا أثّر في طريقة بناء النص الأدبي ورؤية الكاتب للعالم. فقد جاء هذا التأثير في سياق تاريخي مرتبط بالوجود الاستعماري لفرنسا، حيث أصبحت الفرنسية لغة تعليم وثقافة وإدارة، ما مكّن الروائيين الجزائريين من اكتسابها وتوظيفها في الإبداع الأدبي[1].

وقد انعكس هذا الوضع في اعتماد أساليب سردية مستوحاة من النموذج الفرنسي، سواء في الدقة الوصفية أو في تنظيم الأحداث أو في بناء الشخصيات، مما منح النصوص طابعًا يمزج بين الحس المحلي والأدوات التعبيرية الغربية. ومع ذلك، فإن هذا التأثير لم يكن مجرد تبنٍّ مباشر للغة وثقافتها، بل خضع لعملية تكييف داخل السياق الجزائري، حيث أعاد الكتّاب تشكيل الفرنسية لتعبير عن واقعهم الاجتماعي والتاريخي الخاص، بما يحمله من قضايا الاستعمار والهوية والذاكرة[2].

[1] Faouzia BEDJELID, Op.Cit
[2] Beida CHIKHI, **Problématique de l'Ecriture dans L'oeuvre Romanesque de Mohamed Dib**, Office des Publications Universitaires, 1989

وهكذا، تحولت اللغة الفرنسية في الكتابة الأدبية الجزائرية إلى أداة مزدوجة المعنى، فهي وسيلة للإبداع من جهة، وحاملة لإرث تاريخي وثقافي معقد من جهة أخرى، مما جعل حضورها في النص الفرانكفوني حضورًا إشكاليًا ومُنتجًا في الوقت نفسه.

2. التأثر بالتيارات الأدبية الفرنسية

يتجلى التأثير الأجنبي في الانفتاح على التيارات الأدبية الأوروبية مثل الواقعية والطبيعية والرمزية، إضافة إلى تأثر بعض الروائيين بالحداثة الأدبية التي ظهرت في القرن العشرين، بما في ذلك تقنيات السرد الحديثة مثل تعدد الأصوات وتكسير الزمن الروائي. ويبرز هذا البعد بشكل خاص عند كاتب ياسين الذي استفاد من المسرح الأوروبي الحديث وأعاد توظيفه في بناء نصوص تجريبية تتجاوز الشكل الروائي التقليدي.

في هذا الإطار، يظهر التأثر بالواقعية الفرنسية بشكل واضح عند مولود فرعون، خاصة في رواياته مثل *ابن الفقير*، حيث يعتمد على تصوير دقيق للحياة اليومية في القرى الجزائرية، مع اهتمام كبير بالتفاصيل الاجتماعية والنفسية للشخصيات، وهو ما يعكس تأثير الرواية الواقعية الفرنسية التي تركز على تمثيل الواقع كما هو دون تجميل.

كما يتجلى التأثر بالرواية الواقعية الاجتماعية والطبيعية عند محمد ديب في ثلاثيته الشهيرة (*الدار الكبيرة، الحريق، النول*)، حيث يتناول التحولات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الجزائري تحت الاستعمار، بأسلوب قريب من المدرسة الطبيعية التي تربط الفرد بالبيئة والظروف التاريخية.

أما على مستوى التيارات الحداثية والتجريبية، فيبرز كاتب ياسين كأحد أهم الكتّاب الذين تأثروا بالمسرح الأوروبي الحديث وتقنيات السرد غير التقليدي، حيث وظف التقطيع الزمني وتعدد الأصوات والرمزية في أعماله مثل *نجمة*، مما جعل كتابته أقرب إلى التجريب الحداثي الذي يكسر البنية الروائية التقليدية. وفي سياق لاحق، يمكن ملاحظة تأثير السرد الحديث وما بعد الحداثة عند بعض الكاتبات مثل آسيا جبار، حيث تعتمد على تعدد الأصوات، وتداخل الأزمنة، وكسر الخطية السردية، إضافة إلى توظيف الذاكرة بوصفها

بنية سردية أساسية، وهو ما يعكس انفتاحًا على التطورات الحديثة في الرواية الفرنسية والأوروبية[1].

وبذلك، فإن التأثر بالتيارات الأدبية الفرنسية في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية لم يكن مجرد تقليد أو استنساخ، بل عملية تفاعل وإعادة إنتاج، حيث تم توظيف هذه التيارات داخل سياق جزائري خاص، مما منح هذا الأدب طابعًا هجينيًا يجمع بين المرجعية الأوروبية والتجربة التاريخية المحلية.

ومن جهة أخرى، لا يقتصر هذا التأثير على الجانب الجمالي فقط، بل يمتد إلى **البعد الفكري والفلسفي**، حيث تأثر بعض الكتّاب بالتيارات الفكرية الأوروبية مثل الفكر الإنساني والنقدي، إضافة إلى بعض ملامح الوجودية، مما جعل الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية فضاءً للتفكير في قضايا الإنسان والحرية والسلطة داخل السياق الاستعماري.

غير أن هذا التأثير لم يكن استنساخًا للنموذج الفرنسي أو الأوروبي، بل خضع لعملية **إعادة توظيف وتكييف محلي**، حيث تم إدماج هذه الأشكال والتقنيات داخل سياق اجتماعي وثقافي جزائري يعالج قضايا الاستعمار والهوية والذاكرة. وهكذا تحولت الكتابة إلى مساحة هجين، تجمع بين أدوات فنية أجنبية وتجربة تاريخية محلية، مما منح الرواية الجزائرية الفرانكفونية طابعًا خاصًا يجمع بين الانفتاح الثقافي والخصوصية الوطنية.

3. التأثير الأجنبي في أعمال كاتب ياسين:

شهدت الثقافة الفرنسية ازدهارًا ملحوظًا خلال خمسينيات القرن الماضي، في وقت كانت فيه الجزائر ترزح تحت وطأة الاستعمار. وقد ازدادت أهمية اللغة الفرنسية آنذاك باعتبارها فضاءً للإشعاع الثقافي جذب عددًا كبيرًا من المبدعين الجزائريين، الذين ارتبطوا بها عبر مسارات متعددة، سواء من خلال التعليم في المدارس الفرنسية، أو عبر الاطلاع على المؤلفات المكتوبة بها، أو من خلال السفر إلى فرنسا والاحتكاك المباشر بثقافتها.

تُعدّ تجربة كاتب ياسين نموذجًا بارزًا لتفاعل الإبداع الجزائري مع التأثيرات الأجنبية، ولا سيما الفرنسية، في سياق استعماري معقّد. فقد تشرّب ياسين الثقافة الفرنسية منذ

[1] ينظر، قادة مبروك، المرجع السابق، وآمال سعودي، المرجع السابق

صغره عبر المدرسة والقراءة، مما جعله ينفتح على تيارات أدبية متعددة، خاصة الرومانسية والرمزية، متأثرًا بشعراء مثل شارل بودلير وآرثر رامبو، حيث تتجلى في نصوصه نزعة تمردية وصور شعرية كثيفة وإيحاءات رمزية عميقة. كما امتد هذا التأثير ليشمل أدباء عالميين مثل بابلو نيرودا ولويس أراغون، الذين أسهموا في تشكيل رؤيته الشعرية الملتزمة والمنفتحة على القضايا الإنسانية. غير أنّ ياسين لم يكن مقلّدًا لهذه النماذج بقدر ما أعاد توظيفها داخل سياق جزائري خاص، إذ عمل على "تجزئة" هذه التأثيرات و"تجزأرها"، فمزج بين الروح الشرقية واللغة الفرنسية، محولًا هذه الأخيرة من أداة استعمارية إلى وسيلة للتعبير والمقاومة. وهكذا، تتبدّى أعماله فضاءً هجينيًا تتقاطع فيه المرجعيات الثقافية، حيث يتداخل الموروث المحلي مع التأثيرات الأجنبية ليُنتج خطابًا أدبيًا متميزًا، يعكس صراع الهوية ويجسد في الآن ذاته قدرة الأدب على تجاوز الحدود اللغوية والثقافية.

وقد تبلورت علاقة كاتب ياسين بهذه اللغة عبر هذه السبل الثلاثة مجتمعة؛ إذ تشبّع بها منذ صغره نتيجة تعليمه المباشر ضمن المنظومة الثقافية الاستعمارية، كما انفتح على الأدب الفرنسي، خاصة أعمال الشعراء الرومانسيين مثل بودلير ورامبو وغيرهما. ثم أتيحت له فرصة السفر إلى فرنسا وهو في سن مبكرة، لم تتجاوز الثامنة عشرة، حيث تعمّق في تعلّم اللغة واكتساب أسسها، مما مهد لتشكّل مساره الأدبي الناطق بالفرنسية. وفي سنة 1950، شارك بشير حاج علي[1] رفقة عمر مختار شعلال[2] في مؤتمر للمثقفين بباريس، حيث حملا معهما جزءًا من مخطوطات كاتب ياسين، وقدّماها للكاتب الفرنسي لوي أراغون Louis Aragon[3] للنظر في إمكانية نشرها. وفي صباح اليوم الموالي، جاؤوا لملاقاة أراغون، الذي رفع ذراعيه قائلا ":رفاقي الأعزاء، إن عندكم عبقري، سيكون كاتبا كبيرا في المستقبل .سيتحدث عنه العالم،أؤكد لكم أن أشعار هذا الشاب تشي بموهبة كبيرة جدا .الدليل على ما أقول أنني، في هذا الأسبوع سأخصص عددا خاصا من جريدتي للنصوص التي أعطيتماها لي"[4]، وأصبح

[1] مجاهد وشاعر وعالم في الموسيقى وسياسي جزائري، ولد في القصبة، بالجزائر العاصمة، كان يُعدّ صوتاً مُتفرّداً في مسار الأدب الجزائري، وكرس كتاباته وحياته للالتزام بقضية العدالة والدفاع عن وطنه

[2] كاتب وشاعر جزائري

[3] شاعر فرنسي، وروائي ومحرر، رائد من رواد النقد الأدبي والفني الواقعي شاعر وقصصي وصحفي وناقد كبير وقف بقوة إلى جانب شعوب فيتنام والجزائر كما وقف إلى جانب مصر أثناء العدوان الاستعماري اشترك في تأسيس مجلة الآداب الفرنسية مؤسس اللجنة الوطنية للكتاب وهي الجبهة الثقافية في فرنسا تزعم المدرسة السريالية في الشعر والأدب بين عام 1920-1930

[4] عمر مختار شعلال، الرجل الحر، تر محمد أوزغلة، دار القصبة، الجزاءر، 2007.ص60

الحلم حقيقة مجسدة على أرض الواقع، لأن جريدة" الآداب الفرنسية " خصصت عددا خاصا لكاتب ياسين.

يمثل اعتقال كاتب ياسين عقب مظاهرات 8 ماي المناهضة للاستعمار من أبرز الأحداث التي طبعت بداياته، إذ أدى ذلك إلى طرده من المدرسة. غير أنّ هذه التجربة كشفت له قناعة راسخة مفادها أنه لم يُخلق لمسار الدراسة التقليدية، وأن ميوله الحقيقية تتجه نحو الشعر[1]" وقد وجد سبيله إلى الكتابة الشعرية من خلال قراءاته الواسعة لأعلام الأدب الفرنسي وغيره من الآداب العالمية، فاختارهم مصدرًا أساسيًا لإلهامه. وسرعان ما اتجه إلى محاكاة هذه النماذج الإبداعية، ليصدر بعد ذلك ديوانه *"مناجاة* (*Soliloques*)*"*[2] الذي عبّر فيه عن مشاعر عميقة، متأثرًا خصوصًا بـ شارل بودلير .وفي هذا السياق، يشير عمر مختار شعلال إلى حضور بودلير وغيره في التكوين الفكري لياسين، مؤكدًا أثر قراءاته في صقل تجربته الشعرية.

وقد سار كاتب ياسين على خطى هؤلاء المبدعين الذين تميزوا بالابتكار والاجتهاد، فاستلهم من شعرهم الرومانسي، الذي سرعان ما تكيّف مع البيئة المحلية، ليكتسب طابعًا جزائريًا خاصًا. ولم يكن انتماؤه الأدبي محصورًا في زمن أو فضاء محدد، بل كان منفتحًا على مختلف العصور والتيارات، من الشعر الجاهلي إلى الفلسفة العربية، وصولًا إلى شعراء عالميين مثل بابلو نيرودا ولويس أراغون، إلى جانب بودلير وآخرين، الذين لم يكونوا بالنسبة إليه مجرد أسماء من الماضي، بل رفاقًا دائمين في تجربته الإبداعية. كما تميّزت كتاباته بخصوصية واضحة، تجلّت خاصة في مزجه الروح الشرقية باللغة الفرنسية، مستلهمًا مادته من إعادة إحياء بعض الأساطير والتصورات التي ارتبطت بكبار مفكري وأدباء فرنسا في القرن الثامن عشر، مما أضفى على أعماله بعدًا ثقافيًا مركبًا ومتفردًا.

4. التأثير الأجنبي في أدب مالك حداد:

تُجسّد تجربة مالك حداد نموذجًا دالًا على إشكالية الكتابة بالفرنسية في الأدب الجزائري، حيث تتقاطع في أعماله أسئلة الذات واللغة والوطن، في سياق صراع ثقافي معقّد بين

[1] عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، ط1، بيروت لبنان 1991، ص 72

[2] عمر مختار شعلال، المرجع نفسه..ص 72

الموروث المحلي والثقافة الوافدة. فقد عبّرت نصوصه، على غرار كثير من الكتابات الجزائرية بالفرنسية، عن أزمة مزدوجة يعيشها الكاتب: أزمة انتماء إلى ثقافة أصلية مهمّشة، وأخرى إلى ثقافة مفروضة لم يبلغ حدّ الاندماج الكامل فيها.

وفي هذا الإطار، عاش حداد وضعًا وجوديًا وإبداعيًا مركّبًا، إذ كان يسعى إلى بناء هوية جمالية وفكرية خاصة به، تعكس تفرّده على مستوى الكتابة، وتمنحه في الوقت نفسه انتماءً ثقافيًا واضحًا. غير أن هذا المسعى ظلّ محفوفًا بالتوتر، نتيجة شعوره بالاغتراب داخل المجتمع الفرنسي الذي احتكّ به دون أن ينتمي إليه فعليًا، وبالمقابل إحساسه بانتماءٍ ناقص إلى محيطه الجزائري. وقد انعكس هذا التمزّق الداخلي في نصوصه، التي يمكن قراءتها بوصفها تعبيرًا عن حيرة عميقة ومعاناة ثقافية متواصلة، حيث يتقاطع فيها الواقع المتخيّل مع الواقع المعيش، في تفاعلٍ يعكس تجربة فردية وجماعية في آن واحد.

ولم يكن حداد بمعزل عن التأثيرات الفكرية والثقافية الغربية، بل انخرط فيها بشكل مباشر من خلال تكوينه وتعليمه، إذ تلقّى دراسته في المؤسسات الفرنسية، وصولًا إلى الجامعة، وهو ما أسهم في تشكيل وعيه الأدبي والفكري. كما شكّلت إقامته في فرنسا واحتكاكه المباشر بالمجتمع الغربي عاملًا مهمًا في توسيع آفاقه، خاصة مع إقامته علاقات مع عدد من الأدباء والمفكرين، من بينهم لويس أراغون، الذين أثروا تجربته ومنحوه إمكانات أوسع للاطلاع على المنجز الأدبي العالمي[1].

وقد تجلّت هذه التأثيرات في أعماله من خلال حضور شخصيات وأفكار مستوحاة من الواقع الغربي، حيث أعاد توظيفها داخل نصوصه مع تغيير أسمائها، لتصبح جزءًا من نسيجه السردي. كما يظهر تأثره الواضح بآداب متعددة، فرنسية وروسية وأمريكية وإسبانية، إلى جانب استلهامه لتيارات أدبية كبرى مثل الواقعية والرمزية والوجودية، فضلًا عن تأثره بالفكر الفلسفي الغربي، خاصة بأعمال هنري برغسون، التي تركت بصمتها على رؤيته للزمن والوعي والذات.

غير أنّ حداد لم يكن مجرد متلقٍ لهذه التأثيرات، بل أعاد صياغتها ضمن أفقه الخاص، محوّلًا إياها إلى أدوات للتعبير عن قضاياه الذاتية والوطنية. فقد مارس هذه الثقافة

[1] ينظر: صليحة بردي، **التأثيرات الأجنبية في أدب مالك حداد**، رسالة ماجستير، جامعة الشلف، 2011-2012

الأجنبية بوعي نقدي، مكّنه من خلق نوع من التفاعل الخلّاق بين المرجعيات، حيث تلتقي الثقافة الجزائرية بنظيرتها الفرنسية، وتتقاطع الثقافة العربية مع الامتداد الغربي في صيغة أدبية ذات بعد إنساني واسع[1].

وهكذا، أسهمت هذه التأثيرات في بلورة تجربة أدبية ناضجة، تتجاوز حدود الانتماء الضيق نحو أفق عالمي، حيث تصبح الكتابة فضاءً للحوار بين الثقافات، ومجالًا لإعادة التفكير في الهوية. ومن هذا المنظور، يكتسب أدب مالك حداد أهميته بوصفه تجربة تجمع بين الاختلاف والتقاطع، وتُبرز في الآن ذاته القيمة الجمالية والفكرية للتفاعل الثقافي، بما يحمله من توتر وإبداع، ومن سعي دائم نحو تحقيق توازن بين الخصوصية والانفتاح.

5. التأثير الأجنبي في أدب مولود فرعون:

يتجلى التأثير الأجنبي في كتابات مولود فرعون بوصفه عنصرًا بنيويًا ارتبط أساسًا بالوضع التاريخي الذي عاشه الكاتب تحت الاستعمار الفرنسي، حيث تلقّى تعليمه باللغة الفرنسية، وانفتح مبكرًا على الأدب الغربي، مما جعله يكتب ضمن إطار لغوي وثقافي فرنسي، دون أن ينفصل عن واقعه الجزائري الأصيل. غير أنّ هذا التأثير لم يكن استنساخًا مباشرًا، بل تحوّل إلى أداة للتعبير عن تجربة إنسانية واجتماعية جزائرية بامتياز.

فعلى المستوى اللغوي والأسلوبي، يتأثر فرعون بالكتابة الفرنسية الواقعية، خاصة لدى الروائيين الذين ركّزوا على تصوير الحياة اليومية والبنية الاجتماعية، وهو ما يظهر في اعتماده لغة بسيطة، واضحة، وخالية من الزخرفة، قريبة من الأسلوب التوثيقي. ويتجلى ذلك بوضوح في روايته *"ابن الفقير"*، حيث يقدّم صورة دقيقة لحياة الطفل الجزائري في منطقة القبائل، من خلال سرد خطي يعتمد على التفاصيل الواقعية، مثل وصف المدرسة الاستعمارية، والفقر، والعلاقات الاجتماعية داخل القرية. هذا الأسلوب يذكّر بالمدرسة الواقعية الفرنسية التي تعطي أهمية كبيرة للملاحظة الدقيقة والتصوير الموضوعي[2].

كما يظهر التأثير الأجنبي في البعد السردي، إذ يعتمد فرعون بنية روائية تقليدية ذات تسلسل زمني واضح، وهو ما يتقاطع مع الرواية الفرنسية الكلاسيكية في القرن التاسع

[1] صليحة بردي، المرجع السابق

[2] مولود فرعون، **ابن الفقير**، ترجمة عبد الرزاق عبيد، دار تلانتيقيت، بجاية 2020

عشر، حيث تسير الأحداث بشكل متدرج دون تعقيد تجريبي كبير. غير أنّ هذا الإطار السردي يُستخدم لتقديم مضمون محلي، يتمثل في معاناة الإنسان الجزائري تحت الاستعمار، كما نرى في *"ابن الفقير"* و*"الدروب الوعرة"*، حيث تُسرد تفاصيل الحياة القاسية، والحرمان الاجتماعي، وصعوبة التعليم، مما يجعل النصوص أقرب إلى شهادة اجتماعية منها إلى عمل تخييلي صرف.

أما على المستوى الفكري، فقد تأثر فرعون بالنزعة الإنسانية التي تميز جزءًا من الأدب الفرنسي، حيث يركّز على قيمة الإنسان البسيط، ويمنح الشخصيات الهامشية حضورًا مركزيًا في السرد. ففي *"ابن الفقير"* مثلًا، لا يقدّم البطل بوصفه شخصية بطولية، بل بوصفه طفلًا يعيش التهميش والفقر، لكنه يحتفظ بكرامة داخلية وإرادة للتعلم، وهو ما يعكس رؤية إنسانية متأثرة بالفكر الغربي، لكنها مُعاد توجيهها نحو الواقع الجزائري.

كما يمكن ملاحظة أثر المدرسة الواقعية الفرنسية في اهتمامه بالتفاصيل الاجتماعية الدقيقة، مثل وصف العلاقة بين المعلم والتلاميذ في المدرسة الاستعمارية، أو تصوير التفاوت الطبقي داخل المجتمع الريفي، وهو ما يمنح نصوصه طابعًا شبه توثيقي. إلا أن هذا التوثيق لا يبقى محايدًا، بل يتحول إلى أداة نقدية تكشف آثار الاستعمار الثقافي والاجتماعي[1].

ورغم هذه التأثيرات الأجنبية، فإن تجربة فرعون لا تُختزل في كونها امتدادًا للأدب الفرنسي، بل هي إعادة توظيف واعية للغة الفرنسية نفسها، إذ يجعلها وسيلة للتعبير عن الهوية الجزائرية المهمّشة. فالشخصيات التي يقدّمها، مثل الطفل التلميذ في *"ابن الفقير"*، أو سكان القرى في *"الدروب الوعرة"*، تحمل ملامح المجتمع الجزائري الحقيقي، بما فيه من فقر وبساطة وصراع يومي من أجل البقاء.

وهكذا، فإن التأثير الأجنبي في كتابات مولود فرعون يظهر على مستوى اللغة والبنية السردية والرؤية الإنسانية، لكنه يتحول داخل النص إلى أداة لتصوير الواقع المحلي ونقده. وبذلك، يمكن القول إن فرعون لم يكن مجرد كاتب متأثر بالأدب الفرنسي، بل كاتبًا أعاد

[1] ينظر: حاج براهيم كنزة، **التأثيرات الأجنبية في روايات مولود فرعون**، رسالة ماجستير، جامعة شلف، 2013

توظيف هذا التأثير لبناء أدب جزائري واقعي، ينقل صوت الإنسان البسيط في سياق استعماري معقّد، ويمنح للتجربة المحلية بعدًا إنسانيًا يتجاوز حدودها الجغرافية.

6. التأثير الأجنبي في أدب آسيا جبار:

تُعدّ تجربة آسيا جبار مثالًا بارزًا على تفاعل الأدب الجزائري مع المرجعيات الأجنبية، خاصة في سياق ما بعد الاستعمار، حيث تتقاطع في أعمالها أبعاد لغوية وثقافية وفكرية متعددة. فقد اختارت الكتابة باللغة الفرنسية، غير أنّ هذا الاختيار لم يكن مجرّد امتداد لهيمنة استعمارية، بل تحوّل إلى أداة واعية لإعادة بناء الذات واستعادة الذاكرة، خصوصًا ذاكرة المرأة الجزائرية التي طالها التهميش.

ويتجلى التأثير الأجنبي في كتابات جبار على مستويات عدة؛ أولها المستوى اللغوي والأسلوبي، حيث تأثرت بتقاليد السرد الفرنسي وتقنياته الحديثة، مثل تعدد الأصوات، وتفكيك الزمن الروائي، والكتابة الشذرية، مما أضفى على نصوصها طابعًا تجريبيًا. كما يظهر انفتاحها على الفكر الغربي، خاصة التيارات النسوية، حيث نجد تقاطعًا مع أفكار سيمون دو بوفوار في ما يتعلق بقضايا الجسد، والحرية، والهوية النسوية.

إلى جانب ذلك، تأثرت آسيا جبار بالمنجز الأدبي العالمي، سواء في الرواية أو السينما، حيث استثمرت تقنيات بصرية وسردية مستلهمة من الثقافة الغربية، ما منح أعمالها بعدًا حداثيًا. غير أنّ هذه التأثيرات لم تُفضِ إلى ذوبان هويتها، بل أعادت الكاتبة توظيفها ضمن سياق جزائري، إذ مزجت بين اللغة الفرنسية والمخيال المحلي، مستندة إلى الذاكرة الشفوية العربية والأمازيغية، ومستحضرة تاريخ المقاومة، خاصة النسوية منها[1].

يظهر التأثير الأجنبي في أعمال آسيا جبار بوصفه عنصرًا بنيويًا يشتغل داخل النص لا على هامشه، حيث يتقاطع مع المرجعيات المحلية ليُنتج كتابة هجينة ذات أبعاد جمالية وفكرية معقّدة. فعلى المستوى السردي، تستثمر الكاتبة تقنيات الرواية الغربية الحديثة، مثل تعدد الأصوات وتفكيك الخط الزمني وتداخل الأجناس الأدبية، وهو ما يظهر بوضوح في *"الحب، الفانتازيا"*، حيث لا يقتصر السرد على صوت واحد، بل يتوزع بين ذات الكاتبة، وأصوات نسائية جزائرية مهمّشة، ونصوص تاريخية مستمدة من الأرشيف الاستعماري الفرنسي.

[1] Faouzia BENDJELID, Op-Cit, PP142-143

هذا التداخل يمنح النص طابعًا بوليفونيًا يذكّر بأساليب السرد الأوروبي، غير أنه يُعاد توظيفه لخدمة مشروع كتابة مضادّة تعيد الاعتبار للذاكرة المحلية[1].

كما يتمظهر التأثر بالفكر الغربي، وخاصة النسوي، في معالجة جبار لقضايا المرأة والهوية والجسد، حيث نجد تقاطعات واضحة مع أطروحات سيمون دو بوفوار، غير أن الكاتبة لا تستنسخ هذا الفكر، بل تُخضعه لخصوصية السياق الجزائري، كما يتضح في *"نساء الجزائر في مخدعهن"*، حيث تتحول المرأة من موضوع صامت داخل الخطاب الكولونيالي إلى ذات ناطقة تستعيد حقها في السرد والتعبير. وفي هذا السياق، تغدو الكتابة وسيلة لتحرير الصوت النسوي وإعادة تشكيل الذاكرة من الداخل[2].

أما على المستوى اللغوي، فتتبدّى العلاقة المعقّدة مع اللغة الفرنسية، إذ توظّفها جبار بوصفها أداة تعبير، لكنها في الآن ذاته تُحمّلها حمولة ثقافية محلية، من خلال إدماج إيقاعات الشفوية العربية والأمازيغية، واستحضار المخيال الشعبي، مما يجعل النص فضاءً لغويًا هجينًا يتجاوز الحدود التقليدية بين اللغات. وبذلك تتحول الفرنسية من لغة موروثة عن الاستعمار إلى وسيلة لإعادة كتابة الذات والهوية.

ولا يقف التأثير الأجنبي عند حدود الأدب، بل يمتد إلى المجال السينمائي، حيث استفادت جبار من تقنيات السينما الغربية، خاصة في بناء الصورة وتقطيع المشاهد وتوظيف الصمت، كما في فيلم *"نوبة نساء جبل شنوة"*، الذي يجمع بين البعد التوثيقي والبعد الجمالي، ويُسهم في نقل الذاكرة الجماعية النسوية عبر وسائط متعددة.

ومن جهة أخرى، تعتمد الكاتبة على مصادر تاريخية غربية، خاصة الأرشيف الفرنسي، لكنها لا تتعامل معه بوصفه مرجعًا محايدًا، بل تعيد قراءته وتفكيكه، كاشفة عن انحيازاته ومحدوديته، وساعية إلى إعادة كتابة التاريخ من منظور جزائري مغاير. وهنا يتضح أن التأثير الأجنبي لا يُفضي إلى التبعية، بل يتحول إلى مادة لإعادة البناء والتأويل[3].

---

[1] ينظر: بدرية شامي، حسان راشدي، **تمثل صورة الآخر في رواية الحب ولفنتازيا لآيسا جبار، مقاربة صورولوجية**، المدونة، مجلد 08، عدد 03، 2021 ص 2846

[2] Kamel IGOUDJIL, **Post Colonial AlgerianWrters in French: Language as Representation ans Resistance**, 2025 Academia.edu 2020 academia.edu/7962576 (Vu le 25/02/2026 à 12.59

[3] Faouzia BENDJELID, Op-Cit, P142

وهكذا، فإن أعمال آسيا جبار تمثل نموذجًا لكتابة تتجاوز الثنائية التقليدية بين المحلي والأجنبي، حيث يُعاد تشكيل التأثيرات الخارجية ضمن رؤية نقدية واعية، تُحوّلها من عنصر هيمنة إلى أداة إبداع ومقاومة. ومن خلال هذا التفاعل الخلّاق، تنجح الكاتبة في بناء نص متعدد الطبقات، يجمع بين الذاكرة والتاريخ، وبين الذاتي والجماعي، ليؤكد أن الأدب قادر على استيعاب الاختلاف وتحويله إلى قيمة جمالية وإنسانية تتجاوز الحدود الثقافية الضيقة.

خلاصة:

يُعدّ الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية ظاهرة متميزة من الناحيتين الفنية والفكرية، إذ يعكس تجربة تاريخية معقدة تشكّلت في ظل الاستعمار الفرنسي الذي طال أمده، مقابل فترة قصيرة نسبيًا من الكفاح من أجل الاستقلال، وهي مدة لم تكن كافية لمحو آثاره العميقة، خاصة على المستويين الثقافي والروحي.

في بداياته، ظلّ التأثر بالثقافة الفرنسية—وبالغربية عمومًا—محدودًا، لكنه سرعان ما تعزّز وتجلّى بوضوح في النصوص الأدبية، مثيرًا إشكاليات حادة تتعلق بالهوية. لذلك، لا يكفي تصنيف هذا الأدب ضمن إطار لغوي بسيط (فرنسي أو جزائري أو مزدوج)، بل يقتضي فهمه مقاربة داخلية تأخذ بعين الاعتبار خصوصية تجربته وسياقاته. كما أن لغة الكتابة ليست معيارًا حاسمًا في الحكم على هذا الأدب، بقدر ما ترتبط بالظروف التاريخية والتكوين الثقافي للكاتب. فالأديب، مهما كانت اللغة التي يستخدمها، ينطلق من واقعه ليعبّر عن تجربة صادقة وملتزمة، وقد استطاع كثير من الكتّاب إيصال صوت الجزائر إلى العالم، موظفين اللغة الفرنسية كوسيلة للنضال والتعبير.

ومع ذلك، لا ينبغي أن يتحوّل هذا الاختيار اللغوي إلى قطيعة مع اللغة الوطنية، إذ يكمن التوازن في ترسيخ العربية كأساس، والاستفادة من الفرنسية كأداة للإغناء والتطوير، في إطار مثاقفة واعية.

في المحصلة، حمل هذا الأدب رؤية جديدة تتسم بروح التمرد والتجديد، وسعى إلى تجاوز القوالب التقليدية، مستفيدًا من التأثيرات الأجنبية بشكل خلاّق، مما أتاح له إنتاج نصوص ذات قيمة فنية عالية وحضور بارز في المشهد الأدبي العالمي.

المحاضرة (11): بيوغرافيا الأدباء الجزائريين المعبرين باللغة الفرنسية (01)

تمهيد:

يشكّل الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية خلال فترة الاستعمار فضاءً تعبيرياً معقّداً، تداخلت فيه رهانات الهوية واللغة والتاريخ. فقد وجد عدد من الكتّاب الجزائريين أنفسهم أمام مفارقة مزدوجة: الكتابة بلغة المستعمِر من جهة، والسعي إلى التعبير عن واقعٍ وطنيٍّ مأزوم من جهة أخرى. وفي هذا السياق، لم تكن الفرنسية مجرّد أداة تواصل، بل تحوّلت إلى وسيلة لإعادة تشكيل الوعي الجماعي، وفضح مظاهر الهيمنة الاستعمارية، واستعادة الصوت الجزائري المسلوب.

ضمن هذا الأفق، برزت أسماء أدبية وازنة مثل مولود فرعون، ومالك حداد، وكاتب ياسين، وآسيا جبار، الذين جسّدوا من خلال أعمالهم معاناة الإنسان الجزائري تحت وطأة الاستعمار، كما عبّروا عن تمزّق الهوية بين الانتماء الوطني واللغة المفروضة. وقد اتخذت كتاباتهم أشكالاً سردية وشعرية مختلفة، لكنها التقت جميعاً في سعيها إلى مقاومة النسيان، وتوثيق الذاكرة الجماعية، وطرح أسئلة الوجود والحرية.

وعليه، فإن دراسة بيوغرافيات هؤلاء الأدباء لا تقتصر على تتبّع مساراتهم الشخصية، بل تتجاوز ذلك إلى فهم السياق التاريخي والثقافي الذي تشكّلت فيه تجاربهم، وكيف أثّر الاستعمار في اختياراتهم اللغوية والفكرية، وفي رؤيتهم للعالم. ومن هنا، تكتسي هذه البوغرافيات أهمية خاصة، باعتبارها مدخلاً أساسياً لقراءة الأدب الجزائري الفرنكوفوني بوصفه أدب مقاومة، وأدب بحث دائم عن الهوية والانتماء.

وفي الجزء الأول سنحاول عن نخص بالدراسة كل من محمد ديب، مولود فرعون، مولود معمري كاتب ياسين، مع الاعتماد في هذا الصدد على بعض المراجع الخاصة بالروائيين انفسهم، ضمن مقدمات أعمالهم، أو مقدمات دور النشر، وموسوعة ويكيبيديا، وبعض الصفحات التي تعنى بالأدب عامة والأدب الفرانكفوني على وجه التحديد.

- **محمد ديب**

المولد والنشأة: ولد محمد ديب يوم 21 جويلية 1920 في تلمسان غربي الجزائر، لأسرة كان أبوها كثير التنقل بين المهن لتوفير لقمة عيشها.

الدراسة والتكوين: توفي والده في 1931، ورغم الظروف المعيشية السيئة فإن ديب واصل تعليمه بعد انتقاله إلى مدينة وجدة المغربية، لكنه عاد إلى الجزائر قاصدا ولاية وهران لينتسب إلى مدرسة المعلمين، واستطاع أن يتقن اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

الوظائف والمسؤوليات: بدأ ديب حياته المهنية وعمره لا يتجاوز 12 سنة، وبعد أن عاش فترة قصيرة بمدينة وجدة المغربية عاد إلى الجزائر عام 1939 لممارسة التعليم في قرية "زوج بغال" على الحدود الجزائرية المغربية.

التحق 1942 بالعمل في مؤسسة للسكك الحديدية، ولكونه يتقن الإنجليزية والفرنسية فقد عمل محاسبا ثم مترجما لجيش الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية، وتحول بعد ذلك إلى مصمم ديكورات ورسوم سجاد خلال 1945-1948 بولاية تلمسان.

اشتغل في 1948 بالصحافة فعمل في جريدة "الجزائر الجمهورية"، كما ساهم في يومية "الحرية" لسان حال الحزب الشيوعي الجزائري، فنفته الشرطة الفرنسية بسبب كتاباته المناهضة للاستعمار الفرنسي للجزائر.

التجربة الأدبية: رغم الظروف القاسية التي مر بها ديب خلال فترات حياته المختلفة، فإنه انكب على إغناء رصيده المعرفي بمطالعة الأدب الفرنسي قديمه وحديثه، كما ساهم احتكاكه بكبار كتاب عصره (أمثال ألبير كامو وجان سيناك ولويس جيو، وابن بلده مولود فرعون) في تكوين شخصيته الأدبية المتميزة، وبات يعد من أشهر كتاب الرواية الجزائرية بتأسيسه لنمط جديد في الكتابة الإبداعية.

زار بعد ذلك عدة دول بدءا بفرنسا فإيطاليا وصولا إلى أميركا وفنلندا ودول بأوروبا الشرقية، ثم اختار بعد ذلك الاستقرار في المغرب عام 1960، وبعد استقلال الجزائر 1962 عاد إلى وطنه، لكنه سافر مرة أخرى إلى فرنسا مفضلا الاستقرار فيها إلى حين وفاته.

حاز اطلاعا واسعا على الأشكال التعبيرية في الرواية الجديدة والفلسفة الحديثة وبدرجة أقل على التراث الإسلامي، وساهم نشاطه السياسي في الحزب الشيوعي الجزائري في تكوينه عبر انتقاده اللاذع للظاهرة الاستعمارية.

قال عنه الروائي الطاهر وطار: "محمد ديب في ثلاثيته الروائية تفوّق على نجيب محفوظ في "زقاق المدق" و"القاهرة الجديدة"، وعلى حنة مينة في "المصابيح الزرق"، وعلى غائب طعمة في "النخلة والجيران"، فكل هذه الروايات صدرت في أوقات متقاربة وتعالج موضوع الحرب العالمية الثانية ومشكلاتها".

أعماله الأدبية:

تنوعت أعماله ما بين الرواية والشعر والتاملات أهم رواياته:

- **ثلاثية الجزائر:**
  - الدار الكبيرة1952 م
  - الحريق1954 م
  - النول1957 م
- **ثلاثية الشمال**:
  - سطوح أورسول1985 م
  - إغفاءة حواء1989 م
  - ثلوج المرمر1990 م

وفاته: توفي يوم 2 ماي 2003 بسان كلو إحدى ضواحي باريس.

- **مولود فرعون**

يُعدّ مولود فرعون (1913 - 1962)، أحد مؤسّسي الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، إلى جانب محمد ديب ومولود معمري وكاتب ياسين .بل إن الناقد الفرنسي المختصّ في الأدب الجزائري، جان ديجو (1921 - 1993)، يرى في كتابه "الأدب الجزائري المعاصر" أن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، وُلد، في واقع الأمر، مع صدور رواية "ابن الفقير" لـ فرعون مطلع الخمسينيات.

الرواية، التي تُعتَبر باكورة كتبه وأبرزها، تستعرض في ما يشبه السيرة الذاتية، مظاهر البؤس التي عاشها بطلُها "فورولو"، وتنقل في ضوء ذلك، الحياة اليومية في مسقط رأسه، في منطقة القبائل، خلال الفترة الاستعمارية.

صدرت الرواية لأوّل مرّة عن "دار سوي le seuil" في باريس عام 1954. وفيها حاول فرعون، كما يقول صديقه الكاتب الفرنسي إيمانويل روبليس (1914 - 1995)، "أن يُدلي بشهادته حول الشعب الذي ينتسب إليه، ويقول بأنهم أناس كسائر البشر."

لعل النجاح الذي حقّقه العمل، الذي تُرجم إلى عددٍ كبير من اللغات من بينها العربية، كان بمثابة حافز له لتأليف مجموعة من الأعمال الأخرى، ذات الصلة بالموضوع المتناوَل؛ خصوصاً: "الأرض والدم" و"الدروب الصاعدة/ الدروب الوعرة". كما أن مقاطع من "ابن الفقير" أُدرجت، بعد الاستقلال، ضمن المناهج المدرسية الجزائرية، عبر جميع أطوار الدراسة، وهو ما لم يتحقّق للكثير من الكتّاب الجزائريين المعاصرين.

تتميّز كتابات فرعون، بالمزج بين التحقيق الميداني والقصة التوثيقية. كان يعتمد فيها على المراقبة العينية والمعرفة الوثائقية المقرّبة لمنطقة قضى فيها طفولته وجزءاً كبيراً من شبابه. ولعلّه لونٌ من الكتابة اقتضته مآسي الحرب وبؤس حياة السكّان وفظاعة زمن الاستعمار.

يقول: "لقد كتبتُ "ابن الفقير" أثناء سنوات الحرب المظلمة على ضوء مصباح تقليدي. في هذه الرواية، يمكن القول إنني وضعت أفضل ما عندي". وعن سؤال طرحه الكاتب والصحافي الفرنسي موريس مونوابيه (1920 - 2016)، عن اعتبار الرواية سيرة ذاتية، يجيب: "نعم، أنا متمسّك، وبشكل كبير، بهذا الكتاب؛ أولاً، لكوني لم أكن آكل إلا عندما

كنت أحسّ بالجوع. زيادة على ذلك، جعلتني هذه الرواية أنتبه إلى إمكاناتي. فالنجاح الكبير الذي حقّقته شجّعني على المضي قُدماً في كتابة روايات أخرى."

عاش موريس مونواييه **Maurice Monnoyer** في الجزائر خلال الفترة بين 1948 و1956. وفي الخمسينيات، شغل منصب رئيس تحرير في صحيفة "الجُهد الجزائري l'effort algérien"، وقد جمعته صداقة بفرعون وتبادلا العديد من الرسائل التي جمعها الباحث إقبال مهني في كتاب بعنوان: "مولود فرعون، موريس مونواييه: قصّة صداقة" (دار الأمل، 2009)

يصف أوّل لقاء له مع الكاتب الجزائري قبل أن يجري حواراً معه: "كلّمني عنه إيمانويل روبليس. بعد نصف ساعة، دخل إلى مكتبي، يداه كانتا مرتبكتين، كان يحمل مظلّة ومحفظة جلدية. تخلّص من هذه الأشياء قبل أن يصافحني بمحبّة، بدا لي متوجّساً، يكاد أن يكون خجولاً، ولكن ما إن تتوافر أجواء الثقة حتى يتفاعل بنشاط، ويفتح قلبه. إنه الإنسان الأكثر روعة من بين الذين عرفتهم. عندما كان يتكلّم، كنت ألاحظه خفية، من خلف زجاج نظّارته المثيرة للانتباه. كانت عيناه تشعّان بريقاً، حيث يلوح من خلالهما، بصيص قادم من عمق حياة داخلية."

تلك الحياة ستنهيها "منظّمة الجيش السرّي" الإرهابية الفرنسية أياماً قليلة قبل التوقيع على "اتفاقيات إيفيان"، التي تمخّض عنها إعلان وقف إطلاق النار وتنظيم استفتاء تقرير المصير. يعترف مونواييه بأنه، عندما بلغه نبأ اغتيال فرعون، بكى بحرقة، لأنه فقد شخصاً عزيزاً عليه جمعت بينهما صداقة ومحبّة ورسائل كثيرة، وفق قوله.

كان صاحب "الدروب الصاعدة" يعرف أنه مهدّد في أية لحظة بالموت، وكان يتوقّع ذلك، ويواجهه بشجاعة: "أعرف أنني، ربما، سأموت اليوم... قد أُعدم بالرصاص غداً، ولكنني أعلم أنني أنتمي إلى شعب عظيم يملك عزّة النفس، استطاع أن يزعزع قرناً من السبات الذي أغرقه في ظلام دامس، وأن لا شيء يمكنه، منذ الآن، إعادته إلى سابق عهده."

بعد أيام من اغتياله، كتب أحد أبنائه رسالةً إلى روبليس، الذي أسّس بعد عودته إلى فرنسا دار نشر تُعنى بالأدب الفرنكفوني المغاربي، أصدرت معظم أعمال فرعون، ومن بينها يومياته التي ضمّت مجموعة من رسائله، جاء فيها: "كتبتم، يوم الثلاثاء، رسالة إلى والدي، سوف لن يقرأها. إنه شيء فظيع."

في هذه الرسالة، يروي الابن تفاصيل الليلة الأخيرة مع والده: "لقد سهرنا طويلاً معه يوم الأربعاء، وذلك لأوّل مرة منذ وجودنا في فيلا "لنغ". في البداية سهرنا في المطبخ، ثم انتقلنا إلى

الصالون، وتذكّرنا كل المدارس التي درّس فيها، وشاهدنا بعد ذلك برنامجاً في التلفزيون يتحدّث عن روايتك، وقد سرّه ذلك كثيراً، وأنا أعرف العلاقة التي تربطكما. بعدها، تحدّثنا عنك، ثم ذهب لينام. كنت في الفراش حين سمعته يقول لأمّي: "اتركي الأطفال ينامون". كانت تريد إيقاظنا لنذهب إلى المدرسة. "كل صباح تُخرجين ثلاثة رجال، هل تعتقدين حقّاً، أنهم سيعيدونهم إليك سالمين". بصقت أمّي على النار، تحاول طرد الشؤم. وكما ترون، لم ينفع ذلك. خرج والدي ولم "يعيدوه" إلينا... رأيته في غرفة الموتى: اثنتا عشرة رصاصة لم تُصب وجهه أيّ منها. أبي كان يبدو جميلاً، لكنه كان جامداً تماماً، ولم يكن يريد النظر إلى أحد. كان هناك نحو خمسين، بل مئة مثله، ممدّدين على طاولات ومقاعد على الأرض، في كل مكان. أمّا هو، فقد أرقدوه على طاولة في الوسط."

ماذا كان موقف مولود فرعون من الاستعمار؟ المرجّح أنه كان يؤمن بالرؤية الاندماجية التي تتصوّر جزائر مستقلّة تسع الجميع، بمن فيهم "الأقدام السوداء". لكن صاحب "ابن الفقير" سيتخلّى عن الفكرة مع مرور الوقت.

في كتابه "مولود فرعون كاتب ملتزم"، يؤكّد الكاتب الفرنسي، جوزي لينزيني، أن فرعون ساند الثورة بشكل مباشر، مضيفاً أنه كان يرى أن "الكاتب الذي يكتفي بوضع الشاهد السلبي يتحوّل إلى متواطئ."

مولود فرعون كاتب وروائي جزائري كبير وهو قبل ذلك كله معلم فريد قضى زمنا ليس بالقليل في تعليم الأطفال في قريته.

ولمولود فرعون آثار أدبية كثيرة ومتنوعة منها كتاب (أيام قبائلية) ويتكلم فيه عن عادات وتقاليد المنطقة. ورواية« ابن الفقير»، التي نشرها سنة 1950وفي سنة 1953 ظهرت له رواية« الأرض والدم»، وفي عام 1957«الدروب الصاعدة»، وصدرت يومياته سنة 1969 في كتاب مستقل يحمل عنوان «مولود فرعون: رسائل إلى الأصدقاء»، وأخيراً نشرت روايته « الذكرى» عام 1972.

وكلها تتكلم عن المعاناة الجزائرية تحت ظلام الاستعمار, و المحاولات العديدة لطمس هويته من تجهيل ونشر للمسيحية....بالإضافة إلى مجموعة من الرسائل والمقالات بعضها منشور في بعض الجرائد.

من أقواله: (أكتب بالفرنسية, وأتكلم بالفرنسية, لأقول للفرنسيين, أني لست فرنسياً)

من بين أعماله:

— **Le Fils du pauvre** : publié en 1950,
— **La Terre et le sang** : publié en 1953,
— **Les Chemins qui montent** : publié en 1957,
— **L'Anniversaire** : roman publié à titre posthume en 1972,
— **Jours de Kabylie** récit écrit en 1954
— **Journal** : publié en 1962,
— **Lettre à ses amis** : tout comme le Journal, ce témoignage nous apprend beaucoup sur l'auteur et sur son œuvre (1949-1962).
— **Poèmes de Si Mohand** : un recueil publié en 1960 et complété plus tard par feu Mouloud Mammeri dans Isefra de Si Mohand.
— **La Cité des Roses** : En 1958,

وفاته: سقط برصاص الغدر و الحقد الاستعماري في 15 مارس 1962 م حيث كان في مقر عمله.

- **مولود معمري**

المولد والنشأة

ولد مولود معمري يوم 28 ديسمبر 1917 في قرية "ثاوريرث ميمون" بمدينة "آيث يني" بولاية تيزي وزو بالجزائر.

الدراسة والتكوين

بدأ تعليمه الأولي في مسقط رأسه، وفي سن الـ12 انتقل إلى مدينة الرباط للدراسة، وعاد بعد أربع سنوات إلى الجزائر، ثم انتقل إلى باريس والتحق بالمدرسة العليا للأساتذة.

في عام 1940 عاد إلى الجزائر مجددا والتحق بكلية الآداب بجامعة الجزائر، وهي الفترة التي نشر فيها سلسلة مقالات بمجلة "أكدال" المغربية حول المجتمعات الأمازيغية من خلال تناولها ببعد أنثروبولوجي ساهم في تطوير اللغة والثقافة الأمازيغيتين.

وبسبب نشاطه اللافت، تعرض لملاحقات ومضايقات من طرف الاستعمار الفرنسي، ما دفعه إلى مغادرة الجزائر والاتجاه مجددا إلى مدينة الرباط المغربية عام 1957، وهي المحطة التي سمحت له بالتعرف بكتاب مغاربة أمازيغ، وإثراء مداركه في علم اللسانيات الأمازيغية حيث قام بمحاولات لتأسيس قاموس أمازيغي موحد بين دول المغرب الكبير.

الوظائف والمسؤوليات

بدأ معمري مساره المهني مدرسا في مدينة المدية الجزائرية، وأصبح عام 1963 أول رئيس لاتحاد الكتاب الجزائريين، قبل أن يغادر الاتحاد لخلافات إيديولوجية وفكرية بينه وبين أعضائه.

أشرف في الفترة ما بين 1965 و1972 على تدريس اللغة الأمازيغية بالجامعة، غير أنه منع من إلقاء محاضرات باللغة الأمازيغية في خلية الأنثروبولوجيا التي كان يشرف عليها في الجامعة.

وخلال الفترة الممتدة ما بين 1969 و1980، تولى معمري رئاسة المركز الوطني للأبحاث الأنثروبولوجية ودراسات ما قبل التاريخ، وفيها أصدر مجلة علمية متخصصة تحمل عنوان "ليبيكا."

وفي 10 مارس/آذار 1980، منعت السلطات الجزائرية إلقاء محاضرة بجامعة تيزي وزو بعنوان "الأدب الشعبي القبائلي" ما أدى إلى احتجاجات عارمة أصبحت تسمى فيما بعد بـ "**الربيع الأمازيغي** ."وفي عام 1982 أسس بباريس مركز الدراسات والأبحاث الأمازيغية.

المؤلفات: اشتهر معمري بمؤلفاته المكتوبة باللغة الفرنسية، وكتب العديد من الروايات، منها روايته الأولى "الهضبة المنسية" أو "الربوة المنسية" الصادرة عام 1952، ولقيت اهتماما بالغا من طرف النقاد والأدباء. وكتب عن تلك الرواية عميد الأدب العربي طه حسين في دراسة نقدية ضمن كتابه نقد وإصلاح، جاء فيها "كتاب الربوة المنسية دراسة اجتماعية عميقة دقيقة تصور أهل هذه الربوة في عزلتهم، وقد فرغوا لأنفسهم واعتمدوا عليها، فلم يكادوا يذكرون أحدا غيرهم من الناس، وهم يجهلون ما وراء الجبال التي تقوم دونهم، لا يعرفون إلا حين يضطرون إلى ذلك اضطرارا وما أقل ما يضطرون إليه، وهم لا يشعرون بالحكومة إلا حين تجبي منهم الضرائب على ما تثمر لهم الأرض وما يكسبون من المال."

وإلى جانب "الربوة المنسية"، كتب معمري "غفوة العادل" (1955) و"الأفيون والعصا" (1965)، "العبور" (1982)، وفي عام 1965 جمع ونشر مجموعة قصائد الشاعر القبائلي "سي محند أومحند"، وفي عام 1973 نشر مجموعة قصصية تحت عنوان "موظفة البنك."
أصدر معمري عام 1980 ديوان شعري بعنوان "أشعار القبيلة"، وفي عام 1982 أسس مجلة "أوال) "الكلمة) التي تعنى بالقضايا الثقافية الأمازيغية، وأنجز عملا غير مسبوق في النحو الأمازيغي أسماه "تاجرومت" أي القواعد.

وله مقالات أنثروبولوجيا منشورة تهتم بالمسألة الأمازيغية، وقد حوّلت بعض أعماله إلى أفلام خالدة في تاريخ السينما الجزائرية أشهرها فيلم "الهضبة المنسية" و" الأفيون والعصا" للمخرج الجزائري المعروف أحمد راشدي.

الجوائز والأوسمة

حصل معمري على جوائز عدة تقديرا لجودة أعماله الروائية والأكاديمية، منها جائزة الدكتور هونور. وفي عام 1988 كرم بالدكتوراه الفخرية من طرف جامعة السوربون بفرنسا نظير ما قدمه من أعمال أدبية إنسانية خالدة.

أعماله:

- (الأفيون و العصى) - L'opium et le bâton - رواية). 1965
- 'الربوة المنسية) - La colline oubliée - رواية). 1952
- (غفوة العادل) - Le sommeil du juste - رواية) 1952
- (العبور) -La traversée - رواية) 1982
- تاجرومث ن تمازيغث (هي بمثابة أجرومية اللغة القبائلية)
- أشعار سي محند أو محند. 1969

- « Les Isefra de Si Mohand ou M'hand », texte berbère et traduction, Paris, Maspero, 1969, 1978

- حمار الوحش -(Le Zèbre) قصة-
- الخطمي - (L'Hibiscus) قصة-

وفاته: توفي معمري في حادث سير يوم 26 فبراير 1989 في عين الدفلى (150)كيلومترا غرب الجزائر العاصمة خلال عودته من ملتقى عقد بمدينة وجدة المغربية، ودفن في قريته ثاوريرث ميمون في جو جنائزي مهيب حضره أكثر من مئتي ألف شخص.

- **كاتب ياسين**

أديب جزائري كتب الرواية والمسرح والشعر وعمل في الصحافة، وحظي بشهرة عربية وعالمية، لقب بـ"نبي العصيان" و"الثوري المتمرد"، وهو من بين الأدباء الأكثر إثارة للجدل في الجزائر، من أشهر أعماله رواية "نجمة" التي ترجمت لعدة لغات عالمية.

المولد والنشأة

ولد كاتب ياسين واسمه الحقيقي (محمد خلوطي) يوم 6 أغسطس/آب 1929 ببلدية زيغود يوسف ولاية قسنطينة عاصمة الشرق الجزائر.

الدراسة والتكوين

تردد ياسين في صغره على المدرسة القرآنية بمسجد مدينة قسنطينة، لكنه بعد فترة وجيزة التحق بالمدرسة الفرنسية بولاية سطيف وفيها تابع تعليمه حتى 8 مايو 1945، اليوم الذي ارتكب فيه المستعمر الفرنسي مجازر مروعة بحق الشعب الجزائري راح ضحيتها -بحسب بعض الروايات- أكثر من 45 ألف شهيد. وبسبب مشاركته في هذه المظاهرات تم القبض عليه بعد خمسة أيام من انطلاقها وتم سجنه، وهي الحادثة التي تسببت في إصابة والده باضطراب نفسي لاعتقاده أن ابنه لقي حتفه في المظاهرات.ومن وراء القضبان وبعد عام أصدر ديوانه الشعري الأول بعنوان "مناجاة" ليسخر قلمه بعد ذلك لخدمة لبلاده ومناهضة الاستعمار الفرنسي.

هاجر إلى فرنسا سنة 1947، وفي باريس التي استقر بها تعرف على مجموعة من المناضلين والمثقفين الجزائريين، وكان يشاركهم في تنشيط حلقات فكرية وأدبية، لكنه قرر العودة إلى الجزائر عام 1970، ليستقر بمدينة سيدي بلعباس في الغرب الجزائري.

الوظائف والمسؤوليات

في عام 1949 أسس رفقة ألبير كامو صحيفة الجزائر الجمهورية، والتي جعل منها منبرا لمناهضة الاستعمار الفرنسي للجزائر. خلال سنوات الحرب الجزائرية زار العديد من الدول، وكتب تحقيقا عن الحج لمجلة "الإكسبريس" الفرنسية.

وخلال إقامته بتونس التي دامت أربع سنوات نشر عدة مقالات في مجلة "جون أفريك". عمل مديرا للمسرح الجهوي لمدينة سيدي بعلباس غربي الجزائر العاصمة.

التجربة الأدبية

يعد من أكثر الكتاب إثارة للجدل في تاريخ الأدب الجزائري المعاصر، حيث كان مفكرا حرا على الصعيد النظري وعبر أعماله الأدبية.

سخر قلمه خلال الثورة لمكافحة الاستعمار وسجن بسبب مواقفه الثورية المتمردة على الاستعمار.

تأثر بعد الاستقلال مباشرة بالإحباط الذي أصاب المثقفين الجزائريين خلال تلك الفترة بسبب التهميش الذي تعرضوا له، وهو ما تسبب في عزلته وتوقفه عن الكتابة لمدة، حتى ظن البعض أنه انقطع نهائيا عن التأليف.

خلال تنقله للاستقرار بولاية سيدي بلعباس انشغل بالموازاة مع عمله على المسرح بكتابة مقالات ينتقد من خلالها مظاهر الفساد في النظام الجزائري والتطرف الديني.

كتب أعماله باللغة الفرنسية لكنه كان مجبرا على ذلك، وشرح ذلك بقوله "أكتب بالفرنسية لأقول للفرنسيين إنني لست فرنسيا"، وكان يرى في اللغة الفرنسية غنيمة حرب.

خلال مسيرته قدم الكثير من الأعمال الروائية أهمها "نجمة" كتبها وعمره لا يتجاوز الـ28، ونجمة هي اسم المرأة التي أحبها لكنها كانت متزوجة من رجل آخر، ويصنف النقاد هذه الرواية على أنها من النوع الفاصل أي العمل الذي يحدث قطيعة بين الانتاج الأدبي السابق واللاحق، وهي رواية تأريخ ورصد للكفاح الجزائري أصدرها عام 1956، وكانت في الأصل عبارة عن قصيدة بعنوان "نجمة والسكين".

صنعت الرواية الحدث الأدبي والإعلامي، وترجمت إلى عدة لغات عالمية، وباتت نصا مرجعيا في أعرق الجامعات العالمية.

ولم يكتف بالرواية بل خاض غمار الشعر والمسرح، وعن هذه التجربة يقول "عندما كنت أكتب الروايات أو الشعر، كنت أشعر بالحرمان لأنني لا أصل سوى إلى بضعة آلاف من الناطقين بالفرنسية، بينما وصلنا من خلال المسرح إلى ملايين المشاهدين في غضون خمسة أعوام".

المؤلفات

توزع الإنتاج الأدبي لكاتب ياسين ما بين الرواية والشعر والمسرح، ومن أهم أعماله "دائرة

الانتقام"، و"شارع النساء"، و"المرصع بالنجوم"، و"المضلع النجمي" (1966)، و"محمد.. احمل حقيبتك"، و"فلسطين التي خانوها"، و"الرجل ذو الحذاء المطاطي"، و"الجثة المطوقة" 1959، و"القدماء يضاعفون ضراوتهم"، و"غبرة الذكاء"، و"ألف عذراء" (1958)، و"أشعار الجزائر المضطهدة" (1959)

- *Soliloques*, poèmes, Bône, Ancienne imprimerie Thomas, 1946. Réédition (avec une introduction de Yacine Kateb), Alger, Bouchène, 1991, 64 p.
- *Abdelkader et l'indépendance algérienne*, Alger, En Nahda, 1948, 47 p.
- *Nedjma*, roman, Paris, Éditions du Seuil, 1956, 256 p.
- *Le Cercle des représailles*, théâtre, Paris, Éditions du Seuil, 1959, 169p [contient *Le Cadavre encerclé*, *La Poudre d'intelligence*, *Les Ancêtres redoublent de férocité*, *Le Vautour*, introduction d'Edouard Glissant : *Le Chant profond de Kateb Yacine*].
- *Le Polygone étoilé*, roman, Paris, Éditions du Seuil, 1966, 182 p.
- *Les Ancêtres redoublent de férocité*, [avec la fin modifiée], Paris, collection TNP, 1967.
- *L'Homme aux sandales de caoutchouc* [hommages au Vietnam et à Ho Chi Minh], théâtre, Paris, Éditions du Seuil, 1970, 288 p.
- *Mohamed, prends ta valise (1971)*
- *L'Œuvre en fragments*, Inédits littéraires et textes retrouvés, rassemblés et présentés par Jacqueline Arnaud, Paris, Sindbad 1986, 448p (ISBN 2727401299).
- *Le Poète comme un boxeur*, entretiens 1958-1989, Paris, Éditions du Seuil, 1994.
- *Boucherie de l'espérance*, œuvres théâtrales, [quatre pièces, contient notamment *Mohammed prends ta valise*, *Boucherie de l'espérance*, *La Guerre de deux mille ans"*, et *Le Bourgeois sans culotte*, œuvres écrites entre 1972 et 1988], Paris, Éditions du Seuil, 1999, 570 p. Textes réunis et traduits par Zebeïda Chergui.
- *Minuit passée de douze heures*, écrits journalistiques 1947-1989, textes réunis par Amazigh Kateb, Paris, Éditions du Seuil, 1999, 360 p.
- *Kateb Yacine, un théâtre et trois langues*, Catalogue de l'exposition littéraire du même nom, Éditions du Seuil, 2003, 75 p.
- *Parce que c'est une femme*, textes réunis par Zebeïda Chergui, théâtre, [contient un entretien de Yacine Kateb avec El Hanar Benali, 1972, *La Kahina ou Dihya*; *Saout Ennissa*, 1972 ; *La Voix des femmes* et *Louise Michel et la Nouvelle Calédonie*], Paris, Éditions des Femmes - Antoinette Fouque, 2004, 174 p.

وفاته:

توفي كاتب ياسين يوم 29 أكتوبر سنة 1989 بإحدى مستشفيات مدينة "غرونوبل" الفرنسية خلال فترة علاجه من مرض السرطان، ونقل جثمانه ودفن بالجزائر.

المحاضرة (12): بيوغرافيا الأدباء الجزائريين المعبرين بالفرنسية (02)

في الجزء الثاني من باب سير أدباء الجزائر الذين كتبوا رواياتهم باللغة الفرنسية، سنتنوال بالدراسة، مالك حداد، وآسيا جبار، وأبو العيد دودو ومحمد مولسهول باسمه القلمي، ياسمينة خضرا.

• مالك حداد

يعد مالك حداد نموذجا للكاتب الجزائري الذي يعيش حالة اغتراب لغوية، أدت به في النهاية إلى أن يصرخ مباشرة بعد الاستقلال "الفرنسية منفاي، لذلك قررت أن أصمت"، وهو القائل قبل ذلك "أكتب باللغة الفرنسية لأقول للفرنسيين إنني لست فرنسيا."

إنه تمزق مبدع كبير بين ذاته الموغلة في الحضارتين العربية والأمازيغية، ولسانه الذي ورثه عن استعمار جاء ليطمس ملامحه، ولا "يورثه إلا يتمه."
ولد مالك حداد في صيف 1927 بمدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري لأب أمازيغي جاء إليها قبل سنوات، وفيها عاش طفولته وتلقى تعليمه الأول، ثم التحق بجامعة إكس أون بروفانس بفرنسا، وحصل على شهادة في الحقوق.
يعتبر حداد أن تاريخ ميلاده الحقيقي هو 8 ماي 1945، وهو اليوم الذي خرج فيه الجزائريون إلى الشوارع مطالبين بالحرية التي وعدتهم بها فرنسا إن هم وقفوا معها ضد هتلر، لكنها قابلتهم بالرصاص الذي حصد منهم 45 ألف شهيد. برمجت هذه المجازر الرهيبة مالك حداد على نشدان الحرية، والنزوع نحو الثورة، وهو الخيار الذي اعتنقه بعد اندلاعها منتصف خمسينيات القرن العشرين، فكان أحدَ أصواتها القوية، بلسان فرنسي أدهش الفرنسيين أنفسهم.

عاد مباشرة بعد الاستقلال إلى قسنطينة، المدينة التي سكنت نفسه ونصه، وقرر أن يرعى المواهب الأدبية الجديدة من خلال إشرافه على القسم الثقافي ليومية "النصر"، ثم مجلة "آمال" التي أسست لجيل أدبي جديد. كان حداد يرى في الأصوات الجديدة عزاءه بعد أن

قرر "الصمت الإبداعي"، فتحول إلى مدرسة أدبية في الرواية والشعر، ومن المفارقة أن معظم المنخرطين فيها من الكتاب باللغة العربية.

لقد كان توليه الأمانة العامة لاتحاد الكتاب الجزائريين، واضطلاعه بمنصب عال في وزارة الثقافة والإعلام في عهد الرئيس الراحل هواري بومدين، نافذة منحت كثيرا من الشمس للمواهب الجديدة، في مقابل أنها جلب له كثيرا من الانتقاد من المعارضة التي رأت أنه زكى نظاما قامعا للحريات.

رحل مالك حداد في الذكرى السادسة عشرة لاستقلال الجزائر عام 1978، مخلفا رصيدا أدبيا يحلم بالترجمة، يتكون من أربع روايات هي "الانطباع الأخير"، وسأهبكِ غزالة"، و"أنا المعلم والتلميذ" و"رصيف الزهور لا يجيب"، وديوانين شعريين هما "الشقاء في خطر" و"أسمع وأناديك"، ودراسة واحدة هي "الأصفار التي تدور في الفراغ." كان مالك حداد يرى في ترجمة نصوصه إلى العربية بديلا عن صمته وتوقفه التام عن الكتابة، ولم يعايش إلا محاولات قليلة في ذلك.

كتب جميع مؤلفاته تلك خلال سنوات ثورة التحرير(1954-1962)، لكنها -على قلتها- حفرت عميقا في الذائقة الأدبية الجزائرية، وتحول صاحبها الذي كتب يوما "تفصلني الفرنسية عن وطني، أكثر مما يفعل البحر الأبيض المتوسط" إلى أيقونة إبداعية. تداخل الشعر بالسرد، والذاتي بالموضوعي، والوطني بالإنساني، والعاطفي بالفكري في كتابات مالك حداد، فحقق بذلك وثبة حررت المتن الأدبي الجزائري المكتوب بالفرنسية والعربية معا من الأيديولوجي الذي هيمن عليه.

وقد كانت مقولته "علينا أن نمنح العاطفة عقلا، والعقلَ عاطفة" خلفيته في نصوصه، فكتب عن شخوص تسعى إلى الخلاص من خلال العودة إلى ذاتها، والنضال من أجل عدم الاستسلام لأية قوة تحاول تعليب الإنسان.

كان حداد يرى في ترجمة نصوصه إلى العربية بديلا عن صمته، وتوقفه التام عن الكتابة، ولم يعايش إلا محاولات قليلة في ذلك، منها ترجمة الباحث الجزائري حنفي بن عيسى

لروايته "رصيف الزهور لا يجيب" عام 1965، وترجمة الباحثة السورية ملك أبيض لبعض نصوصه. تفاوت مستوى الترجمات التي توجهت إلى كتب مالك حداد بعد رحيله، وتأتي ترجمة الكاتب الجزائري "شرف الدين شكري" لنخبة من أشعاره ونصوصه السردية، لتلبي حاجة القارئ العربي إلى اكتشاف هذا الصوت المبدع الذي كتب يوما إلى صديقه لويس أراغون "لو كنت أعرف الغناء، لتكلمت العربية."

حملت الترجمة -الصادرة ضمن سلسة "كتاب الدوحة" في قطر- عنوانا منسجما مع صدورها مطلع العام الجديد (2014)، وهو "كرز لعامنا الجديد"، وضمت ثمانية عشر نصا شعريا وسرديا.

انتقى المترجم المعروف بالبحث في مالك حداد إنسانا وكاتبا، هذه النصوص من ديوانيه "الشقاء في خطر" (1956)، و"أسمع وأناديك" (1961)، ودراسته المهمة "الأصفار التي تدور في الفراغ" التي تناول فيها هواجس التعبير عند الكتاب الجزائريين.

وكتب القاص والروائي سليم بوفنداسة في توطئة الكتاب أن حداد كان يعتبر الحياة ظاهرة أدبية، فلا يدري قارئه أين يبدأ الأدب، وأين تتوقف الحياة.

وكرست هذه الترجمة الهواجس الإنسانية والإبداعية التي عرف بها حداد، وهو يعيش ويكتب "أسطورته المنسوجة بملاحم اليومي"، وبغضه الدفين لمفردات القتل والموت والحروب إذ يقول "ستنتهي الحرب الآن، سوف تخبو البنادق، وأنا أريد أن أؤمن بأن بارودها، سيضيء نيران المخيمات."

أعماله:

- *Le Malheur en danger* (poems), La Nef de Paris, 1956; Bouchène, 1988 (with an illustration by M'hamed Issiakhem).
- *La Dernière impression* (roman), Julliard, 1958
- *Je t'offrirai une gazelle* (roman), Julliard, 1959; re-edition 10/18
- *L'Élève et la leçon* (roman), Julliard, 1960; re-edition 10/18
- *Le Quai aux Fleurs ne répond plus* (roman), Julliard 1961; re-edition 10/18
- *Les Zéros tournent en rond* (essai), Maspero, 1961
- *Écoute et je t'appelle* (poems), Maspero 1961

• آسيا جبار

أكاديمية وكاتبة روائية ومخرجة جزائرية تناقش معظم أعمالها الصعوبات التي تواجه النساء وتمتاز كتاباتها بحس أنثوي. انتخبت عام 2005 عضواً في أكاديمية اللغة الفرنسية وهي أعلى مؤسسة فرنسية تختص بتراث اللغة الفرنسية، لتكون أول شخصية عربية تصل إلى هذا المنصب، كما حصلت على جائزة نيوستاد الدولية للأدب وتوفيت عام 2015 عن عمر يناهز 78.

نبذة عن آسيا جبار

آسيا جبار كاتبة مقالات وروائية وأكاديمية جزائرية، عرفت في جميع أنحاء العالم بسبب آرائها الأنثوية والمناهضة للاستعمار في المجتمع الجزائري، وكانت هذه الآراء أساس جميع رواياتها. ولدت آسيا جبار عام 1936 وأمضت سنوات مراهقتها في ذروة أحداث حرب الاستقلال الجزائرية ضد المستعمر الفرنسي، فقضت سنوات الحرب وهي تجري مقابلات مع اللاجئين في المغرب وتونس بهدف إظهار الآثار السلبية للاستعمار للعالم، كما كانت جميع رواياتها الأربع التي كتبتها منذ عام 1957 وحتى عام 1967 تجسد هذا الموقف المناهض للاستعمار والمناهض للسلطة الأبوية.

ثبتت جبار ثباتاً عظيماً في حياتها، حيث تعد مناهضة السلطة الأبوية في مجتمعها أمراً مثيراً للجدل، بل أنها في الحقيقة اعتمدت اسم الشهرة آسيا جبار بهدف إخفاء كتاباتها عن والدها المحافظ، ومنذ صدور أول رواية لها كانت جبار بمثابة صوت تمكين المرأة، وسيرتها المهنية طويلة وحافلة بجوائز ربحتها وهو ما جعلها واحدة من أهم الكاتبات في القرن العشرين.

إنجازات آسيا جبار: أسهمت تجارب آسيا جبار في طفولتها المبكرة في صقل دورها بوصفها امرأة مسلمة تدافع عن حقوق المرأة، والكثير من أعمالها تتناول جوانب سلبية من السلطة الأبوية والحدود التي تفرضها على النساء، وقد نشرت روايتها الأولى عام 1957 والتي كانت بعنوان "العطش" باسم آسيا جبار خوفاً من عدم موافقة والدها، فكانت هذه الرواية هي أول رواية تنشرها امرأة جزائرية خارج الجزائر، وهي تتحدث عن الخيانة والإغواء داخل الطبقة العليا في الجزائر.

أما روايتها الثانية "القلقون" فخرجت إلى النور عام 1958، وكانت تركز على الأمور الداخلية التي كانت تحدث في الطبقة العليا في الجزائر، وفي عام 1962 نشرت رواية "أطفال العالم الجديد"، وصورت فيها دور المرأة التي لعبته في حرب الاستقلال الجزائرية ضد فرنسا، ثم نشرت عام 1967 تتمة لرواية "أطفال العالم الجديد" بعنوان "القبّرات الساذجة"، وهي رواية تركز على صعود الحركة النسوية في الجزائر.

كما كتبت جبار وأنتجت مسرحية تحت عنوان "أحمر لون الفجر" عام 1969 وكانت بالتعاون مع زوجها آنذاك وليد قرن، وبعد سنوات الحرب عادت جبار إلى الجزائر وأمضت وقتها هناك في تدريس التاريخ في جامعة الجزائر ثم أصبحت أخيراً عميدة قسم اللغة الفرنسية في الجامعة، كما كانت جبار تقضي وقت فراغها مدرّسة لاحتراف صناعة الأفلام، لتطلق في عام 1978 فيلمها "نوبة نساء جبل شنوة."

في عام 1980 عادت جبار للكتابة لتنشر رواية جديدة تحت عنوان "نساء الجزائر في مخدعهن"، وتتحدث عن انعدام المساواة بين الرجل والمرأة في الجزائر ما بعد الاستعمار، وفي عام 1995 انتقلت لتعيش في الولايات المتحدة وأمضت وقتها في تدريس الأدب الفرنسي في جامعة لويزيانا ومن ثم جامعة نيويورك، وهكذا تكون جبار قد كتبت ما بين عام 1995 و 2008 ما محصلته ثماني روايات جميعها لها الموضوع الرئيسي ذاته هو انعدام المساواة بين الجنسين في الجزائر.

تعرف عن جبار مناهضتها للسلطة الأبوية والاستعمار، وهو ما شكل أساس كتاباتها، كما ويرتبط اسمها كثيراً بالحركة النسوية في الأدب، ومن أهم أعمالها روايتها الأولى "العطش" المنشورة عام 1957 والتي تصور بطلة القصة التي تؤكد على هويتها وعلى رغباتها الجنسية من خلال خوضها تجربة عاطفية، وبذلك فهي تعارض آراء المسلمين التقليدية حول المرأة، وتعد هذه الرواية مهمة لأن جبار أخفت اسمها الحقيقي ونشرت الرواية تحت اسم آسيا جبار بهدف تجنب غضب والدها، إلا أن شجاعتها في نشر هذه الرواية على كل الأحوال تعكس قوة الروح النسوية لديها.

ومن بين أعمالها المهمة أيضاً روايتها التي نشرتها عام 1962 "أطفال العالم الجديد" والرواية المتممة لها "القبرات الساذجة" وهما روايتان مهمتان تظهران مقدار الخيانة في المجتمع الجزائري ما بعد الاستعمار، وتعد هاتان الروايتان بمثابة نقد اجتماعي أشار إلى التغيرات

التي توجب إحداثها في المجتمع الجزائري، وهي تغييرات تركز في معظمها على المساواة بين الجنسين.

مُنِحت آسيا جبار جائزة نيوستاد الدولية للأدب عام 1996 عن إسهاماتها في عالم الأدب، كما نالت جائزة معرض الكتب الألمانية عام 2000.

حياة آسيا جبار الشخصية

تزوجت جبار عام 1958 من أحمد ولد رويس (وليد قرن) وكان أحد أفراد المقاومة الجزائرية ضد المستعمر الفرنسي، إلا أنهما تطلقا بعد سبعة عشر عاماً من زواجهما، وبعد ذلك تزوجت عام 1980 مرة أخرى من مالك علولة وكان شاعراً.

حقائق سريعة عن آسيا جبار

- شاركت في إضراب الطلبة عام 1959 ضد المحتل الفرنسي.
- أول كاتبة عربية تحصل على جائزة السلام الألمانية من جمعية الناشرين الألمانية.
- نشرت أولى رواياتها باسم مستعار خوفاً من رفض والدها لمحتوى الرواية.
- كانت أول عربية تحظى بعضوية أكاديمية اللغة الفرنسية.

أعمالها الأدبية:

- *Nulle part dans la maison de mon père*, Éd. Fayard, Paris, 2007
- *La Disparition de la langue française*, Éd. Albin Michel, Paris, 2003
- *La Femme sans sépulture*, Éd. Albin Michel, Paris, 2002
- *Ces voix qui m'assiègent: En marge de ma francophonie*, Éd. Albin Michel, Paris, 1999
- *Les Nuits de Strasbourg*, roman, Actes Sud, 1997
- *Oran, langue morte*, Éd. Actes Sud, Paris, 1997
- *Le Blanc de l'Algérie*, Éd. Albin Michel, Paris, 1996
- *Vaste est la prison*, Éd. Albin Michel, Paris, 1995
- *Loin de Médine*, Éd. Albin Michel, Paris, 1991
- *Ombre sultane*, roman, J.-C. Lattès, 1987
- *L'Amour, la fantasia*, roman, J. C. Lattès/Enal, 1985
- *Femmes d'Alger dans leur appartement*, nouvelles (1980)
- *Rouge l'aube*, théâtre (1969)
- *Poèmes pour l'Algérie heureuse*, poésie (1969)
- *Les Alouettes naïves*, Éd. Julliard, Paris, 1967
- *Les Enfants du Nouveau Monde*, Éd. Julliard, Paris, 1962
- *Les Impatients*, Éd. Julliard, Paris, 1958
- *La Soif*, Éd. Julliard, Paris, 1957

وفاتها: توفيت في 6 فبراير 2015 في باريس وهي في الثامنة والسبعين من عمرها.

- **أبو العيد دودو**

ولد **أبو العيد دودو** في 1934 بلدة العنصر، جيجل بالجزائر، كان قاصا وناقدا أدبيا ومترجما، عمل أستاذا جامعيا، درس بمعهد عبد الحميد بن باديس ثم انتقل إلى جامع الزيتونة ومنه إلى دار المعلمين العليا ببغداد ثم إلى النمسا فتحصل من جامعتها على دكتوراه برسالة عن **ابن نظيف الحموي** سنة 1961م، درس بالجامعة التي تخرج منها ثم بجامعة كييل بألمانيا قبل أن يعود إلى الجزائر ويشتغل استاذا في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة الجزائر.

من بين أبرز المثقفين في الجزائر الذين عملوا في صمت على إنتاج ثقافة نوعية. فقد كتب القصة والمسرحية والأسطورة والدراسة النقدية والدراسة المقارنة وقصيدة النثر كما مارس الترجمة إلى العربية من أكثر من لغة كما ترجم إلى الألمانية بعض قصصه وقصائد عدد كبير من الشعراء الجزائريين المعاصرين.

تابع دودو مسيرة مجتمعه الجزائري في (صور سلوكية) ناقلا صورا دقيقة التفاصيل وفي غاية السذاجة المقصودة ليصل بالقارئ في النهاية إلى مواجهة الجدار مستعملا أسلوب كافكا السوداوي. ولم يقدر النقاد في الجزائر كتابات دودو حق قدرها لاعتبارات كثيرة, فأسلوبه الكلاسيكي الهادئ ونقده المر للواقع وخلو كتاباته من الألفاظ النابية والعنيفة, وعدم مشاركته في أي من الاوقات في التهليل لمشروع سياسي أيا كان صاحبه لم يجعل منه كل هذا كاتبا مثيرا للجدل كما هو الحال مع من جايله من الكتاب مثل الطاهر وطار وعبد الحميد بن هدوقة .لقد تابع الأديب بمرارة ما آل إليه المجتمع من انحدار للقيم وانحراف عن تلك المثل التي جاءت بها ثورة نوفمبر والتي عاد إلى أرض الوطن من أجل المساهمة في تجسيدها برغم المكانة التي وصل إليها بجده واجتهاده في جامعات الغرب. واتسمت كتاباته كلها بعد (بحيرة الزيتون) - التي كتبها عندما كان لايزال خارج البلاد- اتسمت بمرارة توحي بخيبة الامل. ودفعه هدوءه الرزين وأدبه الجم الذي يطبع شخص المربي فيه إلى رصد ظواهر من الحياة اليومية من حوله كلها إشارات تنذر بعواقب وخيمة.

أعماله الأدبية

- -(**بحيرة الزيتون**) قصص 1967م
- -(**التراب**) مسرحية 1968م
- -(**دار الثلاثة**) قصص 1971م
- -(**البشير**) قصة 1975م
- -(**الطريق الفضي**1981) م
- -(**الطعام والعيون**) قصص 1998م
- -(**كتب وشخصيات**) دراسة 1971م
- -الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (دراسة 1975م)، صور سلوكية (تأملات اجتماعية)، الحمار الذهبي للوكيوس أبوليوس، مارتن هايدغر: أصل العمل الفني،....

تراجمه من الألمانية

مد أبو العيد دودو بتنقله السهل بين اللغتين العربية والألمانية جسورا بين الثقافتين فنقل إلى العربية بعض ما كتبه الرحالة الألمان عن المجتمع الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي, وهي صفحات عمل المستعمر على تغييبها من تاريخ الجزائر ,ومن بينها:

- -**القصة الأولى من ثلاثية (مالتسان** :(التي كتبها عن الجزائر في القرن التاسع عشر
- -**مدخن الحشيش في الجزائر**.
- -**الجزائر في مؤلفات الرحالين الالمان** الذي صدر سنة 1975.
- -**ثلاث سنوات في شمال غربي أفريقيا** لمالتسان.
- -**قسنطينة أيام أحمد باي** لشلوصر.

تراجمه من اللاتينية

وتعد ترجمته الكاملة إلى العربية من اللاتينية لأول رواية في تاريخ الإنسانية **الحمار الذهبي** لابن مداوروش الأديب والفيلسوف لوكيوس أبوليوس من أنفس مأقدم للمكتبة العربية. وقد اختار دودو في ترجمته لهذه الرواية كلمات عربية قديمة نوعا ما كي يجعل القاري يعيش أجواء الأحداث في زمنها البعيد, زمن السحر وأمزجة الآلهة مما يكشف عن المتعة اللا متناهية التي صاحبته وهو يتنقل بالقارئ من قصة لأخرى تحتويها كما تتفتح

الدمى الروسية الواحدة عن الأخرى. وقد عانى دودو كثيرا من مشكلة النشر وما زالت عشرات المخطوطات الابداعية في مختلف الميادين من ترجمة ودراسة وابداع أدبي تتكدس في بيته الصغير بأعالي العاصمة, كما يوجد غيرها لدى عدد كبير من دور النشر الجزائرية والأجنبية

من مؤلفاته بالفرنسية:

الشقاء في خطر (شعر 1956م)، الانطباع الأخير (رواية 1958م)، سأهبك غزالة (رواية 1959م) التلميذ والدرس (رواية 1960م)، رصيف الأزهار لا يجيب (رواية 1961)، اسمع وسأناديك (شعر 1961م)، الأصفار تدور في الفراغ (دراسة 1961م

ترجمت أغلب الأعمال إلى اللغة العربية.

كان يحلم بغد أفضل ، بجزائر حرة ، لم يقوقعه حزنه على الوطن المستباح بل انطلق مخاطبا الفرنسيين بلغتهم عبر شعره و ثقافتهم التي استمدها منهم فكانت معوله لهدم القهر و العبودية .. هو من جيل الأبطال الذين لم يرضوا الهوان و لم يتقاعسوا عن خدمة وطنهم و لو بحرف! . .

بعد استقلال الجزائر قرّر ان يتوقف عن الكتابة مصرّحاً بجملته الشهيرة " اللغة الفرنسية منفاي، ولذا قررت أن أصمت". و الشاعر الكاتب الروائي: مالك حداد من كتاب (الفرنسية) في (الجزائر) لكنه ليس كسائر الكتاب الفرنسيين في (الجزائر) أو المنتمين إلى (الجزائر) (ببطاقة هوية) وحدها، فهو الثائر حتى على نفسه، معتبراً اللغة الفرنسية منفاه محروماً من القدرة على التعبير بلغته الوطنية (العربية) كسائر أولئك الذين "لم يسمح لهم بتعلم لغة بلادهم"

أنجز أوّل رواية له سنة 1958 بعنوان: "الانطباع الأخير" تحية للثورة الجزائرية (1954-1962) المتأججة، في عامها الرابع، وقد احتضنها الرجل، فوجد فيها ذاته، بعد ميلاده الفكري السياسي الجديد يوم (8 ماي 1945) الذي دشن فيه الاستعمار مجازره الجماعية، فأدرك (مالك) حقد الاستعمار، وضرورة القضاء على وجوده:

بعد رواية "الانطباع الأخير" جاءت رواياته الأخرى "سأهبك غزالة" سنة 1959 و "التلميذ والدرس" سنة 1960، و "رصيف الأزهار لا يجيب" سنة 1961، وهذه من آخر ما كتب.

أعماله:

- *Le Malheur en danger* (poèmes), La Nef de Paris, 1956; Bouchène, 1988 (avec une illustration de Issiakhem).
- *La Dernière impression* (roman), Éditions Julliard, 1958
- *Je t'offrirai une gazelle* (roman), Julliard, 1959; réédition 10/18 n° 1249, 1978 (ISBN 2264009047)
- *L'Élève et la leçon* (roman), Julliard, 1960; réédition 10/18
- *Le Quai aux Fleurs ne répond plus* (roman), Julliard 1961; réédition 10/18 n° 769, 1973 (ISBN 2264009055)
- *Les Zéros tournent en rond* (essai), Maspero, 1961
- *Écoute et je t'appelle* (poèmes), Maspero 1961
- *Algériennes*, (album de photographies), Alger, Ministère de l'Information, 1967.
- *Si Constantine m'était contée* ... série d'articles parus dans le journal *An Nasr* entre le 4 et le 14 janvier 1966.

Malek Haddad laissera également des inédits et des manuscrits inachevés :

- *Les Premiers froids* (poèmes)
- *La Fin des Majuscules* (essai)
- *Un Wagon sur une île* (roman inachevé)
- *Les Propos de la quarantaine* (chronique)

وفاته: توفي الدكتور أبو العيد دودو يوم الجمعة 16 **جانفي** .2004**بعد** أن أبدع و ترك أثرا كبيرا في اللغة العربية ناهيك عن كونه قدوة حسنة لكثير من الأشخاص.

- **ياسمينة خضرا**

هو **محمد مولسهول** *الملقب* **بياسمينة خضرا** اسما قلميا، من مواليد 10 جانفي 1955 بمنطقة القنادسة، ولاية بشار، الصحراء الجزائرية، كان أبوه ممرضا، وأمه بدوية. دخل المدرسة العسكرية *مدرسة أشبال الثورة* في سن التاسعة، وتخرج منها ضابطا، ليخدم في الجيش الجزائري مدة لا يستهان بها، وأثناء الحرب المدنية الجزائرية التي نشبت نيرانها في التسعينات، كان من أهم المسؤولين الفاعلين المشاركين في الحملة ضد الجيش الاسلامي للإنقاذ، ومن بعده الجماعة الاسلامية المسلحة ولا سيما في منطقة الغرب الجزائري، وبلغ رتبة قائد.

نشر ثلاث مجموعات قصصية، وثلاث روايات باسمه الحقيقي من 1984 إلى 1989 وحصل على عدة جوائز أدبية، إحداها من الصندوق الدولي لترقية الثقافة (اليونسكو) في 1993.

اضطر نظرا لرقابة الجيش، للتخفي والظهور باسم مستعار جديد، ولم يجد أحسن ولا أوفى من زوجته ورفيقة دربه لكي تمنحه اسمها، ليواصل به المشوار، بعيدا عن عيون ورقابة الجهاز الذي كان منتميا إليه.

كان اسم زوجته في الحقيقة " يامينة خضرا آمال" فأخذ الاسمين الأولين " يامينة خضرا" لكن ناشره ظنا منه أنه يصحح خطأ مطبعيا أضاف حرف *السين* إلى الاسم الأول، فصارت الكنية ***ياسمينة خضرا*** وكان هو الاسم القلمي الذي قرر الكاتب الاحتفاظ به إلى الأبد بناءً على قول زوجته له: " أنت منحتني اسمك مدى الحياة، وها أنا أمنحك اسمي إلى الأبد " وبالفعل ظل الكاتب محتفظا بهذه الكنية عرفانا بجميل زوجته لصبرها معه ودعمها له، وتقديرا للمرأة على العموم، حتى بعد تفجيره المفاجأة المزدوجة حين أعلن أنه ليس امرأة وإنما كاتب رجل اسمه الحقيقي محمد مولسهول، وأنه كان ضابطا عسكريا في الجيش الجزائري، خلال فترة العشرية الحمراء.

ولعل راويتيه *الكاتب* و *خداع الكلمات* أفضل فضاء اختاره لرواية سيرته الذاتية ومسيرته المهنية والأدبية.

قرر مغادرة صفوف الجيش، بعد 36 سنة من الخدمة، مفضلا التقاعد، في 2000، ليكرس بقية حياته للأدب والكتابة، واستقر لاحقا مع أسرته في فرنسا.

شغل منصب مدير المركز الثقافي الجزائري بباريس، بطلب من السيد عبد العزيز بوتفليقة، ليتركه في ماي 2014.

ترجمت رواياته إلى 33 لغة، وفي 2013 ولج اسمه قاموس الأعلام le petit Robert.

حصل على عدة جوائز أدبية وتقديرية أهمها: فارس جوقة الشرف من الجمهورية الفرنسية، فارس الفنون والآداب من وزارة الثقافة الفرنسية في 2005، وجائزة هنري غال من الأكاديمية الفرنسية في 2011

مؤلفاته:

<u>الموقعة باسم</u> *محمد مولسهول*:

- آمين Amen 1984 (مجموعة قصصية)
- حورية Houria 1984 (مجموعة قصصية)
- بنت الجسر La fille du pont 1985 (مجموعة قصصية)
- القاهرة: خلية الموت El Kahira : cellule de la mort 1985 (رواية)
- في الجهة الأخرى من المدينة De l'autre côté de la ville 1988 (رواية)
- حظوة الفينكس Le privilège du phénix 1989 (رواية)

<u>الموقعة باسمه القلمي</u> *ياسمينة خضرا*:

- المجنون والسكين Le dingue au bistouri 1990
- معرض الأوباش La foire des enfoirés 1993
- موريتوري Morituri 1997
- خريف الأوهام L'automne des chimères 1998
- الأبيض المزدوج Double blanc 1998
- بم تحلم الذئاب A quoi rêvent les loups 1999
- خرفان المولى Les agneaux du seigneur 1998
- الكاتب L'écrivain 2001
- مكر الكلمات L'imposture des mots 2002
- سنونوات كابول Les hirondelles de Kaboul 2002
- القريبة كاف La cousine K 2003
- قسمة الميت La part du mort 2004
- زهرة البليدة La rose de Blida 2005
- الصدمة L'attentat 2005
- صفارات بغداد Les sirènes de Bagdad 2006

- فضل الليل على النهار Ce que le jour doit à la nuit 2008
- ليلة التائب الطويلة La longue nuit d'un repenti 2010
- أولمب المصائب L'olympe des infortunes 2010
- المعادلة الافريقية L'équation africaine 2011
- غناء المتوحشين Les chants cannibales 2012
- الملائكة تموت من جراحنا Les anges meurent de nos blessures 2013
- ماذا تنتظر القردة Qu'attendent les singes 2014
- ليلة الرئيس الأخيرة Dernière nuit du Rais 2015
- الإله لا يسكن الهافانا Dieu n'habite pas la Havane 2016

يعرف عن ياسمينة خضرا، أنه ينتقد عبر كتاباته الحماقات البشرية، وثقافة العنف وحالة الفزع التي تعيشها المجتمعات نتيجة التيارات المتطرفة، ويتغنى بجمال وسحر وطنه الأم الجزائر، كما يسلط الضوء على بعض الأمراض الاجتماعية التي تمس جذور الأمة من جراء بيع الضمائر، جنون العظمة، وتعفن الأنظمة الحاكمة، كل ذلك قالب روائي تنسج شخصياته واقعها المعاش، بأسلوب يزاوج بين الحقيقة والخيال.

ياسمينة خضرا مُتَرْجَمًا:

لقد لاقت روايات ياسمينة خضرا، شهرة منقطعة النظير، وحققت نسبة مقروئية هائلة، واقتبست من بعضها أفلام سينمائية، ومسرحيات، ونال بموجبها صاحبها، عديد الجوائز، التشريفات والتكريمات في شتى الأقطار، وما زادها امتدادا وانتشارا، ترجمتها إلى أكثر من 33 لغة في العالم، من بينها العربية، أقرب لغة إلى الكاتب من أمه، ولسان حاله، وبالتالي كان من السهل أن يقف قارئا، ناقدا، وشاهدا على رواياته المترجمة لهذه اللغة تحديدا، وهو ما حدث فعلا، إذ عبّر صاحب رواية بم تحلم الذئاب، عن عدم رضاه عن الترجمات العربية لأعماله الروائية التي اشتغل عليها مترجمون جزائريون قائلا بالحرف الواحد: " قرأت كتبي بالترجمة العربية إلا أنني لم أحبها فالترجمات تلك لم ترضني ولم تقنعني، وبصراحة، أفضل أن يكون المترجم لبنانيا، أو سوريا على أن يكون جزائريا، لأن الجزائريين، بشكل عام، قد فقدوا المفهوم الصحيح للغة العربية، وصرت أشعر أن ترجماتهم إلى العربية حرفية بعض الشيء" علما أن الترجمات التي تمت بأقلام جزائرية كانت على يد مثقفين، وأساتذة جامعيين أمثال: أنعام بيوض، أمين الزاوي، ومحمد ساري...

المحاضرة (13): دراسة في نماذج من الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية

تمهيد:

يُعدّ الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية مجالًا خصبًا للدراسة، لما يطرحه من إشكاليات معقّدة تتعلق باللغة والهوية والتاريخ، في سياق استعماري وما بعد استعماري. وقد شكّلت هذه الكتابة فضاءً للتعبير عن تجربة جزائرية مخصوصة، تتداخل فيها المرجعيات الثقافية المحلية مع التأثيرات الأجنبية، مما أفرز نصوصًا ذات طابع هجيني يجمع بين الانتماء والانفصال في آن واحد. ومن خلال الوقوف عند نماذج بارزة، يمكن استجلاء ملامح هذا الأدب وتحولاته.

بعد استعراض الإطار النظري المرتبط بالأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، تبرز الحاجة إلى الانتقال نحو الجانب التطبيقي، من خلال دراسة نماذج نصية تمثيلية تعكس مختلف تجليات هذا الأدب. ولا يندرج اختيار هذه النماذج في إطار الاعتباط، بل يستند إلى معايير علمية، من بينها تمثيل مراحل تاريخية مختلفة، وتنوع التجارب الكتابية، فضلًا عن قدرتها على تجسيد الإشكاليات المركزية التي يطرحها هذا الأدب، وفي مقدمتها إشكالية الهوية، والتعدد اللغوي، وعلاقة الكاتب بلغة الكتابة.

وعليه، تمّ اختيار نصوص لعدد من الكتّاب البارزين، من أمثال مولود فرعون، وآسيا جبار، ومحمد ديب، ومالك حداد، وكاتب ياسين باعتبارهم يمثلون تجارب مختلفة ضمن الحقل الفرنكوفوني الجزائري، سواء من حيث السياق التاريخي أو الرؤية الفنية أو طبيعة الاشتغال على اللغة.

وستعتمد هذه الدراسة مقاربة تحليلية تستند إلى قراءة نصية دقيقة، تُعنى بتفكيك البنى الدلالية واللغوية، والكشف عن تمثلات الذات والآخر، مع ربط ذلك بالسياق الثقافي والتاريخي الذي أنتج هذه النصوص. كما سيتم التركيز على كيفية توظيف اللغة الفرنسية، ليس فقط كأداة تعبير، بل كفضاء للتوتر والتفاوض بين مرجعيات متعددة.

1. مولود فرعون:

يُعدّ مولود فرعون من أبرز رواد الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، حيث عكست أعماله الواقع الاجتماعي للجزائريين خلال الفترة الاستعمارية، خاصة من خلال تصويره للحياة اليومية والمعاناة الثقافية.

حيث يغلب على كتاباته الطابع الواقعي، كما في *"ابن الفقير"*، إذ يعتمد أسلوبًا بسيطًا ولغة واضحة لتصوير الحياة اليومية في المجتمع القبائلي، مركزًا على قضايا الفقر والتعليم والاستعمار، في تأثر بالمدرسة الواقعية الفرنسية، لكن مع حضور قوي للخصوصية المحلية.

ويمكن أن نلمس هذا الطابع من خلال المقطعين الآتيين:

"Mon père, en effet, avait beaucoup de soucis pour faire vivre sa famille. Je n'outrepasse pas la vérité en disant que la seule utlité visible de ma scolarisation était mon absence prolongée de la maison qui réduisait la quantité de figues et de couscous que je mangeais. Je me souviens bien, à ce propos, des plaintes de ma mère pendant les grandes vacances et de son impatience à voir la fin des longs congés Il lui fallait, à elle, beaucoup d'astuce et à mon père beaucoup de sueur pour joindre les deux bouts." (Le fils du pauvre, P60)[1]

" كان والدي بالفعل في هوس كبير ليعيل أسرته، ولن أتجاوز الحقيقة إذا قلت: إن الضرورة البينة في تمدرسي تكمن في غيابي الطويل عن المنزل وبالتالي التقليص من كمية التين المجفف والكسكسي اللذين أستهلكهما. أتذكر جيدا بهذا الشأن تذمر والدتي حيت تأتي العطلة الطويلة،وانتظارها بفارغ الصبر لنهايتها. كان يتحتم عليها أن تجد الكثير من الحيل ولوالدي الكثير من العرق لسد رمق العائلة.."[2] (ابن الفقير، ص 59)

فنجد مولود فرعون يتحدث في هذا المقطع عن الصعوبات والمشاق التي كان تواجهها عائلة البطل لتأمين قوت عيشها، الذي يقتصر على مادتي الكسكسي والتين المجفف، وعن العلاقة بين تمدرس الطفل وغيابه عن المنزل الذي قد يوفر بعض الأكل للأسرة، وقلق الأم عند قدوم العطلة وعودة ابنها ليتجدد القلق في سبيل توفير الطعام لهذا العائد، فيحس القارئ في هذا المشهد بمظاهر الفقر الذي نجح الكاتب في نقلها من خلال عائلة فورولو.

[1] Mouloud FERAOUN, Le Fils du Pauvre, Editions TALANTIKIT, Béjaia, 2016

[2] مولود فرعون، **ابن الفقير**، ترجمة عبد الرزاق عبيد، دار تلانتيقيت، بجاية 2020

"J'allais à l'école sans arrière-pensée. Simplement parce que tous les enfants v allaient. Le meilleur moment de la journée était sans conteste onze heures, lorsque nous remontions essoufflés vers le couscous qui nous attendait chez nous. Evidemment, il y avait aussi les jeux, mais on n'avait pas besoin d'aller à l'école pour jouer. J'ai su par la suite qu'on peut donner dans les écoles un enseignement attrayant, qu'on peut instruire les enfants en les amusant, qu'il y a des méthodes pour diminuer l'effort de l'élève, pour éveiller son attention. Cela se peut, les grandes personnes disent tant de belles choses. Je crois franchement qu'un petit Kabyle de sept ans n'a pas besoin de tout cela. Il est attentif par crainte et par amour-propre. Il s'agit d'éviter les coups du maître et les moqueries du voisin qui sait lire." (le fils du pauvre, p 57)

" كنت أتردد على المدرسة دون أي خلفية تذكر، ولا لسبب سوى لأن كل الأطفال يذهبون إليها، وأحسن زمن في النهار هو الساعة الحادية عشر حين نصعد ونحن نلهث إلى الكسكسي الذي ينتظرنا. بالطبع هناك الألعاب، غير أننا لم نكن في حاجة إلى المدرسة كي نلعب.علمت فيما بعد أنه يمكن أن نعطى في المدرسة تعليما ملفتا للانتباه، كما يمكن تهذيب الأطفال لتسليتهم وأن هناك طرقا للتقليص من جهد التلاميذ وإيقاظ انتباههم. يمكن كل ذلك، يقول الكبار أشياء كثيرة جميلة عن المدرسة. أعتقد جازما أن الطفل القبائلي ذا السبع سنين ليس في حاجة لكل هذا، فهو يقظ بسبب الخوف وحب الذات. يتعلق الأمر بتفادي ضربات المعلم، وسخرية الجار الذي يحسن القراءة." (ابن الفقير، ص 56)

في هذا المقطع يصف لنا الكاتب شعور البطل حيال ذهابه إلى المدرسة وفرحه عند نهاية الدوام والتحاقه بقريته لتناول الطبق التقليدي المتثمل في الكسكسي الذي هو أيضا الطبق الوحيد المتكرر على قائمة الطعام في تلك الفترة، فهو من جهة يعبر عن نوع من الحنين للأصل وتوطيد لفكرة المنتوج الواحد الذي لا يتغير نظرا للظروف التي كانت سارية في الفترة الاستعمارية، مع الاعتزاز بكونه قبائليا.

2. محمد ديب:

يُعدّ محمد ديب من أبرز أعلام الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، ومن الرواد الذين أسهموا في تأسيس خطاب روائي يعكس التحولات الاجتماعية والسياسية التي عرفها المجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية. وقد تميّزت كتاباته بطابع واقعي نقدي، حيث سعى إلى تصوير معاناة الإنسان الجزائري في ظل الفقر والتهميش، كاشفًا عن البنى العميقة التي تحكم الواقع الاستعماري.

وتُعدّ ثلاثيته الروائية، وعلى رأسها La Grande Maison، نموذجًا بارزًا لهذا التوجه، إذ قدّم من خلالها صورة دقيقة للحياة اليومية، مركّزًا على الفئات الشعبية، ومبرزًا التفاوتات الاجتماعية الحادة. كما اتسم أسلوبه بالبساطة الظاهرة والعمق الدلالي، حيث استطاع توظيف اللغة الفرنسية للتعبير عن واقع محلي جزائري، محمّل بالرموز والدلالات الثقافية.

ولا تقتصر أهمية تجربة محمد ديب على بعدها الواقعي فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى مساءلة العلاقة بين اللغة والهوية، إذ تتحول الفرنسية في نصوصه إلى أداة لنقل تجربة استعمارية معقّدة، تتقاطع فيها أبعاد التبعية والمقاومة. ومن هذا المنطلق، تمثل نصوصه مادة خصبة للتحليل، لما تنطوي عليه من تمثلات متعددة للذات والآخر، ولما تطرحه من إشكاليات تتعلق بالانتماء والتعبير في سياق لغوي مزدوج.

وها هي ذي المقاطع الآتية التي ينقل لنا من خلالها محمد ديب حياة البطل عمر مع رحلة البحث عن الخبز في دار سبيطار وخارجها:

« A Dar-Sbitar, Omar se procurait du pain d'une autre façon. Yamina, une petite femme aux jolis traits, revenait chaque matin du marché avec un plein couffin. Elle priait souvent Omar de lui faire de petites commissions. Il lui achetait du charbon, remplissait son seau d'eau à la fontaine publique, lui portait le pain au four... Yamina le récompensait à son retour en lui donnant une tranche de pain avec un fruit ou un piment grillé, – de temps en temps, un morceau de viande ou une sardine frite. Quelquefois, après déjeuner ou dîner, elle l'appelait. Quand l'enfant soulevait le rideau, – à l'heure du repas, chaque famille baissait le sien, – elle lui disait d'entrer, apportait un plat où elle gardait quelque chose de bon, cassait la miche ronde et blanche et plaçait le tout devant lui.
– Maintenant mange, mon garçon.
Elle le laissait et vaquait dans la pièce. Yamina ne lui offrait que des reliefs, mais propres; les plus difficiles n'auraient rien trouvé à y redire. La veuve ne le traitait pas comme un chien ; et cela lui plaisait. Ne pas être humilié. Omar ne savait pas où se mettre devant tant d'égards. Il fallait que chaque fois Yamina le pressât pour l'encourager à toucher aux aliments. » (**Mohammed Dib. La Grande maison Ed. Le Seuil. 1952 -P 9**)

"في دار السبيطار، كان عمر يحصل على الخبز بطريقة مختلفة. كانت يمينة، وهي امرأة صغيرة ذات ملامح جميلة، تعود كل صباح من السوق بسلة ممتلئة. وكانت كثيرًا ما تطلب من عمر أن يقضي لها بعض الحاجات البسيطة. فكان يشتري لها الفحم، ويملأ دلوها بالماء من النافورة العمومية، ويحمل لها الخبز إلى الفرن... وكانت يمينة تكافئه عند عودته بإعطائه قطعة من الخبز مع ثمرة أو فلفل مشوي، وأحيانًا، من حين لآخر، قطعة لحم أو سردينًا مقليًا.

وأحيانًا، بعد الغداء أو العشاء، كانت تناديه. وما إن يرفع الطفل الستار – ففي وقت الطعام كانت كل عائلة تُسدل ستارها – حتى تدعوه إلى الدخول، وتُحضر طبقًا احتفظت فيه بشيء طيب، وتكسر الرغيف المستدير الأبيض، وتضع كل ذلك أمامه.

–الآن كُل يا بُنيّ.

ثم تتركه وتنشغل في أرجاء الغرفة. لم تكن يمينة تقدّم له إلا بقايا الطعام، لكنها كانت نظيفة؛ حتى أشد الناس تدقيقًا لن يجد ما يعيبها. لم تكن الأرملة تعاملُه ككلب، وكان ذلك يُرضيه. ألا يُهان. لم يكن عمر يدري أين يضع نفسه أمام كل هذا اللطف. وكان لا بدّ في كل مرة أن تُلحّ عليه يمينة حتى تشجّعه على تناول الطعام. (الترجمة لنا)

يكشف هذا المقطع من "الدار الكبيرة" عن تصوير دقيق لواقع الفقر الذي يطبع الحياة اليومية في الفضاء الشعبي، غير أن الكاتب لا يكتفي برصد البؤس المادي، بل يتجاوز ذلك إلى إبراز البعد الإنساني المرتبط بالكرامة. فشخصية عمر تمثل الطفل المحروم الذي يسعى إلى تلبية حاجاته الأساسية بوسائل بسيطة، في حين تجسد يمينة نموذج التضامن الاجتماعي داخل الهامش، حيث تتحول أفعالها اليومية (تقديم الطعام، طلب المساعدة) إلى شكل من أشكال الرعاية غير المعلنة.

ويبرز البعد الدلالي للنص من خلال التوتر بين **الفقر والكرامة**؛ فبالرغم من أن الطعام المقدم لعمر ليس سوى "بقايا"، إلا أن وصفه بكونه "نظيفًا" يضفي عليه قيمة أخلاقية، ويعيد الاعتبار إلى إنسانية المتلقي. كما أن العبارة التي تفيد بأن الأرملة «لا تعامله ككلب» تكشف عن وعي ضمني بالإهانة الاجتماعية التي قد يتعرض لها الفقراء، وهو ما يجعل من فعل الإطعام هنا ليس مجرد تلبية حاجة بيولوجية، بل اعترافًا بإنسانية الآخر.

وعلى المستوى السردي، يعتمد الكاتب أسلوبًا واقعيًا بسيطًا، يقوم على تفاصيل الحياة اليومية (الخبز، الماء، الفحم)، وهي عناصر تُضفي على النص طابعًا توثيقيًا، يعكس خصوصية البيئة الاجتماعية خلال الفترة الاستعمارية. كما أن توظيف اللغة الفرنسية في نقل هذه التجربة المحلية يبرز قدرة الكاتب على تحويل لغة المستعمر إلى أداة للتعبير عن معاناة الجزائريين، وهو ما يمنح النص بعدًا مزدوجًا يجمع بين الشهادة الاجتماعية والرهان الثقافي.

ومن هذا المنطلق، يمكن اعتبار هذا المقطع نموذجًا دالًا على خصوصية الكتابة عند محمد ديب، حيث يتقاطع الواقعي بالإنساني، ويتحول السرد إلى فضاء لكشف الهشاشة الاجتماعية، دون التفريط في إبراز قيم التضامن والكرامة.

« Le sommeil, comme la faim, s'inscrit dans un temps indéfini, sans points de repère. Tout le monde a faim, toujours : aujourd'hui est identique à hier, les actions se colorent d'une signification révolue, l'argent pour acheter le pain ne suffit jamais, c'est comme s'il était payé à crédit avec un taux usuraire……On fait et refait les comptes, on espère avoir oublié quelque chose, mais les calculs sont justes, rien n'a été oublié, comme par une malédiction inéluctable, presque mythique » **(Mohammed Dib. La Grande maison P127)**

"إنّ النوم، شأنه شأن الجوع، ينتظم ضمن زمن غير محدّد، بلا نقاط مرجعية. الجميع جائعون، دائمًا: فاليوم مطابق للأمس، والأفعال تكتسي بدلالة زالت معالمها، والمال اللازم لشراء الخبز لا يكفي أبدًا، وكأنه يُدفع بالدَّين مع فائدة ربوية باهظة... تُعاد الحسابات مرارًا وتكرارًا، ويُؤمَل أن يكون قد أُغفل شيء ما، غير أنّ الحسابات صحيحة، ولم يُنسَ شيء، وكأنّ الأمر لعنة محتومة، تكاد تكون أسطورية. (الترجمة لنا)

يقدّم هذا المقطع من رؤية مكثفة لمعاناة الإنسان داخل عالم تحكمه الضرورة والفقر، حيث يتحول الجوع من إحساس جسدي إلى تجربة وجودية شاملة. فالجوع هنا لا يُقدَّم كحالة عابرة، بل كقانون دائم يُعيد تشكيل إدراك الزمن نفسه، إذ «ينتظم ضمن زمن غير محدد، بلا نقاط مرجعية»، ما يجعل الحياة اليومية فاقدة للتمييز بين الماضي والحاضر.
ويبرز البعد الدلالي في النص من خلال فكرة التكرار والدوامة: «اليوم مطابق للأمس»، وهي صياغة تعكس انغلاق الزمن الاجتماعي داخل حلقة من العجز المستمر. كما أن المال المخصص للخبز يتحول إلى رمز للندرة الدائمة، وكأنه مرتبط بنظام اقتصادي جائر يقوم على الاستدانة والاستنزاف، وهو ما يعمّق الإحساس بالاختناق المعيشي.
وعلى المستوى الأسلوبي، يعتمد الكاتب لغة مشحونة بالتكثيف الفلسفي، حيث تتجاور مفردات الحياة اليومية (الخبز، المال، الحسابات) مع مفاهيم ذات بعد وجودي مثل «الزمن»، «اللعنة»، و«الأسطوري». هذا المزج يمنح النص بعدًا يتجاوز الواقعي المباشر نحو تصوير شبه أسطوري للفقر، وكأن الجوع يتحول إلى قدر حتمي يطبع الوجود الإنساني.
ومن ثمّ، فإن هذا المقطع لا يكتفي بوصف الفقر، بل يعيد تشكيله بوصفه تجربة زمنية مغلقة، تجعل الإنسان أسير تكرار لا ينتهي، وهو ما يعكس بوضوح النزعة الواقعية النقدية

في كتابة محمد ديب، حيث يتحول السرد إلى أداة لكشف البنى العميقة للمعاناة الاجتماعية.

3. كاتب ياسين:

بعد استكشاف التجربة الواقعية عند محمد ديب، التي ركّزت على تصوير المعاناة الاجتماعية للفئات الشعبية ضمن سرد يميل إلى التوثيق والواقعية النقدية، يبرز اتجاه آخر داخل الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، يتجسد بوضوح في تجربة كاتب ياسين .فإذا كان ديب قد انشغل بتفكيك البنى الاجتماعية من الداخل عبر سرد واقعي هادئ نسبيًا، فإن كاتب ياسين يقدّم كتابة أكثر تمردًا وتجريبًا، تتجاوز القوالب التقليدية للرواية، وتميل إلى كسر اللغة والبنية السردية في آن واحد.

ويُعدّ كاتب ياسين من الأصوات الأدبية التي أعادت مساءلة اللغة الفرنسية ذاتها، حيث لم تعد مجرد وسيلة تعبير، بل تحولت في نصوصه إلى فضاء صراعي يعكس التوتر بين الهوية المحلية والإرث الاستعماري. ومن هذا المنطلق، فإن الانتقال إلى نصوصه يتيح مقاربة مختلفة للأدب الجزائري الفرنكوفوني، تقوم على التمرد اللغوي والتجديد الفني، بدل الاكتفاء بالبعد الواقعي أو التوثيقي.

وعليه، سيتم التوقف عند نموذج من أعماله من أجل إبراز خصوصية تجربته، وكيفية اشتغاله على اللغة والهوية ضمن رؤية أدبية مغايرة لما سبق.

« Tu dois songer à la destinée de ce pays où nous vivons, qui n'est pas une province française, et qui n'a ni bey ni sultan ; tu penses peut-être à l'Algérie toujours envahie, à son inextricable passé, car nous ne sommes pas une nation, pas encore, sache-le : nous ne sommes que des tribus décimées. Ce n'est pas revenir en arrière que d'honorer notre tribu, le seul lien qui nous reste pour nous réunir et nous retrouver (…) Ici, entre l'Egypte et l'Arabie, les pères de Keblout sont passés, ballotés comme nous sur la mer, au lendemain d'une défaite. Ils perdaient un empire. Nous ne perdons qu'une tribu. Et je vais te dire : j'avais une fille, la fille d'une Française. J'ai commencé par me séparer de la femme à Marseille, puis j'ai perdu la fille (…) … Les gens à qui je l'avais confiée, (…) l'ont toujours éloignée de moi ; et la mère adoptive vient de marier ma fille. Je n'y puis rien. Tous les torts sont de mon côté. Mais je sais bien que Nedjma s'est mariée contre son gré (…) … A toi, Rachid, c'est à toi que je songe … Mais jamais tu ne l'épouseras. Je suis décidé à l'enlever moi-même, sans ton aide, mais je t'aime aussi comme un fils… Nous irons vivre au Nadhor, elle et toi, mes deux enfants, moi le vieil arbre qui ne peut plus nourrir, mais vous couvrira de son ombre… Et le sang de Keblout, retrouvera sa chaude, son intime épaisseur. (…) S'il faut

s'éteindre malgré tout, au moins serons-nous barricadés pour la nuit, au fond des ruines reconquises… » (**Kateb Yacine, NEDJMA, p.p 128-129**)[1]

"عليك أن تفكّر في مصير هذا البلد الذي نعيش فيه، والذي ليس مقاطعة فرنسية، ولا يملك لا بايًا ولا سلطانًا؛ لعلّك تفكّر في الجزائر التي ما تزال دائمًا مُحتلّة، وفي ماضيها المعقّد الذي يصعب تفكيكه، لأننا لسنا أمة بعد، فاعلم ذلك: إننا مجرد قبائل مُنهَكة وممزّقة. وليس في العودة إلى القبيلة تراجع إلى الوراء، بل إنها الرابطة الوحيدة التي ما تزال تجمعنا وتعيدنا إلى بعضنا البعض .(...)

هنا، بين مصر والجزيرة العربية، مرّ أجداد كبلوت، وقد تلاعبت بهم الأمواج كما تلاعبت بنا، عقب هزيمة. لقد كانوا يفقدون إمبراطورية، أما نحن فلا نفقد سوى قبيلة واحدة.

وسأقول لك شيئًا: كانت لي ابنة، ابنة امرأة فرنسية. بدأتُ أولًا بالانفصال عن المرأة في مرسيليا، ثم فقدتُ ابنتي (...). أولئك الذين عهدتُ إليهم بها (...) أبعدوها عني دائمًا؛ والمرأة التي تبنّتها قامت الآن بتزويج ابنتي. ولا أستطيع فعل شيء. كل الخطأ مني. لكنني أعلم جيدًا أن نجمة تزوّجت ضد إرادتها.(...)

وإليك يا رشيد، إليك وحدك أفكّر... لكنك لن تتزوّجها أبدًا. لقد قرّرت أن أختطفها بنفسي، دون مساعدتك، ومع ذلك فأنا أحبك كابن لي... سنذهب ونعيش في نادور، هي وأنت، ابناي، وأنا الشجرة العجوز التي لم تعد تُطعم، لكنها ستظل تظلّكم بظلّها... وسيرجع دم كبلوت ليكتسب من جديد كثافته الدافئة والحميمة.(...) وإذا كان لا بدّ من الانطفاء رغم كل شيء، فعلى الأقل سنكون متحصّنين لليل، في عمق الأطلال المستعادة...(الترجمة لنا)

يقدّم هذا المقطع أحد أكثر المقاطع دلالة في بناء الخطاب السردي داخل *نجمة*، إذ يتقاطع فيه التاريخي بالأسطوري، والذاتي بالجماعي، في إطار رؤية مركّبة لأزمة الهوية الجزائرية زمن الاستعمار. فالخطاب هنا لا يكتفي بتصوير وضع اجتماعي، بل يعيد صياغة مفهوم الأمة نفسه، حين يُطرح السؤال الجوهري: هل الجزائر أمة أم مجرد قبائل متفرقة؟

على المستوى الدلالي، يقوم النص على ثنائية مركزية :**القبيلة مقابل الأمة** .فالمتكلّم يذهب إلى حدّ نفي وجود الأمة الجزائرية بعد، معتبراً أن الرابط الاجتماعي الوحيد المتبقي هو الانتماء القبلي. غير أن هذا الطرح لا يُقدَّم بوصفه حقيقة نهائية، بل كعلامة على حالة تفكك تاريخي فرضها الاستعمار، ما يجعل الخطاب مشحونًا بالتوتر بين الواقع وإمكانية تجاوزه.

[1] Kateb Yacine, Nedjma, Editiond Le Seuil, Paris, 1956, P.P 128-129

ومن جهة أخرى، يبرز حضور البعد الأسطوري من خلال الإحالة إلى "كبلوت" و"دم السلالة"، حيث تتحول الذاكرة العائلية إلى **أسطورة منشئة للهوية** .هذا التحول من التاريخ إلى الأسطورة يُعدّ من الخصائص البارزة في كتابة كاتب ياسين، إذ يعيد تشكيل الماضي ليس كوقائع، بل كرموز دالة على الانتماء والضياع في آن واحد.

أما على مستوى البنية السردية، فإن تعدد المخاطبين وتداخل الأصوات (الأب، الابنة، رشيد) يعكس ما يمكن تسميته بـ **تفكك الذات الساردة**، حيث لا يوجد صوت واحد مهيمن، بل خطاب متشظٍّ يعبر عن أزمة الهوية الجماعية. وهذا ما ينسجم مع الطبيعة الحوارية للرواية، حيث تتجاور رؤى متعارضة حول المصير: الانهيار أو إعادة البناء.

كما أن النهاية التي تقترح العيش في "ناظور" والاحتماء داخل "الأطلال المستعادة" تحمل بعدًا رمزيًا مزدوجًا؛ فهي من جهة تعبير عن رغبة في العودة إلى أصل موحّد، ومن جهة أخرى اعتراف باستحالة هذا التوحيد داخل واقع ممزق. وهكذا، يتحول الفضاء السردي إلى مجال للتأرجح بين الحلم بالوحدة واستحالة تحققها.

في المحصلة، يعكس هذا المقطع جوهر مشروع كاتب ياسين الأدبي، القائم على تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة بناء الهوية الجزائرية عبر الأسطورة واللغة المتعددة الأصوات، مما يجعل من *نجمة* نصًا مفتوحًا على التأويل ومثالًا بارزًا على الرواية الحوارية في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية.

4. مالك حداد:

بعد الوقوف عند التجربة المميزة لـ كاتب ياسين، التي قامت على تفكيك البنية السردية التقليدية وتوظيف الأسطورة وتعدد الأصوات في بناء رؤية حوارية للهوية الجزائرية، يبرز اتجاه آخر داخل الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، يتجسد بوضوح في تجربة مالك حداد .فإذا كان كاتب ياسين قد جعل من اللغة فضاءً للتجريب والانفجار النصي، فإن مالك حداد يميل إلى كتابة أكثر هدوءًا وتكثيفًا، تُخضع اللغة الفرنسية لتوتر داخلي عميق مرتبط بإشكالية الانتماء والكتابة.

وتتميّز تجربة مالك حداد بكونها تعكس مأزق الكاتب الجزائري داخل اللغة الفرنسية، التي تتحول في نصوصه إلى فضاء للاغتراب بقدر ما هي أداة للتعبير. ومن ثمّ، فإن الانتقال إلى

نموذج من أعماله يتيح مقاربة مختلفة، تقوم على البعد الوجداني والتأملي في علاقة الكاتب بلغته، وفي تمثلاته للهوية والذاكرة والانتماء .وتبرز أزمة اللغة والكتابة بوضوح، إذ يعيش الكاتب صراعًا داخليًا بين انتمائه الوطني واعتماده على لغة غير لغته الأصلية، وهو ما انعكس في نصوصه التي تتسم بنبرة تأملية وحسّ اغترابي، حيث تصبح الكتابة نفسها موضوعًا للتساؤل والقلق.

وسنحاول من خلال هذا المقطع أن نظهر ملامح هذا الصراع:

"Entre Paris et Alger, il n'y a pas deux mille kilomètres. Il y a quatre années de guerre. Il est inutile d'interroger. Ce n'est pas du voyage, ce n'est pas du tourisme. Les trains ne s'en vont plus pour le plaisir de s'en aller."[1] (**Malek HADDAD, Je t'offrirai une gazelle, p. 98**)

"بين باريس والجزائر ليس هناك ألفا كيلومتر، بل هناك أربع سنوات من الحرب. لا جدوى من السؤال. ليس هذا سفراً، وليس هذا سياحة. لم تعد القطارات تنطلق من أجل متعة الانطلاق." (الترجمة لنا)

تُجسّد هذه الفقرة رؤية أدبية وفكرية عميقة لدى الكاتب، حيث يتم تحويل العلاقة بين باريس والجزائر من علاقة جغرافية قائمة على المسافة إلى علاقة تاريخية مشحونة بذاكرة الحرب. فبدل الحديث عن "ألفي كيلومتر"، يُستبدل القياس المكاني بمدة الحرب، مما يدل على أن الاستعمار أعاد تشكيل الإدراك المكاني نفسه وجعل التاريخ هو معيار القياس الحقيقي. كما تُبرز الفقرة عبثية السؤال أمام واقع مأساوي واضح، إذ تصبح المعرفة غير ضرورية لأن المعنى مكتمل في ذاته: الحرب هي التي تفسّر وتختزل كل شيء. ويُفكَّك مفهوم السفر في النص، حيث يُنزع عنه طابعه السياحي أو الترفيهي ليصبح حركة مشوبة بالثقل السياسي والإنساني، بينما يتحول القطار، رمز الحداثة والتنقل، إلى علامة على فقدان الحرية والبراءة في الحركة. وبذلك تعكس الفقرة أسلوبًا قائمًا على النفي والتقابل، يرسّخ رؤية وجودية ترى أن الاستعمار لا يغيّر الحدود فقط، بل يعيد تشكيل معنى المسافة والزمن والحركة نفسها.

[1] Malek HADDAD, Je T'offrirai une Gazelle, SNED, 1958, P98

5. آسيا جبار:

تبرز آسيا جبار بوصفها واحدة من أهم الأصوات النسائية التي أعادت كتابة التجربة الاستعمارية من زاوية مختلفة، حيث جعلت من الجسد الأنثوي، والذاكرة الفردية، وصوت المرأة الجزائرية أدوات لقراءة تاريخ العنف والهيمنة الثقافية. ويُعد عملها *أطفال العالم الجديد* من النصوص التي تُجسّد هذا التوجه، إذ يقدّم رؤية روائية للعلاقة بين الفرد والتاريخ في زمن الثورة التحريرية، من خلال شخصيات تعيش التمزق بين الانتماء الوطني والتجربة الاستعمارية، وبين الرغبة في الفعل السياسي وإكراهات الواقع الاجتماعي. وهكذا يمكن اعتبار هذا العمل امتدادًا لاهتمام الأدب الجزائري الفرنكفوني بموضوع الهوية الممزقة، لكنه يضيف بعدًا جديدًا يتمثل في إعادة الاعتبار لصوت المرأة داخل السرد التاريخي، وتحويلها من هامش صامت إلى فاعل في صناعة الذاكرة.

ويظهر أمامنا هذا المقطع المأخوذ من رواية أطفال العالم الجديدي:

"Quinze jours maintenant qu'est morte Aicha...son unique parente en dehors de son frère, et de Youssef. Parce qu'elle n'a pas d'enfant, sans doute, quand ne l'enserre pas suffisamment le réseau familial, elle se sent fragile. Elle songe, et son regard suit dehors les premiers avions qui apparaissent, au vide qu'a laissé dans ces lieux la mort. Lla Aicha, si vieille... Amna et les femmes de la maison voisine l'avaient secouée, elle qui ne bougeait plus depuis des années. Son corps, déjà raide devant Chérifa stupéfaite. Malgré l'agitation des jours qui avaient suivi: un atten-tat en plein centre, deux rafles, une vaste opération de contrôle, le lendemain, dans les quartiers arabes, il avait fallu observer tant bien que mal les rites funé-raires: les plats de couscous à offrir aux pauvres, mais les mendiants ne se présentaient plus au seuil des demeures, tous ces jours; Youssef avait dû se charger de deux gros paniers de victuailles et traverser la ville pour les apporter à une veuve qu'ils connaissaient, du côté du fleuve"[1] (**Assia DJEBBAR, Les Enfants du Nouveau Monde, P21**)

مرّ الآن خمسة عشر يوماً على وفاة عائشة، .... قريبتها الوحيدة غير أخيها ويوسف. ولأنها، على الأرجح، لا تملك أطفالاً، وعندما لا يطوّقها النسيج العائلي بما يكفي، تشعر بالهشاشة والضعف. تسرح في أفكارها، ويتبع نظرها في الخارج أوّل الطائرات التي تظهر، إلى الفراغ الذي تركه الموت في هذه الأمكنة. لالة عائشة، كم كانت عجوزاً... آمنة ونساء البيت المجاور كنّ قد هززنها، هي التي لم

[1] Assia DJEBBAR, Les Enfants du Nouveau Monde, Julliard, 1962, P 21

تعد تتحرك منذ سنوات. كان جسدها قد تيبّس بالفعل أمام شريفة المذهولة. ورغم اضطراب الأيام التي تلت: هجوم في قلب المدينة، ومداهمتان، وعملية مراقبة واسعة في اليوم الموالي داخل الأحياء العربية، كان لا بد من احترام طقوس الجنازة، على نحوٍ متعثر: أطباق الكسكس التي تُقدَّم للفقراء، لكن المتسولين لم يعودوا يظهرون على عتبات البيوت في كل تلك الأيام؛ وكان يوسف قد تولّى حمل سلّتين كبيرتين من المؤن، وعبر المدينة ليقدّمهما إلى أرملة كانوا يعرفونها، في جهة النهر. (الترجمة لنا)

يقدّم هذا المقطع مشهداً إنسانياً مكثفاً يربط بين الموت الفردي وضغط التاريخ الجماعي في سياق الجزائر زمن الاضطرابات الاستعمارية. يبدأ النص بإعلان وفاة "عائشة"، ثم يفتح مباشرة على إحساس بالفراغ والهشاشة الذي تعيشه البطلة، خصوصاً في غياب الامتداد العائلي والأطفال، مما يجعلها أكثر عرضة للشعور بالوحدة واللااستقرار. هذا البعد الوجودي يتعمق من خلال صور الطائرات التي تمر في السماء، وكأنها تذكير دائم بالحرب والعنف الذي يطبع المكان. وفي المقابل، يتداخل الحزن الشخصي مع واقع سياسي مضطرب يتمثل في الهجمات والمداهمات العسكرية، مما يخلق مفارقة بين طقس الحداد العائلي والاضطراب العام الذي لا يسمح حتى بالحزن الهادئ. كما يبرز النص الطقوس الاجتماعية المرتبطة بالجنازات مثل إعداد الكسكس وتقديمه للفقراء، لكنه يشير في الوقت نفسه إلى اختفاء المتسولين، في دلالة رمزية على تفكك البنية الاجتماعية تحت ضغط العنف. وبهذا، تعكس الكاتبة أسلوبها المميز في ربط الخاص بالعام، حيث يتحول الموت الفردي إلى مرآة لواقع تاريخي مضطرب، وتصبح الحياة اليومية مشبعة بآثار الاستعمار والعنف السياسي، في سرد يدمج بين الحس الإنساني العميق والتوثيق التاريخي غير المباشر.

"Dans ces fêtes d'autrefois, même les jeunes filles. celles qui commençaient à s'émanciper, à acheter des magazines, à lire des romans qu'elles cachaient sous l'oreiller, et les plus jeunes à pouvoir espérer ne jamais mettre le voile ni être cloîtrées à la maison, mais au contraire à continuer à aller au collège puis, un jour, qui sait, à oser travailler (déjà deux ou trois dans la ville s'étaient ainsi affranchies), toutes ces adolescentes donc, quelque peu vaniteuses et bruyantes, tant la chance d'arriver à un moment où les mœurs se déchi-raient leur paraissait leur propre victoire, oui, même elles, saluaient en Chérifa sa noblesse, son charme fait de réserve lointaine (elle ne pouvait sourire de poli-tesse, elle se taisait, elle étouffait dans ces patios écrasés par l'odeur des jasmins persistants du soir et les parfums mêlés des bourgeoises de la ville qui se retrou-vaient là pour parader et manger, du bout des lèvres, gâteaux au miel et sucreries)." (**Assia DJEBBAR, Les Enfants du Nouveau Monde, P24**)

في تلك الاحتفالات القديمة، حتى الفتيات الصغيرات، اللواتي كنّ يبدأن في التحرر، يقتنين المجلات، ويقرأن روايات يخفينها تحت الوسادة، وحتى الأصغر سنّاً اللواتي كنّ يأملن ألا يضعن الحجاب أبداً وألا يُحبسن داخل البيت، بل على العكس أن يواصلن الذهاب إلى المدرسة ثم، يوماً ما، ومن يدري، أن يجرؤن على العمل (وكان قد وُجد بالفعل في المدينة اثنتان أو ثلاث قد تحرّرن بهذه الطريقة)، كل هؤلاء المراهقات إذن، رغم شيء من الغرور والضجيج، إذ إن فرصة الوصول إلى لحظة تتصدّع فيها العادات كانت تبدو لهن كأنها انتصارهن الخاص، نعم، حتى هنّ كنّ يحيين شريفة بنوع من الاحترام، لنُبلها وسحرها القائم على تحفظ بعيد؛ فهي لا تستطيع أن تبتسم مجاملة، كانت تصمت، تختنق داخل تلك الأفنية المزدحمة برائحة الياسمين التي لا تفارق أمسيات الصيف، وبالعطور المختلطة لنساء الطبقة البرجوازية في المدينة اللواتي كنّ يجتمعن هناك للتباهي وتناول، على استحياء، كعكات بالعسل وحلويات. (الترجمة لنا)

يبرز هذا المقطع من التوتر بين **التقاليد والتحرر النسائي** في المجتمع الجزائري. فهو يصوّر فتيات في مرحلة انتقالية بين عالمين: عالم محافظ يفرض الحجاب والانغلاق، وعالم جديد يبدأ فيه التعليم والقراءة والعمل كأفق ممكن. لكن هذا "التحرر" يظلّ هشاً ومتناقضاً، إذ تختلط فيه الرغبة في التغيير بشيء من الغرور الاجتماعي. وفي المقابل، تُقدَّم شخصية شريفة كرمز لهيبة صامتة وأنوثة منضبطة، تتمايز عن الضجيج الاجتماعي المحيط بها، مما يعكس أسلوب جبّار في إبراز **الاختلافات الدقيقة داخل التجربة النسوية نفسها**، وليس فقط بين الرجل والمرأة.

خلاصة:

ومن خلال هذه النماذج، يتضح أن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية لا يمكن اختزاله في كونه مجرد امتداد للأدب الفرنسي أو تابعاً له، بل هو فضاء إبداعي مستقل تشكّل داخل سياق تاريخي وثقافي خاص، هو سياق الاستعمار وما بعده، حيث وجد الكتّاب أنفسهم أمام لغة مفروضة من جهة، وتجربة وجودية واجتماعية عميقة من جهة أخرى. وقد أدى هذا الوضع إلى نشوء كتابة هجينة في ظاهرها، لكنها متجذرة في قضايا محلية جوهرية، إذ أعاد الكتّاب توظيف اللغة الفرنسية لتفكيك خطاب الهيمنة الاستعمارية، والتعبير عن الذاكرة الجماعية، وصراع الهوية، والتمزق اللغوي والثقافي. وهكذا تحولت هذه اللغة من أداة سيطرة إلى وسيلة للمساءلة والمقاومة وإعادة بناء الذات، كما يتجلى في أعمال كتاب مثل

مالك حداد وآسيا جبار وغيرهم، الذين جعلوا من الكتابة فعلاً نقدياً يعيد التفكير في التاريخ والهوية واللغة معاً.

ومن هذا المنظور، فإن دراسة الأدب الجزائري الفرنكفوني تكشف عن دينامية ثقافية معقّدة تتجاوز الثنائيات التقليدية مثل المحلي/الأجنبي أو الأصلي/الدخيل، لتؤسس لفهم أكثر تركيباً للكتابة الأدبية باعتبارها مجالاً للتفاعل والتداخل وإعادة الإنتاج الرمزي. كما تبرز هذه الدينامية قدرة هذا الأدب على تحويل التعدد اللغوي والثقافي من مصدر توتر إلى مصدر إبداع، حيث يصبح الاختلاف نفسه مادة للكتابة وشرطاً من شروطها. وبذلك، يمكن القول إن هذا الأدب لا يعكس فقط واقعاً تاريخياً معيناً، بل يساهم أيضاً في إعادة تشكيله من خلال الوعي النقدي باللغة والهوية والذاكرة، مما يجعله جزءاً من مشروع أدبي وفكري مفتوح على الأسئلة أكثر مما هو مغلق على الأجوبة، وقادراً على التعبير عن تعقيد التجربة الجزائرية في أبعادها الإنسانية والتاريخية والثقافية.

المحاضرة (14): تلخيص روايات (الدار الكبيرة، ابن الفقير، نجمة، أطفال العالم الجديد.....)

تمهيد:

يمثل الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية مجالاً إبداعياً غنياً نشأ في ظل ظروف تاريخية استثنائية، حيث وجد الكتّاب الجزائريون أنفسهم أمام لغة استعمارية من جهة، وتجربة وطنية مشحونة بالتحولات من جهة أخرى. وقد أفرز هذا الوضع نصوصاً روائية عميقة تناولت قضايا الهوية، والذاكرة، والصراع الثقافي، وتجربة الاستعمار وما بعده، كما تجلى ذلك في أعمال كتاب بارزين مثل محمد ديب، ومولود فرعون، وكاتب ياسين، وآسيا جبار وغيرهم. ومن هنا تبرز أهمية مقاربة هذه الروايات ليس فقط من زاوية القراءة والتحليل، بل أيضاً من خلال التلخيص بوصفه خطوة منهجية تساعد على استيعاب مضامينها الأساسية، وتحديد شخصياتها وأحداثها ومحاورها الكبرى. فتلخيص الروايات لا يعني اختزالها، بل هو وسيلة لفهم بنيتها السردية وتبسيط رؤاها الفكرية، مما يمهّد لقراءة أعمق وأكثر تنظيماً لهذا النوع من الأدب الذي يجمع بين البعد الفني والبعد التاريخي والإنساني.

وعليه سنقوم فيما يلي بتلخيص عدد من الروايات للكتاب السابقين في شاكلة دراسة وصفية للكتاب مع ملخص مختصر للعمل لتثبيت الصورة الأدبية لدى طالب الأدب الجزائري.

رواية الدار الكبيرة لمحمد ديب

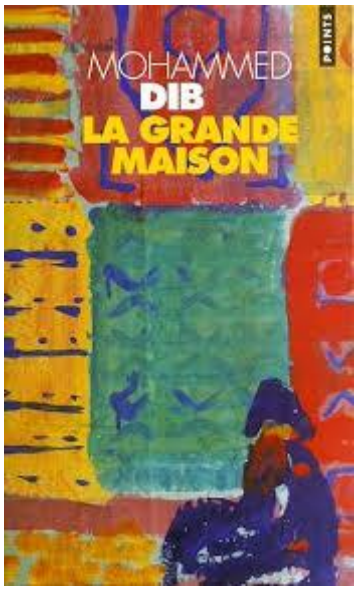

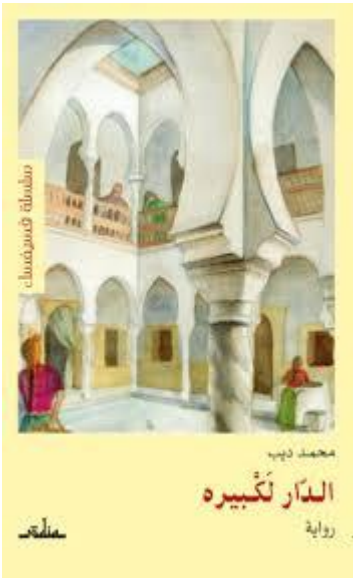

تدور حوادث رواية (الدار الكبيرة) في مدينة تلمسان الجزائرية أواخر عقد الثلاثينات من القرن العشرين، وهي الجزء الأول من ثلاثية روائية أبدعها الروائي الجزائري الرائد محمود ديب المولود في المدينة عينها سنة 1922، والمتوفى في فرنسا عام 2003، تدور احداث الرواية في (الدار الكبيرة)؛ (دار سبيطار)، حيث تعيش عدد من الأسر الفقيرة في هذه الدار الواسعة، إذ حشرت كل أسرة نفسها في إحدى غرف هذه الدار، التي تشيع في أوساطها النميمة والفضول، وتسقّط أخبار الناس، هذه الهواجس تدفع الأسر إلى الاستعانة بالكتمان والتكتم على قضاء حوائجها، خشية الفضول، وخشية العين الحاسدة، إذ وَقَرَ في نفوسهم تفشي ظاهرة الحسد، ويكاد (عمر) يمثل الشخصية المركزية في رواية دار سبيطار؛ ابن ذلك العامل الذي توفي بمرض السل، وترك لزوجته (عيني) ولدين وبنتين هما (عيوشة) و(مريم)، في حين ظل عمر وحده بعد وفاة أخيه صغيراً، حيث تفتك الأمراض والفقر والجوع بحيوات هذه الأسر الفقيرة، التي أضحى أعلى مطامحها الحصول على الخبز؛ الخبز وحده، وعلى الرغم من الأعمال العديدة التي مارستها (عيني) فإنها ما استطاعت أن توفر لأسرتها غير الخبز، وكثيرا ما كانت الفتاتان ترنوان نحو قطعة لحم أو بيضة، لكن يخيب الظن إزاء الدخل المتواضع الذي تحصل عليه أمُهما من عملها بالخياطة؛ إنها تعمل

ساعات مديدة نهاراً وحتى في الليل، مما يثير حنق الجيران بسبب الضوضاء التي تحدثها ماكنة الخياطة وتؤثر على رقادهم.

يكاد عمر، على الرغم من صغر سنه، يمثل الشخصية المركزية الأهم في رواية دار سبيطار، وقد امتاز بصفات أهّلته لأن يأتي بما لم يستطعه الكبار، وكثيرا ما أسندت إليه أمه (عيني) مهمات صعبة ليس بِمكنة الصغار القيام بها، لكن عمر كان لها، كما كان يتحلى بصفات طيبة، فهو وقف دائما إلى جانب جدته، التي تحشرها أمه؛ ابنتها ، في المطبخ، بعد أن تخلص منها ابنها البكر خضوعا لرغبة زوجته، وتحللت البنتان الأخريان من تبعات القيام بواجب البنوة إزاء أمهما، التي عصف بها الكبر والمرض؛ تحللت اختا (عيني) من واجب الإقامة الدورية لأمهما عند كل واحد من أبنائها الأربعة؛ الأخ والأخوات الثلاث، تحللتا من هذا الواجب، من خلال نفحهما شقيقتهما (عيني) شيئاً من مال لقاء أن تقيم أمهم عندها دائماً، مستغلين ثلاثتهم وضعها المالي الصعب، ولا سيما بعد وفاة زوجها المعيل.

كان عمر يعطف على جدته ويساعدها على القيام بأمورها الخاصة، وكثيرا ما عاتب أمه التي كانت تُسمِع أمها المسكينة، بذيء القول وقارصه.

تصور هذه الرواية، تعسف سلطات الاحتلال الفرنسي تجاه الجزائريين، وتركهم يحيون من غير عناية طبية، ولا تعليم وإن علموهم، فيعلمونهم بالفرنسية في محاولة لوأد اللغة القومية، فتفشت الأمراض بينهم، فضلاً عن الأمراض الاجتماعية مثل؛ التواكل والتخاذل والتكاسل، والرضا بالحال كما هو على الرغم من قسوته، حتى أن من يعمل على انتشالهم من هذه الأوضاع المزرية، يُرْمى بشتى الصفات السلبية، فهو الكسول الذي لا يجيد سوى إطلاق الكلام، تاركاً العمل وجلب الرزق لأهله.

كما تصور الرواية تعسف قوات الشرطة الفرنسية، وفظاظتها في تفتيش غرف هذه الدار بحثا عن المثقف السياسي (حميد سراج) فتبعثر كتبه وأوراقه وكل ما هو خاص به.

سامي الدروبي مترجماً :

لقد تولى ترجمة هذه الرواية عن الفرنسية

-لان محمد ديب لم يعرف العربية، بسبب قرارات سلطة الاحتلال، فنشأ معقود اللسان والقلم والبيان، وتولى ترجمتها المترجم السوري الضليع سامي الدروبي، في ثلاثة أجزاء حملت عناوين (الدار الكبيرة) و(الحريق) و(النول) وامتدت هذه الأجزاء الثلاثة إلى (501)

صفحة، وبيدي طبعة (روايات الهلال) المصرية الصادرة سنة 1970، كما ترجمها أيضا المترجم السوري الراحل صالح علماني 2020 .
وتألق سامي الدروبي مترجماً، بمشروعه الترجمي الرائع بنقل روايات ثيودور ديستو يفسكي إلى العربية، حتى إذا فرغ من ذلك ثنّاه بترجمة روايات ليو تولستوي، لكن طائر الموت لم يمهله فتوفي في 1976.
وإذا كان (عمر) شخصية الجزء الأول المحورية من الثلاثية الروائية هذه، التي أبدعها الروائي الجزائري محمد ديب، فإن (حميد سراج) هو محور الجزء الثاني منها، والذي سماه محمد ديب (الحريق) إشارة إلى الحريق الذي أتى على أكواخ الفلاحين، الذين تحركوا للمطالبة بحقوقهم، لا بل أبسط هذه الحقوق؛ وهو عيش الكفاف المتمثل بالحصول على الخبز؛ الخبز فقط! الحريق المعروف من كان يقف وراءه، إنهم أذيال المستوطنين الفرنسيين الذين يسرقون جهد الفلاح الجزائري، عن طريق إعطائه أبخس الأجور.
حميد سراج الذي نال تعليما جيدا، ونال ثقة الفلاحين، وكان شخصا مؤثرا فيهم، أدى إلى إعلان الإضراب؛ إضراب الفلاحين، والعمال الزراعيين، فشنت سلطة الاحتلال حملات اعتقال واسعة، وكان في المقدمة منهم (حميد سراج) ويتألق محمد ديب، و في نقل خلجات وتشوفات حميد سراج في سجنه الانفرادي بعد تعذيب شديد.

إن (الدار الكبيرة) التي أبدعها محمد ديب، تأرخة للحياة الجزائرية على مدى نحو ست سنوات، هي أيام الحرب العالمية الثانية، وما تركته من آثار مدمرة على الحياة الجزائرية، إذ يبدأ الجزء الأول بإشارات إلى الفوهرر هتلر زعيم الرايخ الثالث، وعزمه شن حرب، وتنتهي بوصول طلائع الجيش الأمريكي إلى الجزائر، مما يعني سقوط حكومة فيشي الموالية لهتلر ونهاية الحرب، لذا أدار محمد ديب حواراً مكثفاً وطويلاً على لسان شخوص الرواية، ولاسيما حميد سراج، وعكاشة، وحمدوش، وزبيش، والفلاح بادعدوش، الذي عمل في مزارع المستوطنين الفرنسيين، حتى إذا أسن وما عاد قادرا على العمل، استغنوا عنه، وأخرجوه من الكوخ الذي كان يؤيه وأسرته.
إن (الدار الكبيرة) التي نشرت أول مرة سنة 1952، كانت إرهاصاً بالثورة الجزائرية، كانت بشرى بانطلاق هذه الثورة خريف سنة 1954.

رواية ابن الفقير لمولود فرعون

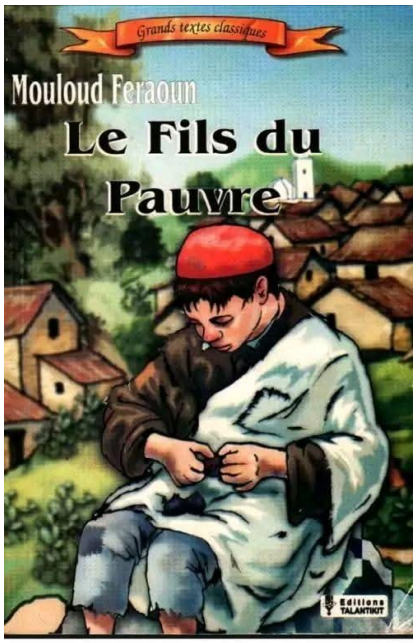

Mouloud FERAOUN

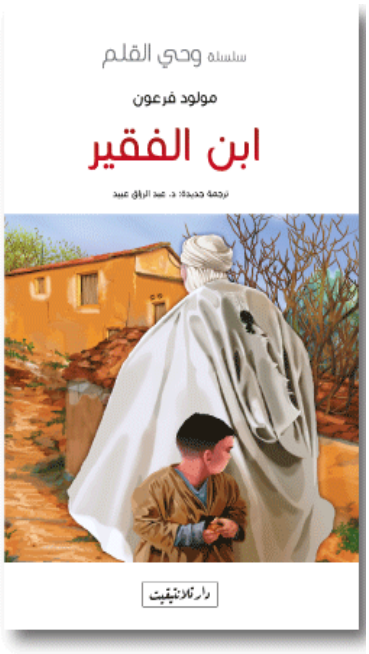

إن رواية ابن الفقير هي إحدى أهم الروايات الجزائريّة المهمّة التي تنتمي إلى الأدب الكلاسيكي، والتي ألّفها الكاتب مولود فرعون، وهو أديب جزائري أمازيغي يكتب باللغة الفرنسية، يتناول الكاتب في هذه الرواية حياة القبائل الجزائرية الفقيرة، ويذكر من خلالها ما عانته هذه القبائل من هموم ومُشكلات أثناء الاحتلال الفرنسي كذلك يضع الكاتب بين طيّات هذه الرواية جانبًا من جوانب السيرة الذّاتية، فيضع محطّات مُتنوّعة من حياته يُصوّر من خلالها ما عاناه من الفقر حتّى يصل أخيرًا إلى المدينة، ويُحسّن من مُستواه الاجتماعي نحو الأفضل، لكنّه مع ذلك، ومع بلوغه ما يُريد، إلّا أنّه لم ينسَ الفئة التي أتى منها، فبقي يتغنّى بآلامها ويذكرها أملًا بالتغيير. بهذا كانت رواية الابن الفقير نموذجًا حقيقيًّا حاضرًا يصوّر حياته، كما يُصوّر العادات والتقاليد التي كانت سائدة في الجزائر آنذاك، فكسبت الرواية بذلك إلى جانب الأهميّة الروائية القصصية أهميّة تاريخية.

الشخصيات الرئيسية

- **فورلو:** بطل الرواية الفقير جدًّا وحلقة الوصل التي تجمع كل الشخصيات والأحداث، وهو شخصية محبوبة.
- **رمضان:** والد فورلو، وهو فلاح خشن من رموز الكفاح في سبيل حياة كريمة لأسرته.
- **فاطمة:** أم فورلو، تُعين زوجها على عمله وتعتني بالأولاد.

- **لونيس:** عم فورلو، شخص طيب ومحبّ ويعتني بفورلو ويُعينه في مواجهة قسوة الحياة.

الشخصيات الثانوية

- **حليمة:** زوجة لونيس، أنانية وسارقة، وهي على عداوة مع فاطمة، وتكره فورلو لأنها لم تنجب ولدًا.
- **الجدة تسعديت:** المرأة الحكيمة والرزينة، التي تهتم بالمنزل والعائلة، والجميع يحبها ويستشيروها.
- **خالة فورلو:** تعيش معاناة عصبية قوية، وتُصاب بالجنون بسبب موت أختها.
- **نانا:** خالة فورلو الصغيرة، هادئة ومحبوبة، لكنها تُعاني من مرض أثناء حملها وتتوفّى بسببه.

تنقسم رواية ابن الفقير إلى فصلين رئيسين هما "العائلة" و"الابن البكر"، يتناول الكاتب في هذا الفصل من روايته جوانب مُتنوّعة أراد أن يعرضها، فيعرض عليها من خلال قصّة ذلك الطفل الفقير وعائلته، فيذكر الكاتب في البداية فقر هذه العائلة، ويُناقش من خلال هذا الفقر الذي تعيشه تلك العائلة إذا ما كان يُمكن للفقير أن يحلم بالأفضل! أن يحلم باكتساب العلم والمعرفة! أم أنّ المعرفة هي حكرٌ للأغنياء فقط دون الفقراء! وهكذا تدور الأحداث مُجيبةً عن كلّ تلك التساؤلات يُسلّط الكاتب الضّوء من خلال قصّة يعرضها خرجت هذه القصة من تلك المدينة الفقيرة، حيث كان في تلك المدينة عائلات كانت غنية وفقدت مالها في لمح البصر، وعائلات كانت فقيرة فأصبحت غنيّةً بغتةً! ومن خلال ذلك يتوصّل الكاتب إلى حكمة. ألا وهي أنّ المال ليس أمرًا ثابتًا، والفقر والغنى كذلك أيضًا، وما يتبقّى للإنسان هو العلم فقط، فالعلم يبقى ولا شيء غيره يبقى، وتتوضّح أهميّة العلم بشكل جلي من خلال سعي العائلة المُستمر إلى أن يحصّل ولدها العلم ويتقنه. الابن البكر يذكر الكاتب في هذا الفصل الفقراء وما عانوه في سبيل تحسين أوضاعهم، وتأمين أسباب المعيشة الرئيسة التي يعيشون بها ولها، فهم مُضطرون إلى السفر وقطع مسافات كبيرة للوصول إلى أسباب المعيشة الرئيسة وهي الطعام والمسكن والمشرب والمال، فما أصعب ذلك السّبيل الذي سيوصلهم إلى مُتطلّبات حياتهم الأساسيّة! يذكر الكاتب أيضًا في تلك الرواية جانبًا مُهمًّا، وهو المنحة الدّراسية التي يأمل ذلك الابن الفقير بالحصول عليها، فيظهر الكاتب فقدان الأمل الذي يخيّم على العائلة في مجيء القبول على هذه المنحة، فيخيّل لهم أنّ الفقير لا حقّ له بشيء، ولا يُمكن أن يتحقّق لأجله أي شيء، تُرى، هل ستأتي تلك المنحة الدّراسيّة وتُغيّر حياة ذلك الابن الفقير وتسمو به نحو الأفضل؟!

رواية نجمة لكاتب ياسين

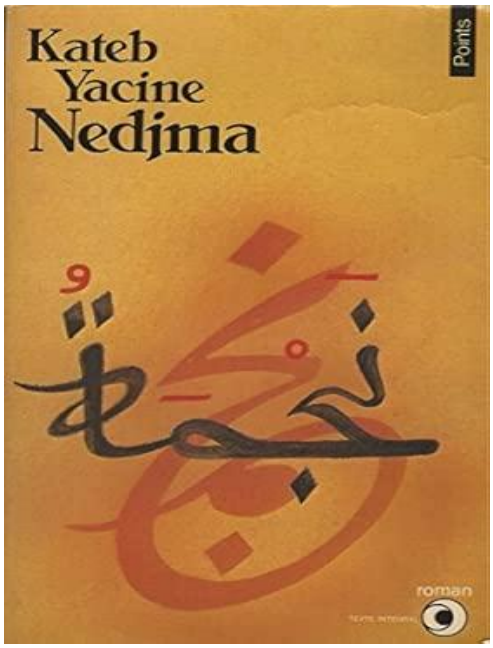

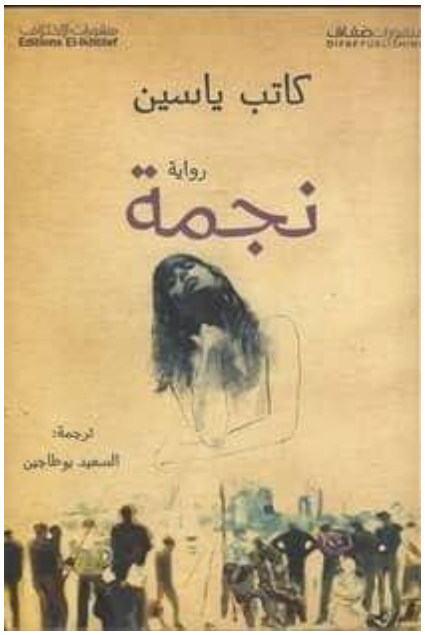

يستهل ياسين أحداث روايته بهرب بطله لَخضر من السجن، وعدم اكتراثه بما قد يتعرض له من ملاحقة ومحاسبة ومحاكمة، لأنه يكون مسكوناً بهاجس أكبر وأهم يتلبسه ويتحكم به ويقوده إلى غده، نابشا طيات ماضيه، باحثا عن تلك التي سلبت الألباب والقلوب، عن "نجمة" التي تكون المراد والمشتهى، المرأة التي تأسر عشاقها، ولا تسلّم نفسها لأحد.

بضعة شباب (مراد، لخضر، رشيد، مصطفى) تجمعهم روابط الدم، تتقاطع دروب حياتهم وهم يدورون في دائرة الهوية والجذور والأحلام معا، مع أن كل واحد منهم يحاول أن يختط لنفسه سبيله الخاص وسط ألغام الماضي والواقع والمستقبل. يجدون بعض العزاء والمواساة في الهروب إلى عالم الكحول والحشيش، لكنهم يظلون متشبثين بحلمهم الذي يقض مضاجعهم ويدفعهم إلى أقصى درجات التمرد والثورة.

نجمة تكون ابنة امرأة فرنسية يهودية يتم اغتصابها من قبل أحدهم، ويظل الشك يحوم حول شخصيته التي تظل مجهولة، ويحار أبطال الرواية من منهم يكون أخاها، وتراهم يغرمون بها كنموذج للمرأة المشتهاة، لكنها تظل عصية على التقييد، ويأتي اختطافها من قبل زنجي يدخلها في نساء قبيلة "كبلوت" كتحصين من جهة وإبعاد من جهة ثانية، مع ما يوحي به من فشل في إقامة علاقة سليمة بعيدا عن سفاح القربى وما قد يخلفه من تشوهات نفسية وجسدية.

شخصيات الرواية تعكس وجوه البلاد، سواء من جهة الشباب الثائر، أو المحطّم، أو المتوجه إلى هاوية اليأس، وكل شخصية بدورها تكون مرآة للأخرى، تراها تتكامل لترسم خريطة بلاد يتناهبها الاستعمار، ويحرص على إدامة تأليب أهلها ضد بعضهم بعضا، مستخدما أدواته للهدم والتدمير وخلق نماذج بحسب رغبته ومشيئته وتخطيطه.

الجزائر بجميع مكوناتها، بعطائها وجمالها وتنوعها، تكون النجمة التي يهيم بها عشاقها، ولا يقدرونها حق قدرها، لذلك يتخبطون في قواقع مقيدة، فتبتعد النجمة، وقد تنتقل من حضن إلى حضن، سواء من محتلّ إلى مستعمر، أو من مستعمر إلى مستبد. هكذا يكون تحذير ياسين بمثابة صرخة روائية مدوية في فضاء الواقع والتاريخ والمستقبل.

ستحوذ البحث عن الهوية الوطنية على اهتمام ياسين الذي كتب بالفرنسية التي عدّها "غنيمة حرب"، وتفوق بها محققا إنجازات لافتة في عالم الأدب، وأوصل رسائله إلى الآخرين.

لا يمكن لأي دارس إغفال السياق التاريخي الذي كتب فيه ياسين "نجمته"، ولاسيما حال الثورة الجزائرية المستمرة حينذاك، والتضحيات الكثيرة التي كانت تقدمها، وواقع التشرد والهجرة لديه، واشتغاله لسنوات عليها، مع ما يرافقه من تغيرات عالمية كبيرة كان لها تأثير واسع على بلاده. ومن هنا تنفتح الرواية على أبعاد تأريخية، لكن بطريقة لماحة، بعيدة عن المباشرة والتسجيل. لا ينقل ياسين القتل الذي كان المستعمر يمارسه بشكل مباشر، بل صوّر تداعياته ومخلّفاته، وبخاصة التشويه الذي طال البشر والمدن، وهدد بتفتيت التركيبة الاجتماعية، بحيث أن آثار المستعمر الإجرامية تجلت في كثير من التفاصيل الحياتية، وكأن حالة السفاح تعممت لتنخر بنية المجتمع وتنسفها. وتكون الرواية بالنسبة إليه وسيلة مقاومة ومجابهة وصمود وتحدّ، ولاسيّما من خلال الإخلاص للقيم الوطنية، والتشبث بالحلم ببلاد تليق بتضحيات أبنائها.

في الإطار الفني، يقسّم ياسين روايته إلى عدّة أقسام، وكلّ قسم إلى عدّة فصول متفاوتة الطول. يبدو بعضها مكتوباً بطريقة ممسرحة، حيث الجمل القصيرة المعبرة، والتتابع والتعاقب، وسرعة الانتقال والتبدل، في حين يحضر في بعضها الآخر اشتغال على السرد وتهجينه بالشعر، وبث المناجيَات ذات الدلالات الواقعية والإشارات المنطلقة في أكثر من اتجاه.

رواية أطفال العالم الجديد لآسيا جبار

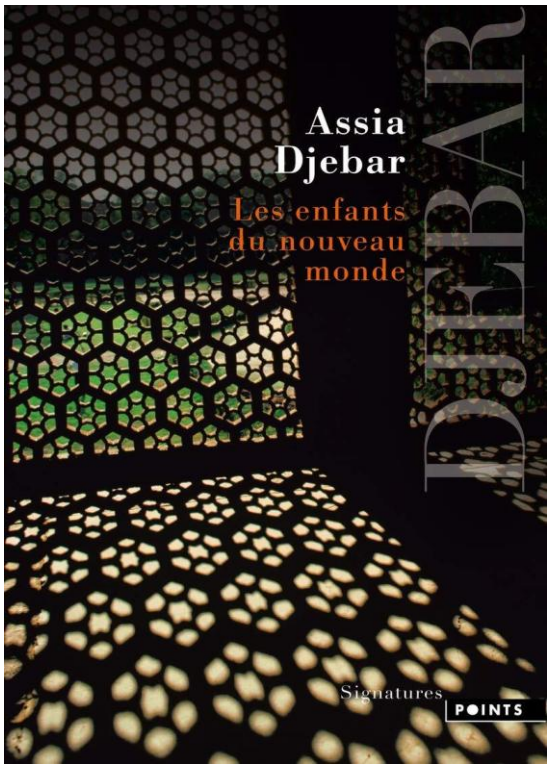

تدور أحداث «أبناء العالم الجديد» خلال السنوات الأولى للثورة الجزائرية في مدينة لم تعطها الكاتبة اسماً، لكنها حددتها في شكل يدفع إلى الافتراض أنها مديا، وتقع غير بعيد من الجزائر العاصمة. هناك، في هذه المدينة الصغيرة، يعيش الناس الحرب يوماً بيوم، والخطر ماثل في كل لحظة، والجبال تُقصف في كل حين، والبيوت تُحرق. السكان هناك ينتمون إلى جماعة بني مهيوب، وهم يعيشون مصيراً يشبه مصير كل السكان المحليين الآخرين: الرجال في الجبال حيث يقاومون وينظمون صفوفهم لمحاربة المحتل، والنساء والشيوخ والأطفال يسعون في كل لحظة إلى الهرب من مكان إلى مكان، تجنباً للموت في بيوتهم الفلاحية المدمرة. فإذا كان الرجال لجأوا إلى الجبال ليقارعوا المحتل انطلاقاً منها، فإن هذا المحتل يجعل الضعفاء يدفعون الثمن، وهو يرد يومياً على العمليات الفدائية قصفاً وإحراقاً.

ومن بين قادة العدو، هناك طبعاً طيبو القلب، من أمثال المفوض جان، الضابط الكهل الذي يعلن من دون مواربة أنه لا يستسيغ التعذيب الذي يمارَس على السكان المحليين، فكيف يكون الحل؟ بسيطاً... يعهد بالتعذيب إلى الضابط مارتينيز، وهو من فرنسيي

المنطقة، وهذا إذ لا يرى سوءاً في ممارسة التعذيب، يتولى المهمة بنشاط، ما يجعل جان يزيد من الاعتماد عليه وقد أراح ضميره، لأنه لا يمارس التعذيب الذي كان في باريس بنفسه.(!)

غير أن المسألة، تقول لنا آسيا جبار، ليست بسيطة تماماً، فليست المسألة فرنسيون من ناحية وجزائريون من ناحية أخرى، والبرهان: الشرطي العربي حكيم، يكرهه أهل الحي لأنه يتعاون مع الأجانب، وفي المقابل هناك جاره يوسف، المقاوم الذي صار الناطق باسم الحي كله، وهناك الواشي توما، الذي إذ يُكشف أمره سيكون أخوه من ينفذ فيه حكم الإعدام. هذا من ناحية الرجال، أما في صف النساء، فهناك شريفة، المرأة الجميلة زوجة يوسف، المغرمة بزوجها، والتي لا تخفي حبها رغم التقاليد، بل هي تخرق التقاليد وتخرج إلى الشارع وحيدة، حين يتوجب عليها أن تهرع لإخبار زوجها أن الشرطة تبحث عنه. لكن شريفة تدفع ثمن هذا الخرق، وكذلك حال سليمة، المدرّسة التي تجابه تحقيقات المفوض جان وعقده التي لا تنتهي. وهناك أيضاً شخصيات أخرى، لا سيما بشير، الذي يريد أن يتخلى عن دراسته كي ينضم إلى المقاتلين، وللتدليل على جديته وقدرته يحرق مزرعة لواحد من المستوطنين، فيدفع هو والحي كله الثمن، لا سيما أخته ليلى، الوحيدة الضائعة بعدما هجرها زوجها للقتال في الجبال.

إن كل هذه الشخصيات بما لها وما عليها، تتجول أمامنا في هذه الرواية لترسم آسيا جبار من خلالها صورة ليس لبطولة الثورة، فهذا أمر كان مفروغاً منه في ذلك الحين، بل للمصائر المتناقضة على أكثر من صعيد. إننا هنا إزاء ما يشبه جردة الحساب مرسومة عبر المشاعر والمثل العليا، التي تتقاطع وتتصادم في اللحظة المفصلية: اللحظة التي يدرك فيها كل شخص من شخوص هذه الرواية، سواء كانوا من الفرنسيين أو الجزائريين، من المناضلين أو المتعاونين، من الرجال أو النساء، أنهم إنما يعيشون جميعاً إرهاصات هذا العالم الجديد الذي ينبني من حولهم وبأيديهم، ليجعل منهم أبناءه الحقيقيين. والحال أن هذا هو الموضوع نفسه تقريباً الذي ستلح عليه آسيا جبار في معظم أعمالها الكبيرة التالية، من «القبرات الساذجات» حتى «نساء الجزائر في شققهن»، ومن «الحب الفانتازيا» الى «واسع هو السجن»، مروراً بـ «الظل سلطانة» و «بعيداً من المدينة.»

أعمال تطبيقية وموجهة للطلبة

تتنوع طبيعة التطبيقات والأعمال الموجهة التي تدعم الجانب النظري لدى طلبة السنة الثانية ماستر أدب جزائري، حيث ترتبط بالمحاور الأساسية المدروسة في المحاضرات المقررة، وفيما يأتي مجموعة من التطبيقات المقترحة في هذا الصدد.

1/ دراسة وتحليل وتلخيص نص يتحدث عن التعدد اللغوي في الجزائر، حيث يطلع الطالب على النص المقترح باللغة الفرنسية، ويعبر عن المحتوى باللغة العربية، كخطوة تجعل منه يتعامل مع لغتين:

Le paysage linguistique de l'Algérie, produit de son histoire et de sa géographie, est caractérisé par la coexistence de plusieurs variétés langagières – du substrat berbère aux différentes langues étrangères qui l'ont plus ou moins marquée en passant par la langue arabe, vecteur de l'islamisation et de l'arabisation de l'Afrique du Nord. Dynamique dans les pratiques et les conduites des locuteurs qui adaptent la diversité à leurs besoins expressifs, cette coexistence se révèle houleuse, fluctuante et parfois conflictuelle dans un champ symbolique et culturel traversé de rapports de domination et de stigmatisation linguistique, des rapports aggravés par les effets d'une politique unanimiste, volontariste et centralisatrice qui exacerbe les enjeux d'une problématique identitaire fortement malmenée par les vicissitudes de l'histoire.

La sphère arabophone

Elle est la plus étendue par le nombre de locuteurs mais aussi par l'espace qu'elle occupe. En Algérie, mais aussi dans le monde arabe, elle aurait tendance à se structurer dans un continuum de registres (variétés langagières) qui s'échelonnent du registre le plus normé au moins normé. En premier lieu vient l'arabe fusha (ou classique), puis l'arabe standard ou moderne, véritable langue d'intercommunication entre tous les pays arabophones, ensuite ce que nous appelons le « dialecte des cultivés » ou l'arabe parlé par les personnes scolarisées, enfin le registre dont l'acquisition et l'usage sont les plus spontanés, ce que l'on nomme communément les dialectes ou parlers qui se distribuent dans tous les pays en variantes locales et régionales Cette répartition permet de distinguer, en Algérie, les parlers ruraux des parlers citadins (en particulier ceux d'Alger, Constantine, Jijel, Nedroma et Tlemcen) et de voir se dessiner quatre grandes régions dialectales : l'Est autour de Constantine, l'Algérois et son arrière-pays, l'Oranie puis le Sud qui, de l'Atlas Saharien aux confins du Hoggar, connaît lui-même une grande diversité dialectale d'Est en Ouest.

Ces dialectes constituent la langue maternelle de la majorité des Algériens et sont le véhicule d'une culture populaire riche et variée ; par leur étonnante vitalité, les parlers algériens témoignent d'une formidable résistance face à la stigmatisation et au rejet que véhiculent à leur égard les normes culturelles dominantes

Nous initions actuellement avec nos étudiants de post-graduation des travaux visant à réaliser des monographies de ces parlers. Par ailleurs, on assiste à un renouveau des études en culture populaire qui tendent à sortir du ghetto de la folklorisation ; des laboratoires de recherche sont créés afin de réhabiliter le patrimoine culturel algérien dans toute sa diversité.

Dans le même temps, l'Algérie tente de promouvoir la langue arabe dans sa version standard (langue de l'école, des médias, de la production intellectuelle) en se dotant d'institutions telles que l'Académie algérienne de la langue arabe créée en 1986 et le Haut Conseil de la langue arabe (HCLA) installé en 1998. Il semble que le bilan de ces deux institutions ne soit pas des plus probants en matière de promotion de la langue arabe, d'autant plus que la question n'est pas particulière à notre pays mais concerne tous les pays arabes. En réalité, la recherche en langue arabe et/ou sur la langue arabe à l'échelle panarabe, sinon à l'échelle de chaque pays, reste à entreprendre ; elle est malheureusement tributaire des fluctuations politiques et de l'incapacité des arabes à transcender leurs désaccords et à penser leur union.

La sphère berbérophone

Elle est constituée par les dialectes berbères actuels, prolongement des plus anciennes variétés connues dans le Maghreb, ou plutôt dans l'aire berbérophone qui s'étend en Afrique de l'Égypte au Maroc et de l'Algérie au Niger. Ces parlers amazighs, comme on les dénomme maintenant, constituent le plus vieux substrat linguistique de cette région et sont, de ce fait, la langue maternelle d'une partie de la population. Nous ne sommes, malheureusement, pas en mesure d'avancer des chiffres précis sur le nombre de locuteurs berbérophones, tant ceux déjà publiés ont été contestés et surtout en raison de l'absence de statistiques récentes et fiables. Au-delà des chiffres, le plus important à nos yeux est d'intégrer ces parlers dans le paysage sociolinguistique algérien au même titre que les parlers arabes auxquels ils sont apparentés puisqu'ils appartiennent à la même famille chamito-sémitique.

Face à l'islamisation et à l'arabisation du Maghreb, ces parlers ont reculé et se sont réfugiés dans les contrées au relief et à l'accès difficile : Aurès, Djur-djura (Kabylie), Gouraya, Hoggar et Mzab ainsi que quelques îlots disséminés ici et là dans le pays. À cette extension géographique répond une diversité étonnante et parfois préjudiciable à l'intercompréhension. Les principaux parlers amazighs algériens sont le kabyle ou taqbaylit (Kabylie), le chaoui ou tachaouit (Aurès), le mzabi (Mzab) et le targui ou tamachek des Touaregs du grand Sud (Hoggar et Tassili).

Minoritaires par le nombre des locuteurs, confinés à un usage strictement oral (à l'exception de la survie partielle et très localisée d'une écriture tifinagh), ces dialectes, bien que vecteurs d'une tradition vivace et très ancienne, n'ont été soumis que tardivement à des tentatives de codification et d'uniformisation (avec peut-être à la clé, la création d'une variété normée, standardisée, le tamazight). Mais ils ont été, depuis toujours, victimes d'une domination et d'une marginalisation certaines que la scolarisation massive et les progrès de l'arabisation ont encore accentué ces dernières années.

Toutefois, depuis les années 1970, nous assistons à des tentatives de revalorisation de ces parlers et de la culture berbère associées à la revendication – tantôt larvée, tantôt violente – de la reconnaissance de la spécificité berbère. Depuis les événements du Printemps berbère de 1980, la création du Mouvement Culturel Berbère (MCB) et la répression féroce de toute expression de la diversité algérienne – et, en réalité de toute expression libre –, la revendication culturaliste s'est nourrie du déficit démocratique du pouvoir algérien et a maintenu la pression matérialisée au cours de l'année scolaire 1994-1995 par le boycott de l'école qui a trouvé son dénouement dans la décision prise en mai 1995 d'introduire le tamazight à l'école et dans la création du Haut Conseil à l'amazighité.

La sphère des langues étrangères

Après l'Antiquité où la présence du punique et du latin était attestée, le long séjour des Ottomans à partir du XVI^{e} siècle va, sans bouleverser le paysage linguistique désormais partagé entre régions berbérophones et régions arabophones, va sensiblement influer sur les variétés langagières urbaines (Alger, Béjaïa, Médéa, Constantine et Tlemcen) qui ont emprunté nombre de vocables turcs dans des domaines divers de la vie quotidienne (cuisine, habillement, noms de métiers, patronymes etc.).

Durant toute cette période et même avant l'arrivée des Ottomans, les Algériens ont aussi été en contact avec des langues européennes. Ce fut, notamment, le cas de l'espagnol dans l'Ouest du pays, en raison d'abord de la présence coloniale espagnole durant trois siècles dans la ville d'Oran. Puis, plus tard, de la présence sous l'occupation française d'une forte proportion de colons d'origine espagnole, réfugiés économiques profitant des opportunités offertes par le développement de la nouvelle colonie ou réfugiés républicains fuyant la répression franquiste. Ce fut le cas aussi de l'italien dans les villes côtières de l'Est, longtemps en contact avec les grands ports italiens (échanges commerciaux, rivalités entre marins italiens et corsaires algériens), puis devenues villes d'accueil de colons d'origine italienne attirés eux aussi par la colonisation française.

Toutefois, c'est le français qui a le plus perduré et influencé les usages, bouleversé l'espace linguistique et culturel algérien. Les circonstances de son intrusion, dans cet espace, lui ont conféré un statut particulier dans la société algérienne coloniale et post-coloniale.

Le français, langue imposée au peuple algérien par le feu et le sang, a constitué un des éléments fondamentaux utilisés par le pouvoir colonial pour parfaire son emprise sur le pays conquis et accélérer l'entreprise de déstructuration, de dépersonnalisation et d'acculturation d'un territoire devenu partie intégrante de la « mère patrie », la France.

2/ الاطلاع على نموذج من شعر سي محند أو محند: بحيث تتم عملية المقارنة بين ترجمات مولود فرعون وسي عمار بوليفة، مع تقديم ملخص عن القيمة الانسانية التي يتضمنها المقطع الشعري

النص الأصلي (سي محند)	النص المترجم من طرف مولود فرعون	النص المترجم من طرف بوليفة	النص المترجم إلى العربية
Gulleγ seg Tizi-Wezzu Armi d Akeffadu Ur hkimen dg' akken llan A nerrez wal' a neknu Axir dda٤٤wessu Anda ttqewwiden ccifan D elγurba tura degg' qerru Gulleγ ar nenfu Wala le٤quba γer yilfan	J'ai juré que de Tizi-Ouzou Jusqu'a Akfadou Nul ne me fera subir sa loi Nous nous briserons Mais sans plier Plutôt être maudit Quand les chefs sont des maquereaux. L'Exil est inscrit au front Je préfère quitter le pays Que d'être humilié parmi ces pourceaux	J'ai juré que de Tizi-Ouzou Jusqu'a Akfadou Nul, tant qu'ils sont, n'aura à me commander Je préfère être brisé que de me plier Commettre un sacrilège à en être maudit Dans un pays où les chefs jouent le rôle d'entremetteurs L'exil m'est prédestiné Je jure que je fuirais à l'étranger plutôt que de subir une humiliation devant les pourceaux	أقسمت أنه من تيزي وزو إلى أكفادو لا أحد سيجبرني على الانقياد لحكمه الانكسار خير من الذل اللعنة أفضل من البقاء في بلد حكامه مستبدون إن الغربة مكتوبة على الجبين أقسمت على الذهاب بعيدا (المنفى) خير من البقاء وسط المستبدين

3/ الاطلاع على مجموعة من المقاطع من رواية الدار الكبيرة، والمطالبة باستخراج المعاني الأساسية وتكوين فقرة عن تلك المقاطع باللغة العربية:

« Cette terreur, Omar la voyait. Elle se répercutait en lui, qui était là, dressé sur sa couche, les pieds repliés sous lui. Et il pensa : Certainement, c'est la peur de Grand mère. Il comprenait à distance qu'elle avait peur. Peur d'être seule, d'être dans la cuisine, isolée avec son mal. Elle ne cessait d'implorer au plus fort de la nuit, alors que toute la maison s'abîmait dans la léthargie. Elle s'interrompait durant quelques minutes. Elle écoutait sans doute si on lui répondrait. S'arrêtait-elle par peur aussi ? Ses appels avaient tiré Omar du sommeil. Nul n'y répondait, le mutisme étouffait la vieille maison Omar imagina le noir qui pesait partout, s'appuyait contre la porte de la chambre, menaçant, hostile. Cette chose énorme dont on n'aurait su dire le nom guettait dans la cour. Doucement, venant de loin, la voix de Grand mère s'élevait encore. Elle bavardait pour rompre la lassitude, non cette bonne lassitude des corps vigoureux, mais celle de l'âge. Ses pauvres pensées se frayaient une voie à travers la peur, la maladie, mais surtout la vieillesse. [...] On portait à manger à Grand-mère dans la même écuelle de fer dont l'émail éclaté par endroits, dessinait de larges étoiles

noires. Aïni la posait à ses pieds, avec la nourriture du jour, sans la nettoyer ; il s'y formait un fond graisseux qui adhérait aux parois et formait croûte. −Pourquoi appelais-tu tant cette nuit ? Tu es folle ! Pestait Aïni au-dessus de sa tête. Alors on n'a pas une minute de répit avec toi ? Grand mère attendait que sa fille s'éloignât. Elle se ratatinait sur elle même. Grand mère avait peur, comme un enfant ou un petit chien, de recevoir des coups. Toute ployée, le dos comme brisé, elle reposait, la tête sur ses genoux. Sans se redresser, elle clignait du côté d'Aïni. Omar était assis par terre à ses pieds. −Hé, Mama ! Tonitruait Aïni dans son oreille en poussant vers elle l'écuelle. Tu ne vois pas que je t'apporte à manger ? Ou bien ce que j'apporte te déplait? La vieille femme ne remuait pas. Aïni se saisissait de l'ustensile puis Empoignait la tête de Grand mère et lui fourrait l'écuelle sous le nez.
−Oui, ma fille, j'ai vu. Pourquoi me traites-tu comme ça ?
−Tiens, mange ! lui disait Aïni en la secouant sans ménagement.
Elle bredouillait quelques mots entre ses dents „Puisses-tu manger du poison. Grand mère, avec des mouvements d'agacement, sans se retenir prenait l'écuelle de sa main qui tremblait d'une manière affolante et la rejetait au sol, sous sa chaise. Aïni, qui lui calait la tête, retirait son bras et la figure de Grand-mère : retombait sur ses grosses rotules. La vieille femme n'avait plus la force de se maintenir droite ; elle était irrémédiablement cassée, abattue. Aïni s'en allait en grognant » (**Mohammed Dib. La Grande maison Ed. Le Seuil. 1952** -PP 135-136)
«Les gens de Dar-Sbitar avaient plusieurs fois de suite entendu cette sirène au cours des semaines précédentes ; on l'essayait régulièrement. On leur avait bien dit que la guerre allait éclater. Elle éclaterait certainement : dans la maison, ils s'étaient faits à cette idée. On en discutait à tout propos. Celui qui déchaînerait cette guerre, disait-on, était un homme puissant. Son emblème, cette croix aux branches bizarrement cassées qui ressemblait à une roue, recouvrait les murs de la ville, tracée au charbon, à la craie. Il y avait des croix géantes peintes au goudron à côté de l'inscription : Vive Hitler. On se retrouvait partout nez à nez avec ce sceau et ces inscriptions. L'homme qui portait le nom d'Hitler était tellement fort que nul n'aurait osé se mesurer avec lui. Et il partait conquérir le monde. Et il en serait le Roi. Et cet homme si puissant était l'ami des Musulmans : quand il aborderait les rivages de ce pays, les Musulmans jouiraient de tout ce qu'ils désireraient, leur bonheur serait grand. Il priverait de leurs biens les Juifs qu'il n'aimait pas et qu'il tuerait. Il serait le défenseur de l'Islam et chasserait les Français. D'ailleurs la ceinture qui lui serrait la taille portait la chah- ada : Il n'y a de Dieu qu'Allah, et Mohammed est son Prophète ! Cette ceinture ne le quittait ni jour ni nuit. C'est pourquoi il était invincible.» (PP 177-178)

4/ الاطلاع على مجموعة من المقاطع من رواية الدار الكبيرة، والمطالبة باستخراج المعلومات الأساسية حسب الجدول المقترح:

« A Dar-Sbitar, Omar se procurait du pain d'une autre façon. Yamina, une petite femme aux jolis traits, revenait chaque matin du marché avec un plein couffin. Elle priait souvent Omar de lui faire de petites commissions. Il lui achetait du charbon, remplissait son seau d'eau à la fontaine publique, lui portait le pain au four... Yamina le récompensait à son retour en lui donnant une tranche de pain avec un fruit ou un piment grillé, – de temps en temps, un morceau de viande ou une sardine frite.

Quelquefois, après déjeuner ou dîner, elle l'appelait. Quand l'enfant soulevait le rideau, – à l'heure du repas, chaque famille baissait le sien, – elle lui disait d'entrer, apportait un plat où elle gardait quelque chose de bon, cassait la miche ronde et blanche et plaçait le tout devant lui.
– Maintenant mange, mon garçon.
Elle le laissait et vaquait dans la pièce. Yamina ne lui offrait que des reliefs, mais propres; les plus difficiles n'auraient rien trouvé à y redire. La veuve ne le traitait pas comme un chien ; et cela lui plaisait. Ne pas être humilié. Omar ne savait pas où se mettre devant tant d'égards. Il fallait que chaque fois Yamina le pressât pour l'encourager à toucher aux aliments. » (**Mohammed Dib. La Grande maison Ed. Le Seuil. 1952 -P 9**)
« Le sommeil, comme la faim, s'inscrit dans un temps indéfini, sans points de repère. Tout le monde a faim, toujours : aujourd'hui est identique à hier, les actions se colorent d'une signification révolue, l'argent pour acheter le pain ne suffit jamais, c'est comme s'il était payé à crédit avec un taux usuraire……On fait et refait les comptes, on espère avoir oublié quelque chose, mais les calculs sont justes, rien n'a été oublié, comme par une malédiction inéluctable, presque mythique » **(P127)**
« - La France est notre mère Patrie, (...) Quel était son pays, Omar eut aimé que le maître le dît, pour savoir. Où étaient ces méchants qui se déclaraient les maîtres? Quels étaient les ennemis de son pays, de sa patrie? Omar n'osait pas ouvrir la bouche pour poser ces questions à cause du goût du pain….M. Hassan, était-il patriote? Hamid Saraj était-il patriote aussi? Comment se pouvait-il qu'ils le fussent tous les deux? Le maître était pour ainsi dire un notable; Hamid Saraj, un homme que la police recherchait souvent. Des deux, qui le patriote alors? La question restait en suspens.
Omar, surpris, entendît le maître parler en arabe. Lui qui le leur défendait! Par exemple! C'était la première fois! Bien qu'il n'ignorât pas que le maître était musulman, - il s'appelait M. Hassan, - ni où il habitait, Omar n'en revenait pas. Il n'aurait même pas su dire s'il lui était possible de s'exprimer en arabe. D'une voix basse, où perçait une violence qui intriguait : Ce n'est pas vrai, fit-il, si on vous dit que la France est votre patrie. Parbleu! Omar savait bien que c'était encore un mensonge. M. Hassan se ressaisit. Mais pendant quelques minutes il parut agité. Il semblait être sur le point de dire quelque chose encore. Mais quoi? Une force plus grande que lui l'en empêchait-elle? Ainsi, il n'apprit pas aux enfants quelle était leur patrie» **(PP 18-19)**

المقطع ومرجعه	الشخصيات	الزمان	المكان	الأحداث	ملاحظات إضافية

5/ انجاز بطاقة قراءة لروايات: (الدار الكبيرة، الحريق، النول، نجمة، ابن الفقير، الأرض والدم، الدروب الصاعدة، رصيف الأزهار لا يجيب، الشقاء في خطر، أطفال العالم الجديد، .....وغيرها من الروايات) حيث توزع الأعمال على الطلبة الذين يعملون في أفواج، أو بصفة فردية، لاكتساب تجربة قرائية حول هذا النوع من الأدب.

خاتمة

في ضوء المحاور التي تمّ استعراضها، يتبيّن أنّ المشهد الأدبي الجزائري خلال الفترة الاستعمارية وما بعدها لا يمكن فهمه إلا من خلال شبكة معقّدة من التفاعلات اللغوية والثقافية والتاريخية. فقد أفرزت الازدواجية اللغوية في الجزائر وضعاً خاصاً، تداخلت فيه العربية والأمازيغية والفرنسية، ليس فقط بوصفها وسائل تعبير، بل كحاملات لرؤى متباينة للعالم وللهوية. وفي هذا السياق، حافظ الشعر الأمازيغي، من خلال أعلامه مثل سي محند أومحند، على استمرارية الذاكرة الجماعية، وأسهم في تثبيت البعد الثقافي الأصيل في مواجهة التحولات العميقة التي عرفها المجتمع.

في المقابل، برز الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية كفضاء إبداعي إشكالي، يعكس توتّر العلاقة مع لغة الآخر، ويحوّلها في الآن ذاته إلى أداة للمقاومة والتعبير. وقد عالج هذا الأدب موضوعات متعددة، من أبرزها الاستعمار، والاغتراب، والهوية، والعدالة، والذاكرة، كما تجلّى ذلك في أعمال كتّاب بارزين مثل مولود فرعون، وكاتيب ياسين، ومالك حداد، وآسيا جبار، الذين أعادوا توظيف اللغة الفرنسية لتصبح حاملاً لتجربة جزائرية خالصة.

كما أنّ الكتابة الفرانكفونية في الجزائر لم تكن معزولة عن سياقها التاريخي، بل ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالحركة الثقافية التي نشطت خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، حيث بدأت ملامح وعي ثقافي جديد تتشكّل، قائم على إعادة التفكير في الذات الجماعية وفي سبل التعبير عنها. وقد أفرز هذا السياق نوعاً من التعايش الثقافي، رغم طابعه غير المتكافئ، بين مكوّنات المجتمع الجزائري، وهو ما انعكس بوضوح في تنوّع الإنتاج الأدبي وتعدّد أصواته.

ومن خلال هذا التنوّع، برزت إشكالية الانتماء والهوية بوصفها محوراً مركزياً في الأدب المكتوب باللغة الفرنسية، حيث وجد الكاتب الجزائري نفسه في موقع تفاوض دائم بين انتمائه الوطني ولغة التعبير التي يكتب بها. وقد تجسّدت هذه الإشكالية في توتّر إبداعي مثمر، أفرز نصوصاً تتراوح بين الرفض الصريح للهيمنة اللغوية، ومحاولات التكيّف وإعادة الامتلاك الرمزي للغة.

وعليه، فإن بيوغرافيات الأدباء الجزائريين الذين كتبوا باللغة الفرنسية لا تمثّل مجرد معطيات توثيقية، بل تشكّل مدخلاً أساسياً لفهم هذا المسار المركّب، إذ تعكس تجاربهم الشخصية تحوّلات المجتمع الجزائري وصراعاته. ومن ثمّ، يمكن القول إن الأدب الجزائري الفرانكفوني، بكلّ تنوّعه وتعدّد أصواته، يمثّل ذاكرة حيّة لمرحلة تاريخية حاسمة، وفضاءً لإعادة صياغة الهوية في ظلّ شروط معقّدة من التداخل اللغوي والثقافي.

مكتبة البحث:

1- أحمد المنور، **الأدب الجزائري باللسان الفرنسي: نشأته وتطوره وقضاياه**، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، 2017

2-أحمد بن نعمان، **الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات**، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، د.ت.

3-أحمد جاب الله، **قراءة في القصيدة الشعبية الجزائرية**، الأثر: مجلة الآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد الثالث، مقال ، ماي 2004 .

4-إينال أمينة، الميلود قردان، شايبي عبد الرحمين، **الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، إشكالية الهوية أو البحث عن الذات**، فصل الخطاب، مجلد 4 رقم 1، 2015

5-آمال سعودي، **الأدب الفرانكفوني بين المنفى اللغوي ومأزق الهوية**، الممارسات اللغوية، مجلد 14، عدد 01، ص.ص 219-234

6-بدرية شامي، حسان راشدي، **تمثل صور الآخر في رواية الحب والفنتازيا لآسيا جبار- مقاربة صورولوجية**، المدونة، مجلد 08، عدد 03، 2021، ص.ص. 2839-2852

7-براهيم لونيسي، **دور الادارة الاستعمارية في نشر اللغة الفرنسية في الجزائر**، الحوار المتوسطي، مجلد 2، رقم 1، 2010، ص.ص (9-18)

8-بن زهية عبد الله، **أزمة اللغة وثوابت الهوية في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية (واقعية التاريخ وصراع الذاكرة الوطنية)**، مجلد 12، رقم 1، 2004،

9-جبور أم الخير، **الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية: دراسة سوسيونقدية**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران، 2011/2010،

10-جمال جابر ، **منهجية الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، النص الروائي نموذجا** " ط1، الكتاب الجامعي- العبن- الإمارات العربية

11-حاج براهيم كنزة، **التأثيرات الأجنبية في روايات مولود فرعون**، رسالة ماجستير، جامعة شلف، 2013

12-الصادق قسومة، **الرواية مقوماتها ونشأتها في الأدب العربي الحديث**، مركز النشر الجامعي، 2000،

13-صليحة بردي، **التأثيرات الأجنبية في أدب مالك حداد**، رسالة ماجستير، جامعة شلف، 2011-2012

14-طه وادي، **دراسات في نقد الرواية**، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة 1994

15-عايدة أديب بامية، **تطور الأدب القصصي الجزائري**، ديوان المطبوعات الجزائرية، 1982

16-عبد اعزيز كحيل، **اتجاهات الأدب الفرانكفوني في المغرب العربي**، شبكة الألوكة، https://www.alukah.net/publications_competitions/0/5553
17-عبد العزيز راجعي، **السياسة الفرنسية في مواجهة نشاط الحركة الوطنية الجزائرية الأمرية** 07 مارس 1944 م أنموذجا، المجلة التاريخية الجزائرية، مجلد 6، رقم 2، 2022، ص.ص. 523-535
18-عبد العزيز شرف، **المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر**، دار الجيل، ط1، بيروت لبنان
19-عبد المحسن، طه بدر، **تطور الرواية العربية الحديثة**، الطبعة الثالثة، دار المعارف، 1976،
20-عبير شليغم، **الكتابة النيوكولونيالية الفرنسية في إفريقيا، نشر الثقافة الفرنسية**، مجلة العلوم القانونية والسياسية، مجلد 13، عدد 01، 2022، ص.ص. 392-403
21-عثماني رمضان، **الأسس التاريخية والمنطلقات الفكرية للنخبة الجزائرية ودورها في الحركة الوطنية 1919-1954**، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان قسم التاريخ والفنون، 2020
22-علي شريف حورية، مرزقلال موسى، **دور الزوايا في الحفاظ على الهوية الجماعية للمجتمع الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية**، مجلة مفاهيم، مجلد 4، رقم 1، 2021، ص.ص 346-353
23-عمر مختار شعلال، **الرجل الحر**، تر محمد أوزغلة، دار القصبة، الجزاءر، 2007
24-غنية كبير، **النقد الأكاديمي العربي وتلقيه للرواية الجزائرية التأسيسية والتأصيلية**، بمناسبة اليوم الدراسي الوطني الثالث حول السرد " فلسفة السرد" الذي نظمه قسم اللغة والأدب العربي بالتنسيق مع الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية-فرع ولاية برج بوعريريج (10-04-2016)
25-فاهم سعيد، **قراءة في ترجمة الشعر الأمازيغي نظما، نماذج من إبداعات آيت منقلات** مخبر الممارسات اللغوية، جامعة تيزي وزو، ، 2010 .
26-فركووس صالح، **دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثورة الجزائرية 1954-1962**، مجلة العلوم الانسانية، مجلد 18، رقم 3، 2007، ص.ص 257-268
27-قادة مبروك، **إشكالية الانتماء القومي للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية**، إنسانيات، مجلد 3، رقم 3،
28-قادري عبد الحليم، بن قويدر نور الدين، **الصحافة الجزائرية وأثرها في الحركة الوطنية قراءة في المسار التاريخي**، المعيار، مجلد 28، رقم 1، 2024، ص.ص 554-572
29-محمد سيد البحراوي، **بواكير الرواية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007
30-مليكة باشا، **تعليمية الترجمة في الجامعة الجزائرية بين الواقع والآفاق**، في الترجمة الجامعية والترجمة المهنية الماضي والحاضر والمستقبل، ألفا للوثائق، ط1، 2019
31-المهدي هجالة خيرة، **سياسة الفرنسة في الجزائر 1830- 1962**، الإحياء، مجلد 21، رقم 2، 2021، ص.ص 753-764
32-مولود فرعون، **ابن الفقير**، ترجمة عبد الرزاق عبيد، دار تلانتيقيت، بجاية 2020

33-ناصر الدين سعيدوني، **المسألة الثقافية في الجزائر، الهوية، اللغة، دراسة تاريخية نقدية**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط 1، 2021

34-Alexandre BEZIERS, **Histoire Abrégée de la Littérature**, Imprimerie Lepelletier, Havre, 1868
35-Alfred NETTEMENT, **Le Roman Contemporain : ses vissitudes, ses divers aspects, son influence**, Jacques Lecoffre, Librairie Editeur, Paris, 1864
36-AMROUCHE, Jean : **Chants berbères de Kabylie**, Préface de M. Mammeri, Ed L'Harmattan, 1988.
37-Antoine ADAM, Georges LEMINIER, Edouard MOROT-SIR, **Littérature Française**, Tome second, Librairie Larousse, 1968
38- Beida CHIKHI, **Problématique de l'Ecriture dans l'oeuvre Romanesque de Mohamed DIB**, Office des Publications Universitaires, 1989
39-Assia DJEBBAR, **Les Enfants du Nouveau Monde**, Julliard, 1962
40-BOULIFA (B) Si Ammar Ben Said : **Recueil de poésie kabyle**, présentation par tassadit YACINE. Paris, Alger : 1990, Ed. AWAL.
41-Faouzia BENDJELID, **Le Roman Algérien de Langue Française**, Chihab Editions, 2012Ghani MERAD, **La Littérature Algérienne d'Expression Française**, Ed Oswald Paris, 1976
42-Kamel IGOUDJIL, **Post Colonial Algerian Writers in Frnech: Language as Representation and Resistance**, 2025 Academia.edu /7962576
43-Kateb Yacine, **Nedjma**, Editiond Le Seuil, Paris, 1956
44-M'hamed BEN RAHHAL, **la vengeance du Cheikh**, la Revue Algérienne et Tunisienne, Littéraire et Artistique (3ème trimestre, N° 13, 26 Septembre 3 Octobre, 1891
45-Malek HADDAD, **Je T'offrirai une Gazelle**, SNED, 1958
46-MAMMERI, Mouloud : **Les Isefra, poèmes de Si Mohand-ou-Mhand**, Paris, Maspero, 1982
47-Mouloud FERAOUN, **Le Fils du Pauvre**, Editions TALANTIKIT, 2016,
48----------**Les Chemins qui montent**, Editions TALANTIKIT, 2016
49----------, **Les poèmes de Si Mohand** - 1960.
50-Mouloud MAMERI, **La colline oubliée,** Editions Plon, 1952

فهرس الموضوعات

مقدمة..... أ

بطاقة المقياس..... 3

مح (01) الازدواجية اللغوية في الجزائر: (مفاهيم عامة-أشكالها- فوائدها- العوامل المساعدة على تكريس الازدواجية اللغوية في الجزائر)..... 5

مح (02) الشعر الأمازيغي وأعلامه (سي محند أو محند أنموذجا)..... 18

مح(03) الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية- المرجعية التاريخية والتطور..... 26

مح (04) موضوعات الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية..... 39

مح (05) الكتابة الأدبية الفرانكفونية في الجزائر..... 52

مح (06) التعايش الثقافي في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية..... 62

مح (07) الحركة الثقافية في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى..... 72

مح (08)التنوع الأدبي الفرانكفوني في الجزائر: الملامح التاريخية والتطورات الجديدة..... 79

مح (09) اشكالية الانتماء والهوية في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية..... 91

مح (10) التأثيرات الأجنبية في الأدب الجزائري المكتوب بالغة الفرنسية..... 97

مح (11) بيوغرفيا الأدباء الجزائرين باللغة الفرنسية (1) (محمد ديب، مولود فرعون، مولود معمري، كاتب ياسين،.....)..... 109

مح (12) بيوغرفيا الأدباء الجزائرين باللغة الفرنسية (2) (مالك حداد، آسيا جبار، أبو العيد دودو، ياسمينة خضرا.....)..... 122

مح (13) دراسة في نماذج من الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية..... 135

مح (14) تلخيص روايات (الدار الكبيرة، الحريق، ابن الفقير، الأرض والدم، الدروب الوعرة، نجمة، أطفال العالم الجديد.....)..... 149

تطبيقات..... 159

خاتمة..... 165

مكتبة البحث..... 167

فهرس الموضوعات..... 170